د. هشام السلاموني

الجيل الذى واجه عبدالناصر والسادات



دراسة وثائقية للحركة الطلابية ١٩٦٨ - ١٩٧٧



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

الجيل الذى واجه
عبد الناصر والسادات

الجيـل الـذى واجـه

عبـد النـاصـر والسـادات

الدكتور هشام السلامونى

الناشـــــر

دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــــاب : الجيل الذى واجه عبد الناصر والسادات
المـــؤلـــف : د. هشام السلامونى
تاريـــخ النشـــر: ١٩٩٩م

النـــاشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية
الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز – عمارة برج آمون
الدور الأول – شقة ٦
ت ، : ٢٤٧٤٠٣٨ ، ٢٤٠١٧٤٣
فاكس : ٢٤٠١٧٤٤
التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)
المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧
رقـم الإيـداع : ٩٨/٩٨٠٢
الترقيم الـدولى : ISBN
977 303 041 -5

إهـــــداء

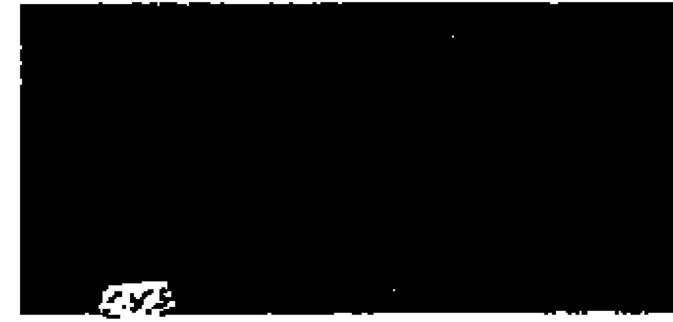
إلى الطالب العـــــادى ...

إلى كل الزملاء الذين تواجدوا طلابا فى الجامعات المصرية (وفى المدارس الثانوية.. بل والاعدادية) على اتساع الوطن فى الفـــترة مـــن ١٩٦٨ إلى ١٩٧٧. كلهم بلا استثناء.. فهم مفجروا الحركة الحقيقيين، وهم مصابيحها الهادية، وهم أصحاب برنامجها، وهم الذيـــن ضغطـــوا ليحققوا لمصر أمرين على أكبر جانب من الأهمية والعظمـــة، عبـــور أكتوبر الخالد، وقد كان إنجاز صيحاتهم المؤثرة التـــى انطلقـــت مـــن الجامعة، وإنجاز دمائهم أيضاً التى بُذلت فى سبيل الوطن بين صفـــوف المجندين وضباط الاحتياط، الذين حققوا نقلة كيفيـــة متقدمـــة للقـــوات المسلحة، مكنتها من الانتصار، وقطع يد إســـرائيل الطويلـــة، وتدمـــير نظرية أمنها التى لن تقوم لها قائمة.

أما إنجازهم الثانى العظيم فكان فتح باب الديمقراطية، صحيـــح أن الألاعيب التى لا تنتهى تضغط باستمرار لكى يظل الباب مواربا، لكـــن أحداً لن يستطيع أقفاله بعد أن فتحوه، بل أنهم ـــ فاتحوه ـــ هـــم الذيـــن سيوسعون فرجته التى ستدخل منها آمال هذا الشعب العظيم.

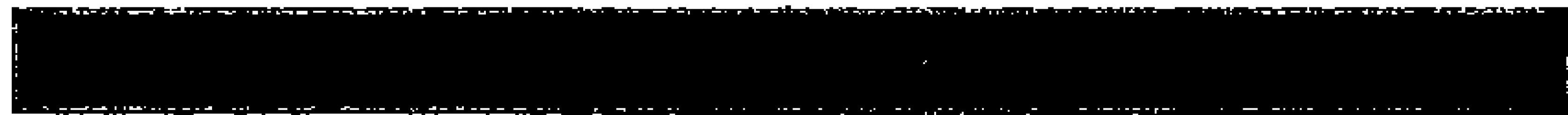
اليهم جميعاً... تعبيراً عن إنجازهم الضخم .. هذا الكتاب.

د. هشام السلامونى



قبل أن تقرأ ..

محاولة للفهم ..



للكتاب قصة..

أو لنكن أكثر دقة ، ولنقل أن للمقالات التى نشرتها " روز اليوسف" فى الفترة من ١٧ فبراير إلى ١٢ مايو ١٩٩٧، (والتى أجمعها فى هذا الكتاب بإضافات ضرورية..) لنكن أكثر دقة .. ولنقل .. إنه كانت لتلك المقالات قصة..

ولعل من المفيد، قبل أن أروى تلك القصة، أن أعترف ــ من أولها ــ بأن بداية قصة تلك المقالات، وهذا الكتاب، قد تأخرت عشرين سنة كاملة!

عشرون سنة مضت بين البداية الحقيقية (الطبيعية) لتلك المقالات، وبين البداية الفعلية !!! (وضعت علامات التعجب على أساس أننا نهتم بالزمن!!).

وباعترافى هذا.. تكون لدينا بداية فعلية.. وبداية حقيقية.. وقصة .. فلنبدأ ..



البداية الفعلية، جاءت ــ مباشرة ــ بعد صدور العدد ٣٥٨٢ من " روز اليوسف" فى ٣ فبراير ١٩٩٧.

فى ذلك العدد قرأت مقالين ممتازين ..

كان أولهما لعادل حمودة [الصحفى القدير، (ابن جيلنا)، الذى جعل روز اليوسف واقعاً مقروءاً ومؤثراً فى كل بيت مصرى، وخاض بها وفيها صراعاً ناجحاً ضد كل التابوهات (الممنوعات .. المحرمات)، التى لم يكن يُسمح لأحد بالاقتراب منها، وهى السلطة المطلقة (التى تتجمل تجملاً مفضوحاً)، وقداسة رجال الدين، التى يحرص عليها البعض ربما أكثر من حرصهم على مصالح الناس. بل وعلى الدين نفسه. (القداسة للدين.. وليس للدين رجال.. الدين لكل

الرجال.. لكل البشر).. وثالث الممنوعــات.. الأســس الاقتصاديــة والاجتماعيــة والسياسية للممارسات الجنسية (سوية كانت أو غير سوية).. ولقد أصـــاب عـــادل حمودة كثيراً . وكانت المحصلة فى صالحه..وصالحنا بدون شك.

ثانى المقالات، كان عنوانه " الانفجار.. عملية احتلال ميدان التحرير" كتبـــه عبد الله كمال [صحفى شاب، يملأ قلمه بماء النار، ويحـــترف الكتابـــة بـــه عـــن المحظورات بحروف مشتعلة، كاوية، تحفر فى الجســـد العربـــى.. الـــذى يظنـــه الواهمون قد آثر الدعة..]..

قرأت المقالين .. ولنبدأ بثانيهما

المقال الثانى "عملية احتلال ميدان التحرير" ، كان تلخيصا وافيـــا، وواقعيـــا لحدث مرت عليه خمس وعشرون سنة، هو حركة الطلبة فى ينـــاير ١٩٧٢، تلـــك الحركة (العظيمة) التى بدأت بمجلات حائط، اعقبتها مؤتمرات فى كل الكليـــات ــ كانت الأكثر سخونة بينهما مؤتمرات كلية الهندسة جامعة القاهرة، فـــلا عجـــب أن تحول واحد منها من مؤتمرات كلية الهندسة إلى مؤتمـــر عـــام لطـــلاب جامعـــة القاهرة ــ انتقل بعد ذلك إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة (كانت فـــى عيـــن شمس نفس الخطوات، وكان لجامعة عين شمس نفس التأثير، لكن اعتصاما لم يجـــر فى عين شمس إلا فى ١٩٧٣)، وقد قرر المؤتمر العام الاعتصـــام لحيـــن جـــلاء الحقائق المتعلقة بصراعنا الأمنى مع إسرائيل، مطالبا (الاعتصام) بالديمقراطيـــة، وبحق مشاركة الجماهير فى تسيير أمورها، حتى تستطيع الجماهير أن تكون رقيبـــة على تحقيق أمانيها، وحتى تضمن ألا تكرر السلطة نوعية المآسى التى وصلت إلـــى ذروة حقيقتها فى نكسة يونيو ١٩٦٧، بعدها تدخلت الحكومة.. واقتحمت الجامعـــة فجرا (عودتنا السلطة العسكرية فى مصر الانقضاض فى الفجـــر، والانقضـــاض على الفجر!) وقبضت على المعتصمين، لتفاجأ ــ السلطة ــ والشـــمس فـــى كبـــد السماء ــ فى ظهيرة نفس اليوم ــ بأن عشرين ألفا من طلاب جامعـــة القـــاهرة، وأعدادا هائلة من طلاب جامعة عين شمس، يحتشـــدون فـــى ميـــدان التحريـــر،

ويحولونه لمكان اعتصام جديد فى حضن الحياة المصرية الصاخب، ويكونون لجنتهم الطلابية العليا الثانية، ويرددون الصوت الذى ظنت الحكومة أنها قد أخرستة فى الفجر (فى الجامعتين)، ويؤرقون انفرادها واستفرادها بالأمور كما لم يؤرق من قبل

كان المقال تلخيصاً وافياً للحدث.. تساءل كاتبه فى آخره عن هؤلاء الذين فجّروا الحدث الكبير .. عن مصيرهم .. أين هم الآن؟ .. وماذا يفعلون ؟! ..قائلاً:

"هؤلاء الطلاب الذين فجروا تلك الأحداث، تذكروا الآن بعد ربع قرن ما حدث (كان يقصد عزم جيل السبعينيات وقتها على الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على حركتهم العظيمة، والذى تم بعدها بأسبوعين).

واستطرد:

"ونحن أيضاً نتذكر هذا معهم الآن، ونتساءل، أين عشرات منهم بعد كل هذه السنوات، وكيف صاروا ؟!!.. أين حسام الدين عبد الله، وهشام السلامونى، وصلاح يوسف ، وهانى شكر الله، ونبيل عتريس، وشوقى عقل، وعاصم الفولى، وهانى عنان، وأحمد بهاء الدين شعبان، وأحمد عبد الله، وفريد زهران، وعشرات غيرهم ."

كان من الواضح أن كاتب المقال يبحث عن مصائر هؤلاء الذين تصورهم ــ مشكوراً ــ الذين فجروا تلك الأحداث (الجيل كله فجرها ، وكانت الحركة العظيمة حركته، وكان بطلها، وليس فى هذا افتعال للتواضع .. بل وضع للحقيقة فى نصابها، وكان جهد المقالات التى ستقرأها ينصبّ فى إرساء قواعد هذه الحقيقة) وكانوا وراء تلك الضربة (كانت بالحق ضربة) التى قضت على أسطورة الدولة المنفردة المستفردة بكل الأمور، وفتحت الباب للديمقراطية (الباب الذى لم يستطع أحد أغلاقه بعدها، وإن نجحوا فى جعل الجيل لا يبالى بها، بكثرة ما أفتعلوه من ألاعيب محبطة لا ينقطع لها مدد!! من عباقرة التحايل، وترزية القوانين وردّاحى "فرش الملاءة" من الصحفيين وسائر الإعلاميين) وأرغمت

السادات .. وكان ذلك هو إنجازها الآنى العظيم الضخم ــ على ألا يتـهرب من معركة مع إسرائيل، لم يكن يريد خوض غمارها (وإن فكر بعـد ذلـك فـى أن يخوضها محدودة (*). وبقى على فكرته برغم الأداء بالغ العظمة للقوات المسـلحة المصرية فى حرب أكتوبر المجيدة ــ بجناحها النظـامى والاحتيـاط !!! مضيعـا الفرصة التى كانت متاحة أو محسوبة فعليا ، قبل أن يصـل أى مـدد عسـكرى أمريكى لإسرائيل ... كانت المدة المحسوبة من ٨ ١١ يوما).

كان ذلك هو المقال الثانى، وكان لكاتبه " عبد الله كمـال " فضـل التذكـر والتذكير " وأيضا ، فضله فى أن سبغ علينا مالانستحقه)..

أما المقال الأول ــ التحليلى ــ الذى كتبه عادل حمودة، فى نفس العدد فكـان بعنوان، " عبادة الشيطان وندابات المجتمع" (فقد كانت تلك الفترة ــ فبراير ١٩٧٧ والتى كتبت فيها المقالات ــ قمة الحوار الناشب فىالمجتمع، بين كافـة التيـارات وكل الاتجاهات، عن شباب حول العشرين السنة من أعمارهم، وأغلبـهم دونـها، ضبطوا ــ أو هكذا قيل ــ يعبدون الشيطان) وقد شخص عادل حمودة الظـاهرة ــ ظاهرة عبادة الشيطان ــ تشخيصا (يحسـد عليـه!) وألقـى المسـؤلية، كـل المسئولية، على المجتمع، نازعا الفتيل من يد حكومة تدينهم، ومفتى (بعكس شـيخ الأزهر الشيخ سيد طنطاوى) ينادى بإقامة حد الإرتداد عليهم (القتل .. لشباب دون العشرين!) بحجة ارتدادهم عن الدين! أو بابا المسيحين الذى استند علـى الكتـاب المقدس ليذوقوا نفـس المصـير، ورئيـس تحريـر الوفـد (الحـزب المطـالب بالديمقراطية). الذى أراد تحويلهم إلى محكمة عسكرية حتى لا يسـتفيدوا بفـرص النجاة التى يوفرها لهم قاضيـهم الطبيعـى (الديمقراطيـون يطـالبون بمحـاكم عسكرية!!) وأيضا من يدى الكاتب فهمى هويدى الذى راح يحاكم فيهم ــ كعادته دعاة الفكر الحر!!! (كأن الحرية هى التى تقود إلى عبادة الشيطان).

(*) فريد ظهران كان من جيل الحركة الثالث ٧٥ ٧٧ ولا أظنه كان فى التحرير فى ١٩٧٢. راجع محمد حسنين هيكل (أحد أبرز المخططين لمحدوديتها) فى كتابه خريف الغضب)..

قال عادل حمودة فى مقاله:

" للحزن، للوجع، للفشل، للإحباط أبناء يكبرون "

" للخرافة التى تسكن العقول، للقدوة المفقودة فى المدارس والمنابر والبنوك، للفكر التافه كقشرة موز فى مناقشات ومشاجرات المثقفين، للتاريخ المشوه كممسحة لأخطاء الحكام .. أبناء يكبرون "

" للتطرف، للتعصب، للفساد، للتشنج، لعذاب القبر، والثعبان الأقرع .. أبناء يكبرون ".

وقال عادل حمودة:

" لم يسأل المحققون أين الشيطان فى تصرفات الكبار!"

" إن الشيطان يسرب الامتحانات فى الجامعات، ويمنح القروض بالمليارات فى البنوك، ويزور الانتخابات فى سيرك الديمقراطية، ويدعم الإرهاب فى الصحف القومية، ويستخدم الفتاوى حسب هواه فى العبث بعقول الناس، فلماذا نلعن أبناءنا إذا لجأوا إليه؟!"

وأنهى عادل حمودة مقاله بالكلام عن مظاهرات الطلبة فى عام ١٩٦٨، موضحاً أن كل جيل يبدأ بالرفض

أحسست وأنا أقرأ لعادل حمودة مقاله أن جيلنا (الذى يربط الظواهر الشاردة فى سياق حقيقى، ربما يبدو للآخرين بعيداً عن التصور!) يتكلم

أحسست أن جيلنا يتكلم، فقررت أن أتكلم معه.. وأن أرد على " عبد الله كمال" (وكان هو المفجر الحقيقى لقضية عبدة الشيطان) والذى ــ لعلك تذكر ــ تساءل " اين هم الآن". وكان يقصدنا نحن ...

أعددت ردى.. وذهبت إليه

كان الرد بعنوان " لا تسألوا عنا اسألوا عمن ضربوا فكـــرة المشـــاركة، وأوقعوا الوطن فى براثن العنف، حتى عبد الشيطان فى هذا البلد!!"

قلت فى الرد:

" لقد حاول جيلنا المشاركة فى صنع بلادة كما يحلـــم بـــها .. فضـــرب .. وشوه، بعد أن فشلوا فى احتوائه على طريقهم، فكان الرد الطبيعى ممن هـــم أقـــل ثقافة فى جيلنا، هو اندلاع العنف فى المجتمع بأشكال مختلفة، وباقنعة يتم تبادلها عنف على الذات، وعنف ضد الآخرين، وعنف ضد المواطنة، وعنف ضد الوطـــن .. بل وعنف ضد الإنسانية.. عنف يتخفى فى صورة تفشى ظـــاهرة الإدمـــان .. (عنف على الذات)، وفى الجرائم العادية (زيادة عدد الطعنات حتى وصلـــت إلـــى سبعين فى جثة واحدة، وقتل الأب والأم والأخوة بممارســـات شرســـة، وحـــالات الاغتصاب التى يراد بها إذلال الضحية وخطيبها، وليس تصريف حاجـــة وقتيـــة، وجرائم النصب الاقتصادية و . و .. و . وكلها عنف على الآخرين). وفتنـــة طائفية مصنوعة ومزعومة ومفتعلة، تختفى لتظهر، وتظهر لتختفى (عنف علـــى المواطنة)، وعنف على الوطن (الانتماء ثقافيا لمجتمعات حولنا، أو بعيدة عنا، مـــع أننا الأطول قائمة ثقافيا حتى لو سكتت عن ذلك أو اعترفت به تلك المجتمعـــات!!) وعنف ضد الإنسانية نفسها (عبادة الشيطان) وكل ذلك فضلا عن العنف السياســـى (الذى تغمض الحكومة عينيها عن كل الأشكال عداه، خصوصا فى تلك اللحظـــات التى يطول فيها ــ أو يكاد ــ لحمها الحى) لجماعات أرادت ــ أن تستند علـــى الأقوى (الله) فى مواجهة قوى لا قبل لها بها هى قوى السلطة المطلقـــة الغاشـــمة، وإن فعلت مالا يقبله الله.. وما لا يقبله الوطن!!!.

وقلت:

" لقد اغترب الإنسان المصرى فى بلاده.. وخارجها.. بعد أن ســـدت فـــى وجهه عمدا وبـــألاعيب محكمـــة أبـــواب المشـــاركة، والمغـــترب، مســـتوحش، والمستوحش وحش!.

وأخذ عبد الله كمال الرد.. وأخذنى إلى عادل حمودة (رفيق الكفاح القديم والجديد) وقرأ عادل حمودة الرد.. وغاب فى سهوم (اعتاده من يعرفه) .. قال بعده:

ــ هشام .. اكتب عن جيلنا .. عن الحركة الطلابية .. اكتب تحقيقا سياسيا تأخر صدوره خمسا وعشرين سنة (هكذا وضع عادل حموده العنوان بحسه الصحفى المذهل قبل أن أكتب!!.)

وقال عادل حمودة (الصديق):

ــ خذ من الصفحات ما تشاء

لكن رئيس التحرير قفز بسرعة من داخله، فقال :

ــ أربع صفحات فى كل عدد حتى ينتهى ما تريد قوله .. كويس؟

قلت:

ــ كويس جدا..

قال:

ــ اتفقنا .. وضب صفحاتك كما تشاء، واملأها بما تشاء .. أنت تعرف كيف نكتب (كان يقصد كيف يكتب جيلنا).. واعتبرنى قارئا لمقالاتك بعد أن تصدر فى المجلة

وكان عادل حمودة ــ صدقا ــ عند كلامه .. لم يتدخل مطلقا.. فى المقالات .. وكانت تلك هى البداية " الفعلية" للمقالات التى صارت الآن كتابا بين يديك.

★ ★ ★

لكننا قلنا إنه كانت هناك بداية " حقيقية" للمقالات.. وقلنا أن تلك البداية " الحقيقية"، تأخرت عشرين سنة.. أو كان المفترض أن تتم منذ عشرين سنة.. وهذا واقع.. وحقيقى..

كان المفترض أن تكون البداية الحقيقية لتلك المقالات وهذا الكتاب فى العام ١٩٧٧!.

ففى ذلك العام ١٩٧٧، فوجئت الأمة المصرية بحدثين مروعين مدويين !!!.

أول الحدثين ، كان انفجار مظاهرات الجوع فى يناير ١٩٧٧، وذلك الحجم الهائل من العنف الجموح الذى صاحبها (*). (تلك الانتفاضة التى أصر الرئيس السادات على أن يسميها " انتفاضة الحرامية"، على عادة العسكريين فى تشوية كل مبادرة جماهيرية وجيهة الأسباب!).

ثانى الحدثين كان اغتيال "الشيخ الذهبى" على يد جماعة " شكرى مصطفى، "جماعة المسلمين"، (التى اسمتها المباحث العامة " التفكير والهجرة")

الحادث الأول جاء فى يناير.

والحادث الثانى جاء فى يوليو

كنت وقتها مجندا فى القوات المسلحة، ممنوعا من الاتصال بالصحف .. وبرغم ذلك.. قررت أن أكتب لصباح الخير" (كان الرئيس السادات، بعد انتفاضة الجوع قد أزاح عن " روز اليوسف" طاقمها الممتاز " عبد الرحمن الشرقاوى صلاح حافظ ــ فتحى غانم، وأتى بمن انتزعوا أنياب المجلة الصحفية، فتهاوى توزيع المجلة الذى كان قد وصل وقتها إلى عنان السماء، وتهاوى تأثيرها! (*)

فى مجلة " صباح الخير " ولم أكن أعرف من وقتها فيها أحدا ــ سلمت المقال .. (المقال الذى لم ينشر .. وكان المفترض أن يكون البداية الحقيقية لهذا الكتاب).

كان عنوان المقال " العنف .. يدق أبوابكم بمنتهى العنف"!!.

(*) خسرت مصر فى تلك الانتفاضة ٩٠٠ فرد غال بين قتيل وجريح، وقبض على ١٢٥٠، نسبة كبيرة منهم من الطلبة

(*) نفس الأمر الذى حدث لعادل حمودة منذ وقت قصير وللمجلة " روز اليوسف" أيضا.

قلت فى المقال " لابد وأن ننتبه، وإن جاء انتباهنا متأخرا، إلى تغيير كيفى يحدث فى الشخصية المصرية، إن لم يكن ـ حتى الآن ـ هو اتصافها بالعنف .. فإنه سيقودنا إلى عنف قادم أشد هولا "

وربطت فى ذلك المقال بين تصرفات الجموع العنيفة فى مظاهرات الجوع (انتفاضة يناير ١٩٧٧). وبين ذلك المدد الكبير من الشباب، الذى استطاع "شكرى مصطفى" أن يحصل عليه، ليكون منه جماعته الشرسة، ثم ربطت بينهما وظواهر عنف مرت بنا دون أن نلاحظها الملاحظة الدقيقة الواجبة (حادث الفنية العسكرية ١٩ إبريل ١٩٧٤، والذى قام به تنظيم صالح سرية المكون فقط من الشباب ومن الطلبة..، حادثة ضباط للاحتياط، التى نتجت عن مشاجرة فى ميدان العتبة، اشتعل فيها الميدان والناس، وتحطم فيها قسم الشرطة، واعتدى على ضابطه، بل وجرت فيه محاولة ـ مبكرة لنهب السلاحليك"، والتى ربما كانت السبب وراء إصرار السادات على تجويع الشباب المدرب على السلاح، وبعثرته فى بلاد الناس، إبعادا له ولخطره، الذى رأى بوادره) وبين ظواهر أخرى، اجتماعية تتصف بالعنف.. وقلت: إن شيئا لا يجمع هذه الظواهر كلها، إلا بذرة العنف التى ستورق فى احمرار، وسترو عنا فى السنوات القادمة، إذا ما بقى التجاهل السطوى للمشاكل الحقيقية للناس فى مصر، ولحقهم فى المشاركة الفاعلة فى تيسير أمور الوطن ".

وشرحت [إن اعتمادنا السخيف ـ الذى نركن إليه دائما ـ على ماتعارفنا عليه بأنه " الشخصية المصرية" التى لا تميل إلى العنف .. هو تأكيد لأسلوب غير علمى ودفن للرؤوس فى الرمال .. فالعلم يؤكد أن فى الإنسان طاقة عدوان، إما أن توظف فى التفوق (وهو عدوان مشروع على الأخرين) أو تسعى جامحة إلى التحطيم (تحطيم الذات وتحطيم الآخرين .]

وقلت إن الإنسان المصرى .. لا يختلف ـ فى هذه ـ عن أى إنسان آخر فى أى زمان ومكان .. وإذا ما كانت البيئة تشارك فى صنع طبيعة الإنسان، فإن

التغيرات الحادثة فى البيئة، تساهم فى تغيير ما اعتدنا أن نسميه، طبيعة الانسان المصرى" .

وقلت إن البيئة قد تغيرت فى مصر

• "**الإنفتاح** جاءنا بالتوحش المسعور من جانب الأقلية، وجاءنا بعجز السواد الأعظم عن تحقيق ما أصبح متاحا وميسورا ـ بدون مبرر ـ لتلك الأقلية .. جاء "بفتارينه" العريضة فى المحلات، فى نفس الوقت الذى تتآكل فيه قدرة السواد الأعظم الشرائية، لقد أصبح السواد الأعظم وليس لديه الاستطاعة إلا فى أن يراقب ما يحدث فى بلاده .. وأن " يشاور عقله !!، "فهناك ممن هم حوله ومنه ـ من انطلقوا بسرعة الصاروخ من تحت خط الفقر إلى آفاق " المليون"، دون سبب واضح، دون قوة حقيقية، إلا اقترابهم من أصحاب النفوذ .. (صغروا أصحاب النفوذ هؤلاء أو كبروا..) لقد كان الاقتراب من أصحاب النفوذ يعنى الاقتراب من التوكيلات الانفتاحية.

• **الحل الجمعى** يتم ضربة تحت لافتة الهجوم على جمال عبد الناصر وعصره "الانغلاقى" .. بينما الحل الجمعى هو مسئولية المجتمع عن أفراده.. أو مسئولية الأفراد عند الأفراد .. لقد ترك الباب مفتوحا للحل الفردى.. "أنت مسئول عن نفسك وحدها.. خذ فرصتك بيديك".. (والذى سيأخذ فرصته بيديه، لو لم يجد فرصة.. فسوف يستعمل يديه فى شيء آخر .. العنف..)، إن الرئيس السادات عندما أطلق " بغرض التشويه" على انتفاضة يناير ١٩٧٧، أسما هو "انتفاضة الحرامية"، لم يتساءل ولم يسمح لأحد بأن يسأل.. لماذا يمد المصريون أيديهم ليلتقطوا فرصتهم سرقة وهم يمارسون العنف فى عصره؟!).

• **الحكومة تتراجع** عن مسئولياتها (عن مسؤليات كل حكومة فى أى مكان من العالم) بدعوى مغلوطة يروج لها، هى أن الحكومة لا تستطيع أن تفعل كل شيء.. [الحكومات فى العالم لا تترك أى شيء.. الحكومات تنظم كل شيء .. سواء قامت به هى من مصادرها السيادية ومنها أموال دافعى الضرائب (يمكن

القول أن عصر الرئيس السادات، كان العصر الذهبى للتهرب الضريبى بل العصر الذهبى لتصالح الحكومة مع التهرب على حساب الشعب الفقير.. والذى يتم افقار فقرائه بمنتهى الضراوة، ودفع الطبقة الوسطى فيه إلى أسفل، الأمر الذى انعكس على القيم ــ والطبقة الوسطى خزائنها ــ فانهارت. وتغير وجه المجتمع الجميل إلى تلك الملامح الشائهة التى لم نعد نرى غيرها الآن.. أو قام به الأفراد (القطاع الخاص) إن الحكومة لا تخلع يدها من الأمور.. وإلا فما هو المبرر لوجود أى حكومة؟.. على سبيل المثال فإن على الحكومة أن تضمن لشعبها رعاية صحية متكاملة .. سواء قدمتها بالمجانى، وأنفقت من مواردها السيادية، التى تستطيع زيادتها بالضرائب المباشرة وغير المباشرة، على القادرين، أو لم تقدمها مجانية. وسمحت للقطاع الخاص بأن يشارك فى نسبة كبيرة من مؤسسات الرعاية الصحية، إن الحالتين لا تنفيان دور الحكومة فى ضمان وصول الخدمة الطبية إلى مستحقيها. وأن تجعل الدخول قادرة على ألا يحرم أحد من تلك الخدمة الضرورية مثلما تقر حقوق الانسان .. هذا مثال يمكن القياس عليه فى كل الأمور، وإلا ــ فمرة أخرى ــ أى مبرر يجعلنا نقبل بوجود حكومة!!!] ولقد كان من أهم الأمور التى تراجعت عنها الحكومة.. وخلعت يدها منها.. فقد صارت عملية خلع اليد فلسفة من ذلك الوقت (*)، هو التزام أى حكومة بأن تعطى موظفيها، وأن تضمن لغير موظفيها بالقانون، مرتبات ــ مقابل أعمالهم ــ تفى باحتياجاتهم الحياتية الكريمة، وأن تقاوم بهم (بانتاجهم) ومعهم (بالاشراف) الارتفاع الزائف للاسعار، خلعت الحكومة يدها من الأمر بدعوى أن ليس لديها ما هو أكثر، وأنها تعطى ما

(*) بدأ الترويج لها الأخوان على ومصطفى أمين ــ بمجرد اسقاط قضية التجسس عن الأخير، واطلاق سراحه، بزعم أن حالته الصحية لا تتناسب وسجنه، ثم حمل لواءها أفراد الكتيبة الصحفية التى كونها الأخوان ــ مصطفى وعلى ــ وآخرين بتمويل ــ رتبه فيمن رتبوه عثمان أحمد عثمان والشيخ عبد الحليم محمود، حيث تم دفع مبالغ كبيرة فى مقابل أى كتاب ــ غث ــ يكتب لتشويه الفترة الناصرية، وقد يلاحظ القارئ ــ كما لاحظت ــ أن اغلفة تلك الكتب رسم معظمها الفنان (!) مصطفى حسين، لقد كان هؤلاء الذين حصلوا على الثمن دعاة خلع يد الحكومة من مسئولياتها فى الصحف القومية.

فى يدها، ومافى إمكاناتها (الحكومة مسئولة عن أن تفى امكاناتها بـــالضرورى .. المطلوب)، وذلك فى نفس الوقت ــ الذى كانت تخطط فيه لانفتاح استهلاكى يقضـم من الدخل القومى ولا يضيف إليه، (لكى ينقص ما فى يدها ، وما فى امكاناتــها!!) ضاربة كل فرصة لاستثمار انتاجى (بتحويل المدخرات أى الإشباع الاســـتهلاكى) يوسع فرص العمل بنسبة مستقبلية مناسبة، ويوسع أيضا فرص العائد على العمــل، أيضا فى نفس الوقت ــ الذى تسمح فيه (الحكومة) لموارد آتية من قروض أثقلتنا بها دون عائد منذ عام ١٩٧٤ (وزارة د. عبد العظيم حجازى) ولنهر مــوار مــن تحويلات المصريين من الخارج، أن يختفيا فى غلاء مصطنع قائم على المضاربــة (لا عائد من ورائه.. فهو مجرد بيع وشراء بقيم مصطنعة) وفى جيوب البعــض من الفاسدين ومن المستفيدين من أكذوبة الاستيراد "بدون تحويل عملة"، الذى التقـط العملات الحرة من منابعها ــ فى الدول العربية من العاملين المصرييــن بــها ــ وأدخلها البلد سلعا استهلاكية بأسعار شديدة الارتفاع، تماثل أسعارها فى الأســواق العربية المفتوحة، أسواق الوفرة التى لا ضابط ولا رابط بها!، ثالثا ــ فــى نفــس الوقت ــ الذى لا تمل فيه الحكومة عن الإدعاء بضعف مواردها وبحاجتها الملحــة للعملات الحرة التى لا تجد رائحتها (!!)، وتغض النظر عن المفسدين (حتى يصبح الواحد منهم غولا لا يبقى ولا يذر) وتصالحهم ضريبيا ــ أيضا ــ علــى حســاب مواردها السيادية!!!، أو تصالحهم عند المدعى الاشتراكى !!

• **أسلوب "العقلنة"** فى التعامل مع الغرب .. وأسلوب العقلنة، لم ولن يعنــى أكثر من أن نرتضى نحن بما يرتضيه الغرب) فنحــن لا نتشــنج"(*)، ولانضــرب رأسنا بالحائط، ولا ننطح الصخر الأمريكى، وهكذا نكــون عــاقلين، عقلانييــن، متعقلين، متعقلنين، نفهم المتغيرات من حولنا كما يجب أن تفهم !!!، أسلوب العقلنــة هذا (الذى هو رضوخ كامل) ضرب العزة الوطنية والقوميــة [طاقــة العــدوان المشروعة فى مسارها الصحيح (التفوق)، والتى لا تسمح فى نفس الآن بظلم الآخر والانتقاص من حقوقه]، ضرب العزة الوطنية فى مقتل

(*) كلمة الرئيس السادات الأثيرة ، التى كان يعتبرها فارقا بينه وبين جمال (الله يرحمه)

وقلت فى المقال (ألا زلت تذكر؟): "   إن رد السواد الأعظم الوحيد والممكن، على كل ما سبق، لن يكون إلا العنف، ذلك العنف الذى يتخفى تحت أقنعة مختلفة، والذى سوف ينفجر ــ بعد ذلك ــ مفضوحا واضحا".

لم تنشر المقالة (وأنا أعذر صباح الخير، فقد كانت حساسية الرئيس السادات، الذى قرر وقتها. التراجع عن الديمقراطية (*)، تزداد فى مواجهة كل كلمة مكتوبة، وضد كل من يسمح بنشرها، كان السادات وقتها ــ بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ ــ قد كشر ــ تماما ــ عند انياب ديمقراطيته!).

وهكذا وئدت البداية الحقيقية " لهذا الكتاب، وتأجلت عشرين سنة كاملة!

* * *

تلك البداية الموؤدة لهذا الكتاب، دشنت قصته

ألم نقل منذ البدء، أن كانت للكتاب بداية حقيقية، وبداية فعلية.. وقصة.. الآن جاء دور القصة

منذ حجب المقال عن النشر.. لم يعد لى هم .. إلا تعميق تلك الفكرة التى احتواها، والتى تؤكد أن بديل الديمقراطية (المشاركة الحقيقية الفعالة فى تيسير أمور الوطن) عنف.

وإن بديل العدل الاجتماعى .. عنف!!

وبديل العزة الوطنية والقومية .. عنف..

وأن للعنف مظاهر لا تتم دراستها ولا الانتباه إليها.. وأن الحكومة لا تركز تفكيرها وقدراتها إلا على العنف السياسى الذى يطول لحمها ــ هى ــ الحى، أما المصرى، وقيمه، ومستقبله   فموضوع لا يخطر على الأذهان!!!.

(*) راجع "خريف الغضب" لمحمد حسنين هيكل. و"مذكرات صلاح حافظ "مايسترو الصحافة المصرية" لرشاد كامل.

ورحت اجمع مادة الكتاب

* * *

كان السادات وقتها قد أسكت الصحف القومية، وراح يتوعد الأحزاب وصحفها المعارضة .

ــ علنا ــ متهما ما تكتبه بأنه "تجاوز وبذاءات"، مهددا بأن للديمقراطية أسنان .. وأنياب، لقد أرادها هى الأخرى. ــ الأحزاب وصحفها ــ أن تسكت..

أما هو فلم يسكت..

كان قدره ــ وقتها ــ يقوده إلى نهايته.

كان فى ورطة شديدة الغور ــ فى عام ١٩٧٧ ــ أوصل نفسه، وأوصلنا إليها بسياسته التى يحلو للبعض أن يصفها بالعبقرية!!.

وكانت ورطته شديدة الغور تعبر عن نفسها داخليا وخارجيا

• داخليا، لم يكن يستطيع التراجع أو العمل لصالح الجموع الغفيرة، تلك " الجموع الغفيرة" (السواد الأعظم) التى روعته فى يناير ١٩٧٧، وأرته نهائيته، قبل النهاية الفعلية بأربعة أعوام، وشهور تسعة (تقل قليلا)، كان التراجع يعنى أن يتخلى عن الطبقة الانفتاحية " المسعورة" التى أفرزها عصره، والتى أنشبت أظافرها فى كل شيء من حوله، حتى أصبحت (فعليا، وثقافيا بممارسة الردح الاعلامى ضد مهاجميه) هى التى تحميه، فضلا عن أن أحلامه وأحلام أسرته الصغيرة والكبيرة، كانت ضمن أحلام تلك الطبقة، لقد تصور السادات أن عليه أن يرسخ قواعد تلك الطبقة السعرانة!!، كى تترسخ قواعد حكمه.. غير هذا، كانت صورته أيضا لدى الغرب وأمريكا بالذات (التى لم تحم أحدا من أنصارها من قبل!!!) على أنه المؤيد للرأسمالية، تلك الصورة التى كانت تهم طموحاته كثيرا، ستهتز إذا ما تراجع، أيضا صورته فى مرآته هو، التى رسمها لنفسه ــ خطأ ــ على أنه آخر الفراعين ــ

المؤمن .. الملهم.. و ... كانت سترتج، ولم يكن السادات مستعدا لاهتزاز صورتـــه لدى طبقته ولدى الغرب أو فى مرآته الخاصة.

- سبب آخر ـــ مهم كان يمنع السادات من التراجع، هـــو أن الإتجاهـــات الدينية التى لم يتوان السادات عن النفخ فى قدراتها (كانت هناك اتجاهـــات دينيـــة أخرى يعتبرها السادات من أعداء نظامه أو من أنصـــار العدالـــة الاجتماعيـــة أو ووصف أعضائها فيما بعد بأنهم شيوعيون أطالوا لحاهم) إذ رآهـــا ـــ الاتجاهـــات الدينية التى كان يؤيدها وتؤيده ـــ حليفة طبقته الجديدة الوحيدة، فى مواجهة اليســـار (من الشيوعيين والناصرين الذين راح يضربهم بعنف، بعد أن حملهم أثـــام ثـــورة الحرامية فى يناير ١٩٧٧ والتى كـــانت بحـــق انتفاضـــة ضـــد الحراميـــة وفـــى مواجهتهم). وراح يصفهم بأنهم " المتاجرون بآلام الشعب "!) كانت تلك الاتجاهـــات الدينية، لن تقبل تراجعه، فقد كانت ضد أى صيغة ـــ ولو مهتزة ـــ للاشتراكية، لقد كانت تلك الاتجاهات فى حقيقة أمرها ـــ تستخدم الفقراء لتحقيق مصـــالح طبقيـــة، رأسمالية، بدعوى أن الاشتراكية ـــ بهتانا ـــ هى الإلحاد، وهى الوقوف ـــ افـــتراء ـــ ضد سنن الله فى عباده، وأن الزكاة ـــ قصورا ـــ هى المشـــروع الاقتصـــادى الاسلامى، القادر على حل مشاكل الفقراء، وأن الإسلام ـــ ظلما ـــ ديـــن التكـــافل الاجتماعى (فدعونا من العدل وسيرته .. التكافل أحسن)!!.

وهكذا ظن السادات أن تراجعه يعنى انقلاب كل حلفائـــه ـــ فـــى الداخـــل والخارج ـــ عليه

- خارجيا، كان السادات فى ورطة رهيبة، فهو من باب " العقلنة" وعـــدم التشنج (اللذين يعنيان ارتضاء ما يرتضيه الغرب لنا) كان قد ضحى بالاتحـــاد السوفيتى ـــ وقتها ـــ كمصدر رئيسى لتسليح قواته المسلحة، (ظانا ـــ وبعض الظن اثم ـــ أن الغرب سيسلحه!)، وكان قد انغمس حتى أذنيه فى متاهة فض الاشـــتباك، على مراحل، مع العدو الصهيونى، برعاية الولايات المتحدة الأمريكيـــة .. الأمـــر الذى كان يتعثر تعثرا مخزيا .. لقد بات واضحا أن مصر التى انتقلت مـــن صفـــر

الهزيمة وتحطيم أداتها العسكرية بالكامل، إلى الفعل الأكتوبرى المبهر (بكل المقاييس) فى ست سنوات (كان من الممكن أن يقلوا عن ست)، مصر هذه ــ التى خرجت من الحرب منتصرة (رغم أنف المتعقلين) تتعثر أربعة أعوام ــ كاملة ــ فى طريق فض الاشتباك الوعر، الذى صمم السادات ــ استراتيجيا وارضاء للغرب ــ على أن يخوضه.. وها هو ذا فى ١٩٧٧ لا يرى له نهاية .. وها هو ذا يرى وقد ضحى بمصادر تسليحه (لقد كانت التضحية بالاتحاد السوفيتى كمصدر للتسليح خطيئة كبرى فقد كان الاتحاد السوفيتى منذ النصف الثانى من السبعينات، مستعدا لبيع أى شيء.. ولا أظن أن الهند النووية، والباكستان النووية إلا نتاجا لاقتناص تلك الفرصة) ها هو يرى وقد ضحى بمصادر تسليحه أن التوازن التسليحى الذى اختل فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة لصالح مصر (خرجنا من الحرب والميزان العسكرى يتراوح فى الطيران بين ٣ : ١ لصالح مصر وفى الدبابات ٤ : ١ لصالح مصر، ناهيك عن المدد البشرى الضخم فى مصر) قد تم تعويضه كاملا لصالح اسرائيل فى الفترة من ٧٣ ١٩٧٧(*)، وأن الأمريكيين الذين لا يكيلون أبدا بمكيال واحد، مصممين على تدعيم التفوق التسليحى لإسرائيل، وأن يكون الميزان ثقيلا فى كفتها إذا وزنت مع كفة العرب مجتمعين.. (وبالطبع لم تكن طبقته الانفتاحية وحلفاؤها من الاتجاهات الدينية .. يقبلون عودته للاتحاد السوفيتى، ولو كمصدر تسليح، فضلا عن أنه كان قد قطع كل الجسور بينه وبين الروس).

كانت تلك ورطة السادات داخليا .. وخارجيا .. (التى أوصل نفسه وأوصلنا إليها بسياساته) ونتيجة لتلك الورطة .. كان على السادات العاقل، المتعقل "أن يأتى بأفعال لم يكن من الممكن أن تتصف بالعقل!!!.

(*) راجع أمين هويدى. الفرص الضائعة

• في مواجهة اليسار (المغامر، المتاجر بالآم الجماهير!) راح يتاجر هو بالرخاء العميم القادم.. (بينما سياساته تبشر بتركيز الثروة فى أيدى القلة من البعض، وسحق الجماهير العريضة).

• وفى مواجهة العنف الشعبى المتصاعد، راح يعد مسارا تسريبيا للعنف هو "الفتنة الطائفية" .. (راجع تصريحات السادات عن ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية على كل المصريين، وتصريحاته ضد البابا المسيحين .. ووصول الأمر إلى ذروته بعزل الباب الذى التجأ إلى دير وادى النطرون).

• فى مواجهة فشله سياسيا فى تحقيق النتائج التى أسفرت عنها حرب أكتوبر الخالدة التى قلبت نظرية الأمن الاسرائيلية رأسا على عقب ـ حقا وصدقا ـ راح يعد للصلح مع إسرائيل، والى نزوله السينمائى فى مطار تل أبيب (التعبير لجولدا مائير، .. ووقوفه فى الكنيست الإسرائيلى يخطب السلام، وفوق رأسه حفر غائر على الحائط يقول إن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، زاعما ـ وبعض الزعم إثم ـ أن المشكلة لا تزيد عن كونها مجرد حاجز نفسى بين العرب وإسرائيل، بينما بيجن يتكلم عن يهودا والسامرة مملكتى إسرائيل اللتين أقامهما داوود المحارب (صاحب النجمة السداسية) المملكتين اللتين تلتهمان مزيدا من الأرض العربية غير ما تسيطر عليه إسرائيل الآن بالفعل! .

اضطر السادات العبقرى(!!) إلى تلك الأمور الثلاثة .. وكان فى تلك الأمور الثلاثة مقتلة ..

لقد تصرف وبوحى عبقريته (التى روج لها أنصاره وجوقته الإعلامية) مضطرا فقتلته اضطراراته .. وقتلته العبقرية المزعومة.

كان الرخاء الذى لم يأت، عاملا مؤثرا فى مقتله..

وكانت الفتنة الطائفية عاملا

وكان صلحه مع إسرائيل قشة ضربت ظهر البعير فقسمته

لقد كان القدر يعد لعبقرية السادات منذ بدايـــة العـــام ١٩٧٧ إلـــى نهايـــة السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١، ضربات ستقود البطل التراجيدى إلى حتفة المقدور.

فالسادات الذى فرح بتحطيـــم حركـــة الصغـــار (الطـــلاب) واليســـاريين (شيوعيين وناصريين)، تلك التى واراها وراء قضبان ثخينة، من التشويه، والقمـــع، والتهديد، واستعداء التيارات الدينية المواليـــة لطبقتـــه الحاكمـــة عليـــها.. ووارى زعماءها فى زنازين مقفلة، السادات الذى فرح بذلك، طلعت له حركـــة معارضـــة من الكبار " المعتدلين" تحت قبة البرلمان (نجومـــها الاســـتاذ محمـــود القـــاضى، والاستاذ ممتاز نصار، والدكتور محمد حلمى مـــراد، والاســـتاذ علـــوى حـــافظ، والاستاذ عادل عيد، وآخرون) كانت محمية بالحصانة التـــى لـــم تكـــن للصغـــار ولليساريين، ولقد رآى السادات من تلك المعارضة، التى حل مجلس الشعب، وزور انتخابات البديل الجديد، ليتخلص منها بعد زيارته لتل أبيب [لم يستطع التخلص من الاستاذ ممتاز نصار، فقد وقف أنصاره فى البـــدارى التابعـــة لأســـيوط بالســـلاح (العنف) فى مواجهة التزوير..] رأى السادات من تلك المعارضة هولا، إذ تركـــزت ضد الفساد الذى استشرى فى عصره، والعمولات (التى لم يبرأ هو منها)، وضـــد معاهدة الصلح مع إسرائيل.. وضد عدوانه السافر علـــى الديمقراطيـــة، وقوانينـــه العجيبة، من نوع "قانون العيب" وحماية الوحدة الوطنية"، التى هندسها الاستاذ أنـــور أبو سحلى . الذى بدأ بمصادرة صحف المعارضة فى كرسى القضاء، وانتـــهى مفصلا للقوانين، القاتلة للحريات فى مقعد الوزارة (وزارة العدل!!!) رأى السادات من رموز المعارضة هؤلاء مالم يكن يحب أن يـــراه، أو يتصـــور أنـــه ســـيراه، خصوصا عندما أنضمت له النقابات (وأبرزها نقابة المحامين فى ذلك الوقت).

والسادات الذى عمد إلى تسريب العنف فى متاهات الفتنـــة الطائفيـــة، وراح ينفخ مزيدا من القوة فى صدور الاتجاهات الدينية المناوئة لليسار فى الجامعة حتـــى سيطروا على عدد ضخم من اتحادات الطلاب بعد أن خلت الساحة لهم (فى ديسمبر ١٩٧٧).. وفى صعيد مصر (حيث الأقباط الأثرياء)، متمركزين بحركتـــهم حـــول أسيوط الجامعة تحت رعاية منشئهم، وراعيهم محمد عثمان إسماعيل (ولقد وصـــل

الأمر بالسادات فى ١٥ مايو ١٩٨٠، إلى أن يتهم الأقباط المصريين ـ علنا ـ بأنهم يحاربون فى صفوف الميلشيات المارونية فى لبنان، بالطبع ضد العروبة، والإسلام، وأن يتهم البابا شنودة الثالث نفسه بأنه يسعى إلى إنشاء دولة للاقباط فى صعيد مصرا وأنه يرتب لأن يتخذ أسيوط عاصمة لها) السادات الذى فعل كل ذلك (وأكثر) لتهييج الفتنة الطائفية، وجد نفسه فى "حيص بيص " مع الغول الذى صنعه (الجماعات الدينية والتيارات الإسلامية الموالية له) عندما قرر أن يستضيف الشاه المخلوع بثورة إسلامية (!) فى إيران (ربما ليقول لأمريكا .. لا يصح أن تخلعى يدك هكذا من أنصارك!)، بل وعندما أراد أن يواجه البابا شنودة، فقال " لا سياسة فى الدين، ولا دين فى السياسة" فاعتبرها الأنصار موجهة لهم أيضا ، وأيضا حين سعى للصلح مع إسرائيل (اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين).

ولوجه الحقيقة وللتاريخ (*)، فإن السادات لم يفهم الجماعات الإسلامية فى مصر، أما هم فقد تصوروا أنهم فهموه !!!، كان السادات ينظر إليهم على أنهم "أداة" يستطيع ـ بل يسهل ـ عليه استخدامها (هذه النظرة اكتسبها قبل الثورة فى علاقته بالأخوان المسلمين، وبعد الثورة كممثل لمصر فى المؤتمرات الإسلامية، ومن علاقته بكمال أدهم. صهر الملك فيصل، ومن علاقته بعثمان أحمد عثمان الذى أجاد اللعب على ذلك الوتر الدينى خارج مصر فى عهد عبد الناصر، وفى داخلها فى عصر صهره وصديقه ورفيقه أنور السادات) وكانوا ـ الجماعات الإسلامية ـ هم ينظرون إليه على أنه فرصتهم التاريخية .. أما الحقيقة فكانت عكس تصورات الطرفين.

للحقيقة، لم تكن التيارات الدينية أداة فى يد السادات يسهل استخدامها.. فالتيارات الدينية فى مصر لم تكن فى أى وقت من الأوقات كما متجانسا .. ففضلا عن أن التيارات الدينية الناشئة بعد نكسة ١٩٦٧، كانت تختلف كيفا عن سابقاتها

(*) لى كتاب عن " العنف القادم .. فى مصر" سيصدر قريبا وسيوضح الصورة.

اللاتى نشأت قبل ٦٧، وكان منشأ الاختلاف .. أن التيارات الإسلامية قبل ٦٧ فرحت بالنكسة، إذا كانت دليلا على فشل النظام الذى كانت تواجهه .. (تذكر قول الشيخ الشعراوى، "لقد سجدت لله شكرا على نكسة ٦٧")، وكانت تؤذن ـ النكسة ـ بنهاية الجبار (جمال عبد الناصر) الذى روعهم فى معتقلاته الرهيبة .. (انظر البوابة السوداء، أحمد رائف، الزهراء للاعلام العربى ١٩٨٥) أما التيارات الجديدة (بعد النكسة) فقد نشأت فى مواجهة النكسة وضد الهيمنة الغربية بمحاولة الاستعلاء العرقى عليها .. صحيح أن الاثنين (تيارات ما قبل النكسة والتيارات بعدها) قد استخدموا النكسة فى مواجهة النظام.. لكن الفارق يكمن بين من فرح بها .. وكان يفكر أمميا وله تراث فى استخدام علاقاته بالغرب، وفى استعدائه أيضا على مناوئيه فى الداخل، وبين من أغضبته النكسة ففكر وطنيا (اتكلم هنا عن التيارات الإسلامية حتى مقتل السادات، وليس عن التيارات الأحدث بعد ١٩٨٤)، وصحيح أيضا أن الأمميين والوطنيين (لا أنفى صفة الوطنية عن الأمميين ـ أتكلم هنا عن أسلوب تفكير) كانوا يرون فى السادات فرصتهم التاريخية، لكن الأمميين كانوا أكثر استعدادا للمهادنة، إن لم يكن للقبول به .. (وصحيح أيضا أن كل التيارات الإسلامية، أممية ووطنية، كانت ضد الصلح مع إسرائيل من موقف دينى)، والسادات عندما صنع تيارا دينيا إرهابيا يساند سلطته، لم ينظر إلى وجود تيارات دينية تخالفه نظرة فيها تعمق، ولم ينظر أيضا إلى أن محاولاته فى ضربها لاستحداث تياره الدينى الخاص، لن تمر بسهولة .. ولهذا بقيت التيارات الدينية المعارضة للسادات تحت الأرض مستفيدة فى حركتها من حركة " السماح" الواسعة التى أولاها السادات لتياره الخاص.. وعندما اختلف السادات مع التيارات الدينية كلها حين قال "لاسياسة فى الدين ولا دين فى السياسة"، اختفى التيار المصنوع (وهذه طبيعة الانتهازية فيمن يتم صنعهم) وانشقت الأرض عن التيارات المعادية له .. فى وقت كانت التيارات الدينية الأممية (الاخوان المسلمين ومن خرجوا من عباءتهم، وليس من خرجوا عليهم كصالح سرية وشكرى مصطفى) يمسكون بالعصا من منتصفها، السنتهم ضد الخوارج وقلوبهم معهم...

ذلك التقسيم (بين غير المتجانسين) لم يفهمه السادات، وأيضا لم ينتبه إليه المحللون الذين يتكلمون عن التيارات الدينية (ككم متجانس .. وتيار واحد صنعه السادات ثم انقلب كل منهما على الآخر).

هكذا بدت وقائع ثلاث مستعصية على التفسير، ضمن كثير غيرها.. (وقد حدث خلل كبير فى تفسيرها).

الواقعة الأولى: حدثت بينما كان القاضى يعلن الحكم بإعدام شكرى مصطفى (عام ١٩٧٨).

الواقعة الثانية: حدثت فى جامع صلاح الدين عند كوبرى الجامعة عام ١٩٨٠).

الواقعة الثالثة: حدثت والرصاص ينهمر على أنور السادات فى المنصة (عام ١٩٨١).

كان شكرى مصطفى "أثناء إلقاء القاضى الحكم بإعدامه" يغلوش" صائحا، "يا عملاء الصهيونية، يا أصدقاء بيجن وشامير، يا عبيد الأمريكان"، ولم يذكر غضبته الدينية فى "غلوشته" [ولا مجال للظن ــ طبعا ــ بأنه كان، يريد أن يؤلب الناس ضدهم بما يكرهه الناس لا بما يكرهه هو .. لقد كان يعلم أنه مشنوق! وكان يعلم أن الجلسة سرية، ثم أنه لو كان يريد أن يؤلب الناس على شانقيه، لاختار أن يؤلبهم بالدين].

الواقعة الثانية: حدثت عندما أرادت بعض الجماعات الدينية بالجامعة (وعلى رأسها الجماعة الإسلامية) أن تقيم معسكرا داخل حرم جامعة القاهرة (١٩٨٠)، ورفض التصريح لها، فصممت على إقامته دون تصريح.. فواجهتهم قوات الشرطة واقتحمت الجامعة وأخرجتهم منها (الناس تتصور أن السادات اقتحم الجامعة مرة واحدة فى يناير ١٩٧٢!)، فاندفعوا إلى جامع صلاح الدين عند نهاية كوبرى الجامعة أو بدايته القريبة من قصر العينى واحتلوه، وفتحوا مكبرات الصوت فيه، وهاجموا الفساد، والصلح مع إسرائيل و "التتار الجدد" الذين

يتظاهورن بالإسلام، بينما أفعالهم بعيدة عن تعاليمه.. (إذن لم يكن الأمر أمر دين فقط لكن التدين كان تعبيرا عن غضبة سياسية عارمة).

الواقعة الثالثة: حدثت أثناء تنفيذ اغتيال الرئيس السادات، إذ تصايح الذين هاجموه ليقتلوه "تحيا مصر" (!!) وكانوا أعضاء فى تنظيم الجهاد! [حدث هذا بينما المصريون جميعا مسلمين وأقباط، كانوا يصيحون "الله أكبر" فى لحظة العبور العظيم].

هذه الأحداث الثلاثة، تظهر أن تيارات ما بعد ١٩٦٧ الدينية، قد اختلطت لديها الوطنية التى سفح دمها على رمال سيناء ١٩٦٧، وفى محادثات فض الاشتباك على مراحل والرضاء، المتعقلن بما يريده للغرب لنا ومنا، والصلح مع إسرائيل. مع محاولة الاستعلاء العرقى على الغرب واليهود المهيمنين علينا رغم قدرتنا عليهم التى أظهرتها معارك أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ (استعلاء تعويضيا، فى مواجهة الانسحاق القومى الذى جاءت به الهزيمة الشنعاء، والعقلنة الانهزامية، وللأسف الشديد إن أحدا لم يتتبع ولا يريد أن ينتبه إلى القضية القومية والقضية الاجتماعية لهؤلاء الذين اتخذوا الاستعلاء العرقى ـ الدينى ـ وسيلة لمجابهة سلطة غاشمة كانت دوما (أسدا علينا وفى الحروب نعامة) برغم دمائنا المسفوحة المنتصرة فى مواجهاتنا مع الغرب، (وضمن الغرب اشكيناز إسرائيل وهم اليهود الغربيون)، مستندين على "الله" الذى لا يمكن أن يخذلهم مثلما خذلهم قادة ثورة يوليو ١٩٥٢، فى مرحلتها الثورية والتراجعية). وهكذا أضاعت القوى الوطنية فرصة عظيمة للتحالف والوفاق من أجل انتصار قضايا مشتركة، وعلى رأس تلك القوى الوطنية التى أضاعت الفرصة تلك الجماعات الإسلامية الوطنية نفسها، ذلك أن قياداتها كانت فى أغلبها مخدوعة بالسلطة المشتهاة لرجال الدين

المهم الآن.. اختلف السادات مع حلفائه فى الاتجاهات الدينية، فقويت شوكة غير المؤيدين لسياساته من هذه الاتجاهات، وتسيدوا الساحة، بعد أن مهد "هو" لهم الأرضية بنفسه، وعندما صمم على تأديبهم "واجهوه، ولما اشموا رائحة رغبته فى القضاء عليهم .. قتلوه

لقد قتل الرئيس السادات، وكل الاتجاهات فى مصر تعارضه (عدا طبقته الانفتاحية الشرسة التى لم ينفعه ردحها الإعلامى) من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

وفى تلك اللحظة كان العنف قد استفرد بالصورة واضحا جليا بلا أقنعة ولا تزويق.

* * *

بمقتل السادات واستفراد العنف بالصورة، كانت مرحلة أخرى من قصة هذا الكتاب على وشك أن تبدأ

كنت قد نشرت قصيدة عامية " فى صباح الخير (حملها إليهم شاعر مصر العظيم فؤاد حداد الذى شرفت بصداقته فى سنى حياته الأخيرة، وهى سنى مجده الشعرى الطاغى الذى لن يموت) بعدها طلب الأستاذ لويس جريس (الذى أدين له بفضل كبير وأكن له احتراما أكبر) أن يقابلنى، كانت القصيدة قد نشرت فى عدد صباح الخير الذى صدر يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١، يوم مقتل السادات، (كانت صباح الخير منذ تولى رئاسة تحريرها الأستاذ لويس جريس تصدر يوم الثلاثاء بدلا من الخميس، وإن ظلت تحمل تاريخ الأخير، تجنبا للخميس الذى تتكاثر فيه المجلات الصادرة المنافسة)

ذهبت للاستاذ لويس فى مكتبة لا تعرف عليه، (لم يمنعنى قتل السادات والاضطراب القائم بعد الحادثة من أن أذهب .. بل وأعترف بأننى ذهبت متحينا فرصة الاضطراب لغرض فى نفس يعقوب!)، وعندما قابلنى الاستاذ لويس مقابلة تليق بأخلاقه الرفيعة الرقيقة، تشجعت وفتحت معه موضوع العنف، وموضوع تلك المقالة التى ذهبت بها إلى صباح الخير عام ١٩٧٧، ولم تنشر.. (وكان من المفترض أن تكون البداية الحقيقية لهذا الكتاب) وقلت للاستاذ لويس، إن تلك المقالة كانت تحذر مما نحن بصدده الآن..

ابتسم الاستاذ لويس.. وبعد تفكير قال:

ـ أظن أننا الآن نستطيع أن ننشر هذا الكلام

لحظتها بدأت كتابة المقال الثانى، وذهبت به إلى " صباح الخـير"، ليكون على أن أنتظر أكثر من شهر حتى أراه فى المجلة (فهمت من الأستاذ لويس وقتها أن فترة التأخير تلك، كان يتم فيها تبادل الآراء، مداولة بينه وبين الأستاذ المرحوم صلاح حافظ، عن تحين الفرصة الملائمة لنشر المقال) صدر المقال بعنوان (على غلاف العدد ١٣٥٣ الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٨١) "جامعى يكشف حقيقة الإرهاب: الكبار مسئولون عن غرس الارهاب بين الطلبة"، وكان العنوان الداخلى على الصفحة السابعة (المقال نشر فى فى الصفحات ٧-١٣) "شاب مصرى يقلب المائدة: الارهاب مسئولية الكبار"، وبمقدمة كتبها الاستاذ لويس جريس تسببت فى رعبى وفى "موقف شديد الغرابة.."

كتب الاستاذ لويس جريس فى المقدمة:

"قرر شاب مصرى أن يقلب المائدة، أزعجة اتهام الشباب بالمسئولية عن حركات الأرهاب الدينى (ثم خل بالك من هذه) التى كان عضواً فيها (كتب الاستاذ لويس هذا فى وقت كان يقبض فيه على من تكاسل فى حلاقة لحيته فى الصباح!!) بينما الحقيقة أن الكبار كانوا وراءها."

الحقيقة أن انزعاجا (بل رعبا!) شديدا أصابنى من جراء "التى كان عضوا فيها" هذه (والذى دخل المعتقلات والسجون، يعرف خطورة ما يحدث لواحد لا ينتمى للاتجاه وفصائله المنظمة، وغير معروف لأحد منهم، عندما يجدونه بينهم فى السجن!!).

فى الصباح وجدنى الأستاذ لويس جريس أدخل عليه، ولابد أن وجهى كان مصطبغا بما هو فى داخلى.. فهو ما أن رآنى داخلا، حتى انتابته موجة ضحك طويلة مقهقهة، وقال دون أن انبس بكلمة:

ــ ما تخافش ياسيدى، احنا كتبنا إنك عضو فى الجماعات الدينية الإرهابيــة، بس المباحث صححت لنا المعلومة، وقالت لنا.. المذكور شيوعى

وهكذا تأرجحت فى ليلة واحدة وصباحها بين أقصى اليمين وأقصى اليسار!

والحقيقة أن تلك الأرجحة، كان لها ما يبررها

افهمنى ــ وقتها ــ الأستاذ لويس جريس "بدماثته المعروفة"، إن المــداولات التى طال أمدها وسبقت نشر المقال، قد استقرت على تنفيذ نصيحة قدمها الاســتاذ صلاح حافظ بأن المبرر الوحيد الممكن لنشر مثل تلك المقالة، هو نشر تلك المقدمة (بالجزء الذى أوردته من قبل) لكى يجيء ــ فى المقدمة ــ ما يلى.

"وفى رسالة بالغة الصراحة، طلب الشاب من صبــاح الخــير " أن تنشــر شهادته، وقد لا تؤيد صباح الخير (هنا مربط الفرس) كثيرا من وجــهات نظــره، ولكن الوقائع التى يستند إليها لا يمكن إغفالها . خاصة وهى منشورة ومعلنة علــى الملأ، وتحت نفس العنوان ــ أسرار الحركة الطلابية ــ" (*)

وضحك الاستاذ لويس جريس مردفا :

ــ لم يكن من الممكن أن نقول: إليكم شيوعى يدافع عى الاتجاهات الدينيــة، أو اليكم كاتب محايد يدافع عن القتلة ويتهم القتيل .. الذى هو رئيس الجمهورية!!

ثم اكتست ملامح الأستاذ لويس بالجدية وقال:

ــ الممكن الوحيد، كان أن نصور الأمر على أننا ننشــر آراءهــم، وعلــى لسانهم، لكى نبرر النشر.. فاراؤهم ليست أراءنا بالتأكيد

(*) كان ضمن ما اعتمدت عليه المقالة، كتاب المهندس وائل عثمان [من أقطاب الإتجاه الدينى فــى جامعة القاهرة "شباب الإسلام" فى الأعوام ٦٨ ٧٤، وهو كتاب أسرار الحركة الظلابية. القاهرة ١٩٧٦ وقد تميز كاتبه بالصدق الشديد فيما أورده، وفى شرح وجهة نظره المعارضة للشــيوعيين الذين رآهم يسيطرون على الحركة.

والحقيقة أنتى لم أكن شيوعيا يدافع عن الاتجاهات الدينية. (برغم أن الأستاذ لويس أكد لى فى هذه الجلسة، بحسه الصحفى الذى يستشرف ما سيكون، أن المحامين لن يجدوا شيئا أكثر من كلماتى، ومن منهجى، ليدافعوا به عن قتلة السادات وقد حدث ما توقعه الاستاذ).

والحقيقة أيضا . اننى لم أكن كاتبا محايدا يدافع عن القتلة ويتهم القتيل

الحقيقة.. كل الحقيقة .. اننى كنت كاتبا يتهم القتيل

لقد كنت اتهم السادات بشئ أكبر بكثير من كونه تسبب فى مقتله

ولابد الآن أن أقتبس أجزاء من المقال، لعل هذه الأجزاء توضح ما كنت أرمى إليه ... قلت فى المقال:

" لم يعد على السطح الآن إلا غول الإرهاب البشع، وقد أصبحت القضية الآنية، هى محاربة هذا الارهاب، هذا الغول، والقضاء عليه تحقيقا للأمن"

" وأخاف أن نقضى على طليعة إرهابية، وبلا رغبة نحول البعض منهم إلى شهداء، ينسى لهم من يجيئون بعدهم كل شئ إلا الانبهار بالشهادة، ولا يرون فيهم إلا الهالة التى تحيط بالشهداء والنور الذى يتضوع منهم" [أظن أن تلك النبوءة قد تحققت!]

وقلت:

لا نستطيع الآن أن نجزم بأن "العنف فوق المنصة" سوف يكون آخر محطات القطار المخيف، قد تكون محطات أخرى فى انتظارنا، وفيها هول تقشعر منه أبدان وتتخبط فى دمائها منه أبدان" [وأظن أيضا أن تلك المخاوف قد تحققت].

قلت أيضا :

"إن فلذات أكباد تضيع، فلذات أكباد تتحول ملامحهم الرائعة البهية، إلى ملامح قاسية، تضمر الشر، فلذات أكباد نكرههم وكانوا جديرين بالحب، لولا أن شاهت ملامحهم الجميلة، نكرههم، لكن حسرتنا عليهم تبقى أكبر بكثير من كراهيتنا

لهم، إنهم ـــ من قبل ومن بعد ـــ فلذات أكباد " [وآه كم ضاع من فلذات أكبادنا بعد ذلك!].

وقلت:

" إن رحلة طويلة قضاها الشباب المصرى فى دروب الضياع (والقطار الذى يروعنا ليس قطار العنف .. انه قطار ـــ الضياع، يعبر عن غضبه بالعنف) رحلة كانت نكسة ٦٧ أولى خطواتها".

وأوضحت [فى المقال] أن بنكسة ٦٧ ضاع الحلم، وقد كان على المجتمع أن يتغير إلى الأفضل لكى يعيد ما ضاع، أو يضيع المجتمع فى متاهات العنف ويقع فى براثنه، من أجل هذا طالب جيلنا بالتغيير، وعندما لم تبد فى الأفق ملامح التغيير المطلوب، خلع الشباب ثوب الانتظار، وارتدى ثوب الغضب، وللحق لم يكن غضبه عشوائيا، كان دعوة للتغيير، التغيير إلى الأفضل. وكان ـــ الغضب ـــ دعوة لمشاركة (بل فرضا لها) يريدها الشباب بالديمقراطية، وحرية الرأى وحرية الصحافة، وحرية وجود تنظيماته المستقلة، فى تسيير أمور بلاده، حتى لا يفاجأ بأن أحد أضاع البلاد، وأن السلطة عندما حرمت الشباب من المشاركة " لبست المشاركة ثوب الغضب".

وتساءلت: ماذا تريدون من شباب "يطالب .. يضيع صوته، يشارك .. لايجد مكانا.. أكثر من هذا يشوه ويدان دون ذنب جناه؟"، وقلت: "إننا نتساءل الآن، لماذا شوهوا الصوت البرىء؟، لماذا دفعوه دفعا إلى المعارضة الغاضبة؟، ولماذا يفزع المشوهون (بكسر الواو) من وجه الغول المخيف وكفيه الداميتين، ألم يكونوا يعلمون أنهم يخلقونه؟".

كنت أقصد (وقد وضحت قصدى ذلك) بالغضب.. وبالمعارضة بالغضب، حركة الطلاب الصاخبة من ٦٨ ١٩٧٧

ثم عرضت لكتاب المهندس وائل عثمان، أحد زعماء الإتجاه الدينى الشريف (وأشد الناس عداوة للتيار الذى انتمى إليه)، لأوضح وأنا احلل كلماتــه الصادقــة، كيف عمل السادات على تكوين جماعات دينيــة عنيفــة بغــرض القضــاء علــى الشيوعيين (كانت تلك هى المرة الأولى التى يعلن فيها ذلك الأمر)، وكيف توصــل الكاتب الشريف إلى ما يكمن وراء الستار قائلا: "أدركنا أن هناك من يعمل علـــى ضرب الشيوعيين وشباب الإسلام (الجماعة الشريفة الدينية فى الجامعة التى كـــان ينتمى إليها) فى نفس الوقت، وأن التعليمات كانت تصدر لهذه المجموعـــة (التـــى ترفع شعارات دينية وتستخدم العنف والمطاوى ضد خصوم الســادات اليســاريين) من مكتب أمين التنظيم فى الاتحاد الاشتراكى محمد عثمان إسماعيل".

ثم قلت أن حرب ٧٣ هدأتنا ، لكن بعدها " المشــــاكل التـــى لـــم تحـــل .. تزايدات.. الزواج أصبح مستحيلا ، التعليم لا يجلب شيئا من همه، فئــــات طفيليـــة تكون ثروات خيالية( ) يظهرون للشباب أن الفهلوة أجدى، ومن يرفض الفـــهلوة، فلينعزل .. وليغتظ، وليتجه به غضبه إلى العنف".

وقلت مدينا السادات. وخلقه أو اختلاقه، لجماعات الارهاب المتخفيـــة فـــى مسوح الدين، على حساب جماعات دينية شريفة وطنية تعارضه، الأمر الذى هيـــأ الأرض لمعارضيه المتسمين بالعنف والذين كان خطابهم، نفس خطاب الجماعـــات المصطنعة، فلم ينطق لهم بينهم، قلت "فوجئنـــا بـــهم، نفـــس خطـــاب الجماعـــات المصطنعة، فلم يفطن لهم بينهم، قلت "فوجئنا بهم وقـــد طـــالت لحـــاهم، يشـــبهون الشيوعيين (كل من يعارض السادات شيوعى وعميل فى نظره)، ويقولـــون نفـــس كلامهم (يعارضون الفقر، والفساد، والفشل الإدارى المعهود فى حل مشاكل النـــاس، والاستسلام للغرب بدعوى العقل والعقلانية والصلح مع إسرائيل) فقال الســادات "إن الشيوعيين تخفوا داخلهم (وكان هذا أغرب تحليل للأمر تفتقت عنه عبقرية السادات وردده جوقته من محترفى الردح الإعلامى.. ألم نقل إن الســـادات لـــم يفهمـــهم) وتساءل البعض كيف اجتمع الشامى والمغربى؟".

وقلت عن تلك الجماعات " قيل لهم أنتم المخلصون، واقتنعوا، ولأنهم كانوا يلبسون ملابس فضفاضة، كانوا يستفزون من كل من يرى أنهم ليسوا في حجم ثيابهم .. ولأنهم كانوا يتكلمون بالقرآن والحديث وابن قتيبة وابن حزم وابن كثير، وأحاديث آخر الزمان وغيرها، لم يستطع أحد أن يقف أمامهم، واتجهوا للعنف ( ) وهم يحملون غيظا من المشاكل الاجتماعية وكلهم من أبناء الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة التى جعلتها الأسعار تندفع منحدرة إلى دفاع المجتمع".

" ليس الأمر شيوعيين أو فتنة طائفية".

" الأمر غضب شريف للشباب، يشوه ويقمع فينحرف إلى ساحات العنف"

وقلت:

لن يكون العنف فوق المنصة آخر الخطوات أو آخر المحطات "لقطار الضياع" إلا إذا استطعنا أن نوقف القطار نهائيا، وهذا يستلزم منا الكثير، إلى جانب القبض على البعض، والمحاكمة، والجزاء.

كان هذا بعض ما كتبته فى المقال، ودم السادات لم يجف بعد!!.

وبدون إدعاء زائف للتواضع، انقلبت المائدة!! (كما جاء فى وصف الأستاذ لويس جريس لما كتبته) وتحول الأمر من مجرد مهاجمة التيارات الدينية العنيفة إلى محاكمة "بالرأى" للمسئولين عن أزمة الشباب، وعن زرع بذرة العنف(وعلى رأسهم السادات بالطبع) وكان ذلك ما قصدت إليه تماما

أيضا، وبدون ادعاء زائف للتواضع، أصبح قاموس المقال (العنف، غياب الحلم، حادثة المنصة، عزلة الشباب، الغضب الشريف، وغيرها..و) مدارا (بل وعناوين) لكتب كبيرة فيما بعد، كتبها كتاب كبار للغاية .. (**).

(**) وإن كان الأستاذ محمد حسنين هيكل قد قصر وصف الغضب على ذلك الخريف الذى اغتيل فيه السادات.. ولم يكن قد مضت على بدايته غير خمسة عشر يوما.!!! ــ أقصد الخريف.

وبرغم أن صباح الخير (معذورة) لم تستطع وقتها ــ أن تفسح لى مساحات أخرى لاستكمال تلك البداية الثانية، بعد البداية الحقيقية الموؤدة (أيضا اغدرها فى ذلك) إلا أن ما حدث كرد فعل للمقال شجعنى على أن أعد كتابى هذا "الجيل الذى واجه عبد الناصر والسادات"، ومن الجيل تلك الجماعات للدينية التى مارست العنف وكتابا آخر .. أرجو أن يظهر قريبا عن "العنف القادم فى مصر"!

* * *

فى الفترة من أكتوبر ١٩٨١ وحتى منتصف عام ١٩٨٤، كان العنف قد هدأ تماما واختفت للفتنة الطائفية كأن لم تكن، برغم هذا لم أتصور للحظة واحدة أن العنف لن يندلع مرة أخرى .. وبصورة أخرى ذلك أن أسبابه كانت ماتزال سارية ــ وبالطبع لم تكن الصحافة مستعدة لفتح السيرة "مرة أخرى"!!، حتى بدأت شواهد جديدة لعنف آت تظهر حول المساجد أو الزوايا فى مناطق الفقراء العشوائية فى الفيوم، ومدن أخرى من مدن الصعيد، حتى وقد بدأت الجرائم ضد ممتلكات الأقباط وفى كنائسهم فى الوجهين البحرى والقبلى والقاهرة، تلك الجرائم التى تقوم على مبدأ " الاستحلال"، ولا يكون الهدف منها كما عودنا أبطالها، إلا تمويل موجة عنف قادمة .. برغم كل هذا لم تكن هناك أذن تريد أن تسمع شيئا عن العنف!!! (بدأت الشواهد الجديدة فى العام ١٩٨٤). إلى أن صجت الإذان جميعا على صوت انفجاراته المدوية، ومنظر نزيفه الهادر.

حاولت ولم أستطع

إلى أن أنقذنى صديقى الشاعر الجميل جمال بخيت وأنقذ هواجسى التى لا تريد أن تتركنى، والتى كان من الواضح أننى لن أتخلص من تأثيرها المدمر إلا إذا كتبت عن الموضوع.

أنقذنى جمال بخيت وأنقذ هواجسى وأنقذنى منها

كان ذلك فى فبراير ١٩٨٥.

فى ذلك الوقت أندلعت سلسة من جرائم الاغتصاب .. (فتاة المعادى وخمس حالات أخرى) ... وكتب جمال بخيت عن السلسلة الآثمة متهما الكبت الجنسي الذى يعانى منه الشباب، الشباب الذى أطاحت الظروف الاقتصادية ــ بعيدا عنه ــ بسن الزواج...

قال جمال بخيت فى نهاية مقاله "بصباح الخير":

أحذروا الظن بى ...

أنا لا أخرف "

" وفإننى على استعداد لأن أترك هذا الموضوع إلى الأبد، وعندى من الحماسة ما يكفى لحملة صحفية تتناول محاكمة الكبت وإثارة هذا الموضوع مع رجال الدين والتربية والاطباء والمسئولين عن الإسكان".

كان من الواضح أن جمال بخيت يتوقع أن تفتح عليه فرقة "الردح الإعلامى" ــ الجاهزة أبدا ــ نيران أبواقها.. لتتهمه هو، وتغلوش على الموضوع.. كان يتوقع ذلك وإلا لما قال إنه على استعداد لأن يترك هذا الموضوع إلى الأبد"!!.

أخذتها فرصة وقررت أن أكتب مرة ثالثة ــ عن العنف !!! وأيضا فى صباح الخير" وقلت فى المقال:

"تعرض جمال بخيت لقضية خطيرة فى مقاله "حاكموا الكبت أولا" هى قضية الكبت الجنسى الذى يعانى منه الشباب والذى يكمن وراء حوادث الاختطاف والاغتصاب وأشار ككاتب واع إلى الأزمة الإقتصادية بأصبع الإتهام ــ تلك الأزمة التى تهددنا بأن "جيلا كاملا لم يوفر له المجتمع فرصة ممارسة الجنس بالطريقة المشروعة التى حددها له الدين، وتحددها القيم عن طريق الزواج، فلا عمل مناسب، ولا شقة تسمح له ببدء حياة زوجية شريفة فى سن مناسبة ..."

وقلت إن جمال بخيت "على حق فيما وصل إليه.. ولكن ! .. هل المشكلة كبت جنسى فقط؟!

وقلت:

إن هناك كبتا (أكبر بكثير من أن يكون جنسيا فقط) يعبر عن نفسه بالرغبة في العنف .. وإن اتخذ شكل الممارسة الجنسية، وهذا الكبت ليس جنسيا، لأنه لن يحلل ظاهرة العنف تحليلا كاملا".

ذلك أننى كنت قد لاحظت، شيئا وراء جرائم الاغتصاب، هو نفس الشىء الكامن فى تغيير نوعية الجرائم العادية .. فقلت.

أولا : تعالوا نفرق بين ممارسة الجنس الامشروع، وبين تلك الطقوس المرعبة لممارسته بكل هذا العنف .. [قهر الخطيب (فهم كانوا يختطفون البنت وخطيبها!!!) وإيلام الضحية جسديا ونفسيا إلى أبشع حد..].

إن ما يخيفنى حقا فى الصورة هو هذا العنف البشع".

" فى حالة الفيوم مثلا .. طلبوا من الضحية، بعد أن نالوا ما يبتغون، أن تأتى فى اليوم التالى من أجل المزيد، لم يكن الدافع إذن تصريف حالة وقتية.. (المكبوت جنسيا يصرف كبته محاذرا أن تتعرف عليه الضحية.. لكننا فى مثل هذه الحالة أمام أفراد قرروا إذلال من اغتصبوها وإذلال خطيبها أثناء الاغتصاب وبعده إن هذا بوضوح شىء أكبر من الكبت الجنسى الذى كان قد استراح بعد ممارستهم الآثمة).

ثانيا : تعالوا نثبت أن هناك كبتا أعم هو ما وراء حوادث الاغتصاب، والخطف، لماذا؟ حتى لا تنفصل تلك الجرائم عن صور العنف الأخرى.. العنف السياسى.. زيادة عدد الطعنات فى الجرائم العادية .. سبعون طعنة !!! (راجعوا صفحات الحوادث) سرقة شقة بعد قتل خادم ضعيفة لا تستطيع المقاومة!ولا تستطيع أن تدل على الفاعلين لأنها لم تكن قد رأتهم من قبل!، قتل الأمهات بعدد كبير من الطعنات! قتل عمة أو خالة، وطفلتين كبيرتهما فى الثالثة (!!) والصغرى رضيع !!، انتشار أقراص الهلوسة إلى حد يدعو الباحثين إلى الهلوسة! و .."

"لا رابط بين كل هذه الجرائم غير العنف، عنف على الآخرين وعنف على النفس، عدوانية ضد الآخرين وعدوانية ضد النفس".

"هناك عنف .. عنف .. عنف ..، والاغتصاب أحد صوره (وما لا ينشر أكثر مما ينشر بالطبع)

ثالثا: هل الفقر وحده وراء جرائم الاغتصاب العنيف وأشكال العنف الأخرى فى الجرائم؟ .. الفقر دافع خطير لا نستطيع تجاهله كما وضح جمال بخيت ولكن أليس فى ممارسى الاغتصاب (حرفى) يكسب الكثير ولا يعرف كيف يحسن انفاق الكثير الذى يكسبه؟، أليس فيهم (ممارسى الاغتصاب) مثلما فى الجرائم العنيفة واحد من أثرياء الطبقة الطفيلية .. أو ابنائها؟، إن الأمر احتاج إلى "عربة" ونقود، وغطاء بالنفوذ فى إحدى الجرائم أو بعضها .. المشكلة أن فيهم من لديهم المال والامكانيات والنفوذ أيضا .. إذن ليس الفقر وحده وراء هذه الجرائم العنيفة !!".

"إن ماوراء هذه الجرائم هى الأزمة الاقتصادية، تلك الأزمة التى تعبر عن نفسها، بأن هناك **"فقر بلا داع وغنى بلا أساس"**.

"المتعلمون أغلبهم فقراء وكانوا يحلمون بحياة أخرى يوفرها لهم علمهم، أى خيبة أمل؟، وبعضهم خدم تكنوقراطى لأصحاب الثراء من أمثال "شيال المنياء" .. أى مهانة !!! والبعض صار مضطرا للخدمة بعلمه فى بلاد أخرى، تمتص أعمارهم، ليعودوا ويفاجأوا وبأن التجار والسماسرة وأصحاب العقارات (الناطحة للبشر!!) يمتصون بعد أعمارهم ما أضاعوا أعمارهم من أجله .. أى غيظ"!.. هؤلاء ألا تمكن فيهم بذرة عنف!!."

"ثم (البلطجية) .. صاروا أغنياء .. قلب ميت وتجارة فى الممنوع وتحايل جرئ على القانون أو بالقانون، ثم ثروات مفاجئة يتم الإعلان عنها تليفزيونيا ... إذا تكلم الناس فإنه الحقد!!، وإذا تكلم المدعى الاشتراكى، فنحن "تخيف رؤوس الأموال"!! وإذا تكلم الناس فإنه الحقد!!، وإذا تكلم المثقفون، فهم يتاجرون بآلام

الشعب الكادح!!، ويشوهون الحقائق، ويبلبون، ليعرقوا مسيرة الإصـــلاح (...) وإذا فاض الكيل، فهى انتفاضة حرامية".

"الذى باع نفسه بسهولة، ليحصل على ثروة لا تستطيع شــراء نفســه مــرة أخرى (..) ألا يجد لذة فى تعذيب الآخرين، من يستهن بنفسه، يســتهن بــالغير .. وابنه .. ابنه الذى حصل على كل شئ بينما الجميع من حوله يتهامســون بحقــارة أبيه (...) ماذا يحوى داخله غير البذرة العنيفة؟".

"والحرفيون .. (إننى لست ضد ثرائهم). هؤلاء بدلا مــن أن نفيدهــم بــ "التعاونيات" ونستفيد بهم نتركهم للمخدرات، التى لا تكفى فيضاف إليها الخمر، فــلا يكفيان فيضاف إليهما "الماكس فورت" ونحتقرهم ونلعن ثراءهم، كــأن ذنبــهم أن المتعلمين فقراء بعلمهم!!، وأن هناك من المتعلمين من يعلمهم كيفية التــهرب مــن الضرائب صباحا، ويرص لهم "الحمص الملهلب" فى الليل طمعا فى "نفس" ينســيه همه، ينسيه أنه يضطر للعمل فى خدمة الجهل، وكل ذلك ليحل المتعلم (!!) مشكلته فرديا بعد أن نتفنا ريش الحل الجماعى، وضحكنا إذا رأينــاه عاريــا بيننــا بــلا ريش!!".

"ليس الفقر وحده متهما، لكن الثراء بلا أساس متهم .. أى أن الاتهام يوجــه للخلل ... للاتوازن .. وفى الخلل تترعرع بذرة غضب يعبر عن نفسه بالعنف".

"هناك عنف .. عنف .. عنف ..".

"عنف رغم وضوحه، نراه متخفيا فى صورة جرائم فردية!".

"وقلت :

لا تعودوا إلى الكلام عن فئة ضاله، وإفراد منحرفين ... و... و... وتدفنــوا للرؤوس فى الرمال".

"هل سيظل العنف معبرا عن نفسه بالجرائم الفردية؟!، لا أظن ..."

وقلت أيضا:

"لقد كتبت فى هذه المجلة (صباح الخير)* بعد حادثة المنصة ما ألخصه فى جمل قصيرة الآن.

ـ قلت "إن ضياع الجيل هو سبب العنف، وليس العنف هو ضياع الجيل".

ـ وقلت "إن علينا بالمبادرة بحل المشكلة الاقتصادية (فقر بلا داع وغنى بلا أساس) .. وحل مشكلة التعبير الديمقراطى التى تجنبنا اليأس الذى سيروعنا بالعنف بين الحين والحين".

ـ وقلت: "إن علينا ألا ننخدع بالقشور، فلا فتنة طائفية هناك، ولاتيارات خارجية تتحكم فى شبابنا، ولكنه الغضب، الغضب الشريف".

"وأى جديد جد؟"

"أقولها بصراحة والأرزاق على الله ـ يوجد من يحاولون دائما عرقلة مسيرة الإصلاح.... "عندما حانت الفرصة لمشاركة الشباب فى الإصلاح، كان هناك البعض الذين يحاولون اقناع البلد بقانون الانتخابات (الجديد)، هذا القانون الذى جعل الشباب يحجم عن المشاركة متصورا أن لا فائدة، ثم كانت هناك شبهة التزوير"، و"كان هناك من يجعجعون بالجرعة الزائدة من الديمقراطية التى لن تحتملها معدة الشعب الطفل، وكأن الديمقراطية ـ حقنا ـ من الممكن أن تسحب منا بسهولة!، وكان هناك من يتغاضون عن تعذيب المسجونين السياسيين الذى اثبته القضاء، وكان هناك أيضا ونحن نؤكد قدرتنا الذاتية وانتماءنا العربى، وعدم انحيازنا، من لا يتوانون يوما عن تأكيد الحقيقة الوهمية، بأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا (...) ومن أسموا محاولة الإصلاح الإقتصادى الأخيرة التى تتحسس خطاها بأنها عودة للانغلاق الأسود، صائحين بأن القرش الأبيض لا يعمل فى الانغلاق الاسود".

وقلت فى نهاية المقال:

(*) كنت اشير الى مقالى فى ١٠ / ديسمبر ١٩٨١، والتى جاء ذكرها من قبل فى هذه المقدمة.

"حكموا العقل .. وإلا سيبقى العنف عدوا مختفيا تحت الرماد، أو عدوا رغم وضوحه، يتخفى فى صورة جرائم فردية..."

وبعد ..

فلعل القارئ قد لاحظ (أو هو لابد فعل) أن المقالة الأخيرة .. قد حذرت ولم يكن على السطح وقتها إلا بوادر شاردة "تومئ إلى أن العنف لن يبقى متخفيا فى صورة جرائم فردية (وهذا ماحدث) وحذرت من عنف سيصنعه الفقراء ولم تمض غير سنة بالضبط ــ من فبراير ١٩٨٥ إلى فبراير ١٩٨٦ ــ حتى اندلعت أحداث الأمن المركزى [وكانت احتجاجا عنيفا للرعاع ... إننى لا أقصد هنا بالطبع أن أهين جنود الأمن المركزى، ولكننى أقصد إدانه الحريصين على انتقائهم ممن لا يعرفون شيئا على الاطلاق .. ليزيدوا ما من تجهيلهم بدعاية قادتهم المغرضة، عامدين إلى إذلالهم لإطلاق الوحشية داخلهم، ثم بعد ذلك يقودونهم فى حملات بربرية لاقتحام بيوت الناس فى الصعيد، مشيرين عليهم وسامحين لهم باعتبار ما يجدونه من ممتلكات الناس غنيمة يحل لهم أن يحصلوا عليها .. (ولو لم يكن كل ما أقوله صحيحا، لما عمدت الحكومة إلى إخفاء أوراق القضية واعتبارها نسيا(!!)، منسيا وكأن شيئا لم يحدث وكأن ممتلكات الشعب لم تهدد وتحرق!!، وكأن فوضى لم تعم، وترويعا لم يحدث بنفس للطريقة التى تعدها الحكومة لخصوصها ... لقد كفت الحكومة على الأمر "ماجورا" ولم تنتبه، إلى أن الفارين منهم .. فروا بأدوات وكيماويات الإحراق ... وأن هذه الكيماويات ظهرت بعد ذلك فى أيدى انصار العنف الدينى فى موجة حرق نوادى الفيديو .. لقد اتحد الهاربون مع الهاربين من أعضاء الجماعات، واختفوا جميعا فى المحاجر .. وعادوا لنا ليروعونا بمواد حارقة تتعجب لماذا وضد من كانت تمتلكها الدولة؟!!)].

أيضا .. للقارئ لابد لاحظ أن المقالة حذرت من تصاعد العنف اجتماعيا وسط طوائف المتعلمين وشرائحهم الطبقية .. (وأننا شاهدنا بعدها، المدرس،

والمحامى، والطبيب، والتاجر بين صفوف جماعات لم تكن تضم إلا الطلبة صغار الحرفيين...).

ثالثا: لابد وأن القارئ قد لاحظ تحذير المقالة من البلطجة المستشرية، [ولعله الآن يذكر .. أحداث جمهورية إمبابة الإسلامية التى قادها طبال، صار بلطجيا، ثم داعية إسلاميا يجهل كل شئ عن الاسلام، ويعرف كل شئ عن العنف .. تلك الجمهورية التى قامت الحكومة بحمله عسكرية من قوات الأمن وقوات مقاومة الارهاب للقضاء عليها، وكان على الحملة أولا أن تزيح أكوام القمامة لتصل إلى حكام جمهورية إمبابة (التى لا تشبه جمهورية زفتى إلا فى المعنى المتداول للاسم..) ولعل القارئ يذكر أيضا احتياج الشعب والحكومة مؤخرا إلى إصدار قانون ضد البلطجة المستشرية من مجلس الشعب.

رابعا: وأظن أن القارئ قد لاحظ، إنه لم تمض سنوات حتى عرفنا أن من أبناء الطبقة الجديدة من يمولون العنف الدينى (رغبة فى التطهر بالدين، ورغبة اشد فى العنف) دون معرفة من آبائهم، ثم عرفنا أن آباءهم يمولون العنف الدينى دون معرفة من أبنائهم [ذلك أن العنف الدينى السياسى، يشل يد الحكومة، ويشغل وزارة داخليتها، وأن استشراءه خير وسيلة لقمع جميع المواطنين، وتأجيل الكلام عن أى إصلاح ديمقراطى، يفضح فسادهم، واستغلالهم لنفوذ البعض، ويكشف عملياتهم التى لا تمت إلى نزاهة رجال الأعمال بصلة، وتهربهم الضريبى، وعدوانهم الاستهلاكى الفج على فرص الاستثمار، تاركين المغامرة ـ سواء تجارية أو صناعية ـ للأموال التى يقترضونها من البنوك ـ عارفين أن الهرب بعد تهريب الأموال ممكن، غير عابئين بالضحية المستنزفة، الدخل القومى المصرى .. فضلا عن أن الارهاب يقوى شوكة الامريكيين (لاحظ أن أمريكا بسبل غير مباشرة تدعمه، وتدعم رموزه وتفسح لها مكانا عندها سواء كانوا من مصر أو من الجزائر ولا تغرنك المحاكمات الصورية التى لا تبدأ إلا بعد عمليات إرهابية تمس اللحم والدم الأمريكى الغاليين) ومطالبتهم بمزيد من الخصخصة، إذ أن الإدارة فى مصر تثبت بفشلها الإدارى فى مكافحة الارهاب، إمكانية فشلها فى

إدارة ممتلكات عامة نيابة عن الشعب (وهانحن ذا قد وصلنا إلى الخصخصة، بعد اكتمال المصمصة!)].

والغريب .. أن بعض المثقفين، ينادون الآن بضرورة تأجيل الإصلاح الديمقراطى ... بحجة أن المستفيد الوحيد من هذا الاصلاح هو الجماعات التى تستخدم الدين فى ساحات العنف، ذلك أن المثقفين يخافون على الحرية الموجودة!!!! التى ستقمعها هذه الجماعات.

أيضا فإن الحكومة "مبسوطة"، فقد وضعت الجميع فى خندق، وهى تلوح دائما بأنها لن تحتمل أى "تجاوز" (الحكومة تسمى دائما المعارضة الجادة تجاوزا) بينما هى تحارب الارهاب، والحكومة مبسوطة "أيضا لأن قانون الطوارئ (الذى تزعم أنه لا يستخدم ضد أصحاب الآراء، والذى استخدمته فعليا ضد أصحاب الرأى "حمدين صباحى، وكمال خليل، وعز الدين نجيب، وكلهم معارضون لا يعرف أيهم استخدام السلاح!!) الحكومة مبسوطة لأن قانون الطوارئ هذا يمد العمل به اتوماتيكيا، بحجة طال انتظارنا عليها. هى مقاومتها للإرهاب، كل ذلك وهى تعرف أن الفساد الاستفزازى والفشل الإدارى وازدياد إعداد الواقعين الرازحين تحت "بلدوزر" البطالة .. عوامل كبيرة ـــ تعنى فشلها ـــ وتغذى مرجل الارهاب. بل وتعلم الحكومة أيضا أن أرهاب "الداخلية" أكبر مفجر للإرهاب الأهلى.

ولعل القارئ قد لاحظ (وهو لابد فعل) أن ما حذرت منه المقالة، هو ما نعانيه الآن وكأننا جميعا نؤذن فى مالطة!!.

لكن .. الآن .. ومن حق القارئ الذى لاحظ كل ذلك، أن يلاحظ ما فات على وقتها .. فمن حقه أن اعترف له، بأنه لم يدر نجلدى أبدا، أن تسعى الحكومة، وبتمويل أمريكى ـــ سعودى،إلى تسفير أعضاء الجماعات الاسلامية العنيفة إلى افغانستان، بحجة مقاومة المد الشيوعى (المأزوم وقتها، والمعرض للانهيار!!!)، ليتم تدريبهم على أعلى مستوى فى معسكرات تشرف عليها وكالة المخابرات

المركزية الامريكية، وليتحول التيار الوطنى لهذه الجماعات (حتى وإن كان يمارس عنفا جموحا تسريبيا شديد البشاعة) إلى تيار أممى أعمى، تتلاعب به جهات التمويل الخارجية المريبة (ومنها إسرائيل بطريق غير مباشرة) تحت شعار المساندة الأممية، ليعودوا فوق بئر تمويلى معطاء، يروعوننا كما لم نروع من قبل، ولنجد أنفسنا فى مواجهة عمليات هى الفوضى وإسالة الدماء .. كل الدماء .. تؤدى بتقنيات جديدة، (الغريب أيضا، أن الحكومة التى ارسلتهم فى بعثة تعليمية تدريبية تمويلية، لم تحتفظ بقوائم تضم أسماءهم، إذ تركت أمر التنفيذ والقوائم سرا لا يمتلكه إلا شيخهم عمر عبد الرحمن الذى لجأت إليه الداخلية ليعطيها مددا من شبابنا تعطية للمخابرات الأمريكية لمحاربة الشيوعية!! (مرة أخرى التى كانت فى سبيلها إلى الأنهيار).

★ ★ ★

• والآن، من حق القارئ على أن يتساءل، ما كل هذه المقدمة الطويلة عن العنف ــ بكل صورة ــ لكتاب اكرسه عن حركة الطلبة ٦٨-١٩٧٧، ولماذا كل هذه الكتابة عن "السادات" فى جزء اختص به مواجهة جيلنا لجمال عبد الناصر ٦٨-٧٠؟ .

الحقيقة أن الدهشة كانت دهشنى أنا قبل أن تكون دهشة القارئ بعد أن قطعت شوطا فى المقدمة، وعدت لأراجع ما كتبت. سألت نفسى نفس السؤالين. لكننى سرعان ما وجدت إجابة جعلتنى أستمر فيما بدأته..

الإجابة، كانت، أننا خرجنا ضد جمال عبد الناصر فى أمر واحد، خرجنا ضده من أجل الديمقراطية، وكان تخوفنا، أن انتكاسة كانتكاسة ٦٧ من الممكن أن تحدث إذا ما ظلت الديمقراطية غائبة، إذا ما احتمى بغيابها الإنتهازيون، الذين يصورن كل معارضة على أنها تآمر لقلب نظام الحكم، وتآمر على جمال عبد الناصر شخصيا، وخلف الستار يفعلون ما يفعلون، وما ندفع نحن ثمنه كلما صحونا على مصيبة من مصائبهم.. ولما لم يقبل عبد الناصر خروجنا عليه، .. وضربنا،

وأرهبنا، وشوهنا، وحاول احتواءنا. ونجح فـى احتـواء البعـض، ولـم يحـدث التغيير... وسكتنا لأن قواتنا المسلحة كانت تقوم بالعبور بين ليلة وأخرى وتـروع اليهود على الضفة الأخرى الأمر الذى جعلنا نؤجل كل الأحلام ليتم الحلم الأجمل.

ولأن جمال عبد الناصر فعل هذا وسكتنا، صحونا على مصيبة جديدة.

وكانت المصيبة تراجع السادات عن الخط الثورى الذىٰ دبـر لـه تدبـيرا محكما، وصنع له رجاله المستفيدين، أبواقا صحيفة، وأقلامـا مغرضـة، ورجـالا للأعمال لا يعرفون غير البلطجية والسـرقة، والعدوانيـة علـى قـوت الشـعب الضروري.

لقد سلمنا جمال عبد الناصر لأنور السادات.

سلمنا له صيدا سهلا ...

أما تنظيمات جمال عبد الناصر، التى تصورنا إنها ستدافع عن الشعب، فقـد ظهرت مما فعله بها، نمورا من ورق، أسد "مخابراتيا" على، وأمام السادات نعامة.

ولقد أستخدم السادات كل كلمات، جمال عبد الناصر، ليمشـى فـى عكـس الاتجاه، فالاشتراكية التى ليست ماركسية كافرة ملحدة، استخدمها هو أيضا لضـرب الأنصار، والتراجع عن الاشتراكية ،

بل أن التسمية الخاطئة لصراعنا الأمنى القومى مع إسرائيل والتى سـماها جمال عبد الناصر "قضية فلسطين"، لكى تحتمل التأجيل إلى وقـت يختـاره هـو، استخدمها السادات "قضية فلسطين" لكى يخلع يده منها، تحت شعار "الفلسـطينيون" يتكلمون عن أنفسهم، وكان قوله حقا أريد بـه بـاطل، فالقضيـة ليسـت قضيـة الفلسطينيين ، القضية قضية الأمن القومى المهدد برغبـات سـيطرة الرأسـمالية العالمية على مقدرات المنطقة، والحلم الصهيونى الذى يخطـط لا بتـلاع الأرض العربية كلها بعد أن يحقق شعاره الذى لم يتنازل عنه "برغم السـلام !!" وهـو أن "أرض إسرائيل الكبرى من النيل للفرات"، وأن الشرق أوسطية سوف تتولى بعـد

ذلك السيطرة على الإنسان العربى فى كل مكان بعد السيطرة اقتصاديا على العرب (المهرولين !!) كل العرب.

والديمقراطية، اضطر لها السادات ثم جعل لها إنيابا..

و... و... و...

وكان أن ضرب السادات بنفس الطريقة التى مارسها عبد الناصر (ولكن لأسباب أخرى) كل معارضيه، بداية من الضرب بعنف على يد كل حركة، إلى الترويع، إلى التشويه للمعارضين، إلى محاولة الاحتواء، بنفس التقنية الناصرية...

لو لم يفعل بنا جمال عبد الناصر ما فعله، لما استطاع السادات أن يلهو بنا ... وأن يجعلنا أوراق كوتشينته التى يقامر بها لمصلحته الشخصية، فى مواقع ذيلية تابعة للامريكان.

ولقد أخطأ جيلنا، حين أصابة اليأس، وجمدته اللامبالاة، وشتت قواه بعثرته فى بلاد النفط، والتى رأها "شحططة إجبارية" بعد أن عمد السادات إلى افقار الطبقة الوسطى فى الأساس، ليشتغلها ولتستطيع طبقته أن تأكل الفقراء والطبقة الوسطى معا.

اخطأنا ...

واخطأ بعضنا حين تصور أن العنف الفوضوى هو بديل العمل الشعبى المنظم القادر على الضغط باستمرار لتحقيق أمانيه ..

صدقا وحقا، كان العنف هو البديل، ولقد فرح الجيل بهذا العنف ــ بادئ الأمر ــ لكن سرعان ما تنبه وكان الفضل فى تنبهه، لتلك الجماعات التى خرجت من صلبه ــ غير المثقف ــ إذ رأها لا تستطيع أن تحدد أعداءها .. ولا تستطيع إلا أن تمارس العنف ضد الجميع، حتى ضد البسطاء أنفسهم.

إن سلسلة الاخطاء الناصرية، لا يمكن أن تلد إلا سلسلة من الأخطاء الساداتية والأخطاء الساداتية لا يمكن إلا أن تلد أخطاء الجيل ..

لهذا كله كتبت عن السادات والعنف مقدمة كتاب عن مواجهة جيلنا لجمال عبد الناصر، لأن مواجهتنا لجمال عبد الناصر، لم تكن إلا لتجنب ما سردته المقدمة.

إن المقدمة هذه هى التى تعطى معنى واضحا لتصاعد فصول الكتاب إلى "غلطة عمر جمال عبد الناصر".

★ ★ ★

وبعد ...

• هل كنت فيما سطرته فى هذا الكتاب، أكتب تاريخا .. هل كنت أقرأ تاريخا، أم كنت أقرأ للتاريخ ..

الحقيقة ليس الكتاب محاولة للتأريخ.

وليس قراءة فى التاريخ ...

ولا هو أيضا.. قراءة للتاريخ ...

ليس كتابة تاريخ، لأنه ـ عوضا عن أن كتابة التاريخ ليست من اهتماماتى، فإنها أيضا ـ قبل ذلك ـ ليست من استطاعاتى. إن كتابة تاريخ فترة حافلة بالتفاصيل كتلك الفترة، كان يستلزم أشياء كثيرة ـ لم تكن متاحة لى ـ أبسطها، أن يقول أبطال تلك الحقبة أراءهم فيها ويروون بأنفسهم ـ كلهم ـ ما حدث منهم .. ولهم. وهذا ما لم يحدث إلى الأن ...، وأيضا أن تتاح وثائق الفترة ـ فى بلد لا تعترف بإتاحة الوثائق ـ كلها، للدارسين، لكى يستطيعوا أن يكتبوا التاريخ.

أما قراءة التاريخ ـ التى انفيها هى الأخرى ـ عن مجهود الكتاب ـ فإنها فوق هذا وذلك، كانت تستلزم أن يكون هذا التاريخ مكتوبا بواسطة متخصصين فى الكتابة التاريخية حتى استطيع أن أمارس قراءته، والحقيقة أن هناك ما هو مكتوب لزملاء اعزاء، رماح أسعد، وأحمد عبد الله، وائل عثمان، أحمد بهاء الدين شعبان، فضلا عن كتابين عن الحركة الطلابية اصدرتهما دار بن خلدون فى لبنان، لكن من

قال أن هذه الكتب، إذا ما اضيف إليها كتابى تكفى، إن الحركة الطلابية لم تولد فى فراغ، ولم تنطلق دون أن يمهد لها آخرون، ولم تستمر دون إستمرار حركة المجتمع التى رأت فى حركة الطلاب مترجما صادقا عما يجيش فى قلوب أصحاب المصلحة فى التغيير ولكى تكتب الحركة، كان لابد أن ترسم صورة ما حولها وملامح تفصيلية لأصحاب فضل علينا لا نستطيع نكرانه.

ثم أن هذا الكتاب ليس ايضا قراءة فى أحداث أتركها للتاريخ، لأن الأمر كان يشترط رؤية بانورامية أوسع.. أفضنا من قبل فى أنها لم تكن ولن تكون متاحة فى القريب العاجل.

لكن .. وبرغم اللاءات الثلاثة تلك فإن هذا الكتاب حاول مخلصا أنجاز ما أظنه لا يقل أهمية عن كل ما سبق، بل واقول ما هو أكثر أهمية من كل ما سبق.. أقول حاول، وهو ما استطعته، أما ما لا أستطيعه فهو إدراك الكمال..

إن رؤية هذا الكتاب الأهم.. كانت محاولة لإعادة تخليق للفترة، التى جرى منها الزمان، وفى محاولة إعادة التخليق هذه، يمكن لغيرى كما أمكن لى أن نرى فيها ما لم نره وقتها، وأن نستكشف ما كان غائبا عن الأذهان.

إن الكتابة عند أرسطو، وهذا حق، وسيلة للمعرفة، وليست وسيلة لنقل المعرفة فقط، وأظن أن من حق القارئ على أن اعترف له أننى عرفت بالكتابة لمالم أكن أعرف وأنا ابدأها.. حين تخلقت الفترة أمام عيونى، بدأت أرى فى بانوراميتها (التى حققتها على قدر جهدى) مالم اكن قد رأيته من قبل ... بل ومكنتنى من أن أخرج من الحدث الذى كنت جزءا فيه... ترسا صغيرا فى آلته الكبيرة الضخمة، لأعاين عن كثب بقية الأجزاء.

لقد اندهش بعض الاصدقاء عندما أحسوا بأن الكتابة قد غيرت الكثير من أفكارى المسبقة... وللاصدقاء الأعزاء كنت أقول... لو تصورنا أن الحركة الطلابية كانت سيارة، وكنا نحن بعض تروسها.. سنتأكد، أن حركة السيارة محصلة لحركة تروسها، جميعا، وهى تختلف فى النهاية عن حركة بعض التروس

فى الإتجاه وأيضا فى القوة.. فالسيارة عند ما تتجه إلى اليسار، لا تعـدم داخلها تروسا تتجه حركتها إلى اليمين لتنقل الحركة فى تروس أخرى تتجه إلى اليسار، ولا تعدم أيضا تروسا تتحرك فى وضع أفقى، وفى أوضاع رأسية، إنك لو سألت كل ترس لحظتها على حدة عن طبيعة حركته واتجاه هذه الحركة لحصلت على إجابات مختلفة، لكن السيارة ــ حركة الطلبة ــ لا تعرف إلا إجابة واحدة إذا سئلت عن طبيعة الحركة وعن اتجاه السير ...

بل أحب أن أفضفض للقارئ بأمر آخر شديد الأهمية، وهو أننى حين بدأت كنت أحب البعض، وأكره البعض الآخر، وأؤيد ما جاء به البعض، وأرفض رفضا قاطعا اتجاهات البعض، (أو لنكن صرحاء أكثر) وتصرفات البعض، لكننى بالكتابة تصالحت مع نفسي، مع أخطائها، ومع أخطاء الآخرين، لقد كانت لنا أخطاء، لكن الجميل أن لم تكن للأغلبية الساحقة منا خطايا، والخطأ وارد لكن الخطيئة عار..

لقد خرجت من الكتابة بمشاعر جديدة دفعتى لاحتضان كل من رأيت من الزملاء فى احتفال جيل السبعينيات الذى أقيم فى فبراير ١٩٩٧ بحركتهم، وجعلنى أكثر شوقا لاحتضان من لم اتقابل معهم بعد... من ذا الذى لا يعشق صغارا (بين السابعة عشرة ــ وبعضهم أقل .. وبين الخامسة والعشرين على الأكثر .. حاولوا .. حتى ولو شابت محاولاتهم بعض الأخطاء، وبعض التصرفات التى لم نرها لائقة فى حينها.

لقد فعل الصغار عجبا .. وها أنا أصارح القارئ، بأننى أحب هؤلاء جميعا، ويشرفنى بأننى كنت واحدا منهم فى يوم من الأيام، وأنهم هم من أنالونى شرفا كان أبعد من أن أنال بعضه.. كلهم وأنا مصمم على أن أقول كلهم ..

★ ★ ★

- شئ آخر.. هل هذا الكتاب ضد جمال عبد الناصر، وأقول للقارئ صادقا، إن مثلى ممن أحبوا جمال عبد الناصر أكثر من أنفسهم، وأقل قليلا من الوطن، لا يمكن أن يكتب كتابا ضد عبد الناصر.. بما كان يمثله من استمساك بثوابت

الوطن فى التحرر والعدل الإجتماعى، والإنتماء العربى الذى هو املنا فى عالم الوحش الأمريكى الأسطورى العولمى.

الحقيقة إن عبد الناصر عندى ثلاثة رجال ...

رجل أحبه.

ورجل أقدره.

ورجل لا أطيقه.

الرجل الذى أحبه هو جمال عبد الناصر نظيف اليد، الوطنى الغيور، منصف الفقراء والبسطاء فى هذا الوطن. صاحب الكرامة التى هى جزء من كرامة الأرض التى أنبتته... الرجل الذى حاول وأخطأ، ولم تكن فى محاولاته أى شبهة لمكسب شخصى، بالعكس لقد دفع من شبابه ومن صحته ثمنا لمكاسب اعطاها للبسطاء. والذى أخطأ ــ دون تعمد ــ ولم يتكسب من وراء أخطائه ــ كغيره ــ إلا حسرة عاناها ولم يحتملها قلبه فى سنى عمره الأخيرة.

والرجل الذى أقدره، هو عبد الناصر الفكر، وقد كان حريا بأن أقول، أننى أحب عبد الناصر رجل الفكر، لولا غياب الديمقراطية فى عصره واعتماده على أنه سوف يحقق ما يريده الناس ــ من فوق ــ دون أن يتكلم الناس عن حقوقهم.

أما الرجل الذى اكرهه فى عبد الناصر ولا أطيقه، فهو عبد الناصر السلطة، لقد أضاعت سلطة جمال عبد الناصر رجلا نحبه فى جمال عبد الناصر ورجلا نقدره..

لقد ضرب عبد الناصر أعداءه، وأنصاره أيضا الذين جرءوا على المعارضة لصالح خطه الثورى ... وهكذا عندما ركب السادات الموجه، استطاع أن يمشى على طريق عبد الناصر "بالأستيكة"، ولم يجد من يقف فى وجهة من ضحايا عبد الناصر، أنصار نظامه.

لولا غياب الديمقراطية، لقلت أن جمال عبد الناصر أحب خلـــق الله الذيـــن عاصرتهم إلى قلبى "المعصور".

إن هذا الكتاب ليس أكثر من محاولة لانصاف حركة طلابيـــة واحـــدة فـــى سلسلة من الحركات موزعة على قرن كامل، لاقت من الضرب والترويع والتشويه ومحاولات الاحتواء ما لاقته غيرها ...

هذا كتاب يحاول أن يوضح الغرابة فى تصرفات سلطة ثورية، مارست ضد حركة الطلاب نفس ما مارسته السلطة التراجعية فى السبعينيات، بـــل ومارســت الاثنتان "الثورية والرجعية" نفس الأساليب التى مارستها السلطة القمعية قبل الثـــورة "النقراشى وصدقى"، والثلاثة مارسوا ما مارسه الاحتلال بسلطته الغاشـــمة ضـــد حركة الطلبة عام ١٩٣٥، لا شئ إلا لأن الحركة رفضت أن تحتوى، الأمر الـــذى قبله مصطفى كامل لبعض الوقت، ليفيق متأخرا إلى أن حركته لم تخدم ـــ أكثر مـــا خدمته ـــ غير الخديوى عباس الثانى، الذى سرعان ما عمد إلى تقليصها حين بدأت تخدم الشعب مع نمو قدرات محمد فريد.

إن هذا الكتاب محاولة لفهم شئ غامض هو اجتماع المحتليـــن، والقمعييـــن والثوريين، والتراجعيين على أمر واحد هو ضرب المبادرات الشعبية، ولعلنا كنـــا ومازلنا نتوقع هذا الأمر من المتسلطين، محتلين وقمعيين وتراجعيين، لكن الدهشـــة تأتينا من موقف السلطة الثورية، من خوف جمال عبد الناصر من الديمقراطية وهو الرجل الذى ملك افئدة المصريين وليس لسانهم فقط.

لقد كنا نقول أن عبد الناصر كان يريد أن يبنى الاشتراكية بدون اشـــتراكيين واصبحنا بهذا الكتاب أكثر اقتناعا، بأنه كان يريد أن يقود ثورة بدون ثوريين..

وتعالوا لنرى ....

(١)

قالت أمي : عيناه زائغتان .. سيعلن مصيبة

أسرتى لم تكن تكره جمال عبد الناصر، كانت تحبه، وكانت معجبة بإنجازاته الحقيقية، لكنها لم تكن متيمةً به

. ولا كانت تعشق ثورته عشقاً خالصاً.

أبى أ.د. **محمد محمود السلامونى** (أستاذ اللغات الأوروبية القديمة، اللاتينية واليونانية السابق، بجامعة القاهرة، ومن قبلها بجامعتى عين شمس، والإسكندرية) كان يرى أن الثورة أفسدت الجامعة، فمن جانب – تدخلت الثورة فى الجامعة سراً وعلانية . بذهب المعز وبسيفه أيضاً بتنظيماتها المختلفة وآخرها "الطليعى"؛ فأضاعت استقلالها كمؤسسة طالما حمت العلم. وحمت المثقفين ، بل حمت حرية الفكر مُساندةً كل ما هو عقلانى، وعلمانى، وعلمى. (ألسنا نعانى الآن فى المجتمع من كل ما هو ليس عقلانياً ؟، ألسنا نعانى من تسلط سلفى فاشى؟، ألسنا نعانى من تراجع دور المثقفين.. بل ومن محاولات قتلهم.. واين؟، فى مجتمع يحضّه دينه على التعلم، وعلى أن الناس أدرى بشئون دنياهم، ويؤكد بتعاليمه أن لارهبانية ولا سلطة لرجال الدين فى الإسلام!، بل ألسنا نعانى الآن من رجعة الجامعة نفسها ومعاداتها للفكر بالتكفير، بدلاً من معارضتها الفكر بالفكر(*).

ومن جانب آخر كان أبى يرى أن الثورة أضاعت هيبة الدرجات العلمية. إذ حرص الضباط الأحرار الذين لم يدخلوا الجامعة أصلاً فى سنى دراستهم، على أن يدخلوها ضباطاً أحراراً (!!)، وأن يحصلوا منها على درجات علمية عليا(!)، ربما لتحقيق حلم قديم لم يستطيعوا تحقيقه فى الماضى. وربما ـ أيضاً ـ لإقناع عبد الناصر بأنهم قد غضوا الطرف نهائياً عن العودة إلى القوات

(*) لعل القارئ يتذكر قضية نصر حامد أبو زيد وقضية الدكتور حسن حنفى

المسلحة، أو التدخل فى أمورها ، الأمر الذى لم يكن يسمح به جمال عبد الناصر، وكان المشير " المؤتمن" عبد الحكيم عامر، يرى دونه خرط القتاد، هؤلاء الحريصون على دخول الجامعة ، حصل أغلبهم فى رأى أبى على دكتوراهات وهمية ، استغلوا نفوذهم وريق البعض السائب فى الحصول عليها. وأذكر لأبى معارك كبيرة ضد هذا الاتجاه ، وأقول الآن ليته انتصر فيها. (ولكن من ذا الذى يقدر عليهم إذ أحاول، لقد حاول أبى، ودفع ثمنا غاليا لمحاولاته ــ لكنه لم يستطع الانتصار).

وكانت أمى – من المربيات الفاضلات – وخالاتى يعشقن **محمد نجيب** رمزا للتخلص من كابوس قديم، وربما لم يغفرن أبدا **لجمال عبد الناصر** الذى كان عن حق هو الثورة !! ما فعله فى رأيهن باللواء المعزول ، وأيضا وهن المتدينات، كان فى قلوبهن شئ لما فعله بالإخوان المسلمين من تشريد، وسجن ، وتعذيب، وخراب بيوت ، ضم "العاطل والباطل" ــ فى نظرهم ــ وسرى فى العائلات حتى درجات القرابة البعيدة، مثلما تسرى النار فى الهشيم.

لم يكن يعشق **عبد الناصر** فى بيتنا عشقا خالصا غير أخى الأكبر العاطفى ولقد حاول ونجح فى أن يجعلنى أعشقه مثله، إذ ربط بين شخصه فى ذهنى وحدود الوطن، بل وخريطة أحلامه أيضا

والحقيقة أننى أحببت جمال عبد الناصر منتصرا فى ٥٦، يفرض إرادته ــ إرادتنا ــ على الأعداء، بعد أن أمم قناة السويس، أحببته زعيما للقومية العربية يحمل لواء كرامة العرب فى عالم الاستقطاب بين قوتين عظميين فخرجتا منتصرتين فى الحرب العالمية الثانية، ثم احتكرتا الاحترام والسطوة، أحببته مثالا للعزة الوطنية، اشتراكيا بطريقته (فقد كنت غرا أحس أن الاشتراكية هى العدل، وأصبحت شابا وأمسيت شيخا أراها هى عين العدل).

• طفولة عاشقة:

نحن جيل دخلت إليه السياسة – إعلاما صاخبا – فى البيوت ، ولم يسع إليها!!.

فى المدرسة الابتدائية ، كنت أحب كزملائى أن أكتب موضوعات إنشاء طويلة للغاية عن بور سعيد وعن وقفة الشعب المصرى العظيم فيها فى مواجهة العدوان الغادر، وانتصار إرادة الشعب على، وهى حقيقة لا ينكرها إلا المرجفون، وأول كلمات ألفتها وكانت فى نظر أهلى شعراً ، كتبتها عن محاكم الغدر العراقى ١٩٥٨م كما أسماها إعلامنا وهى التى سحل وصلب فيها **عبد الكريم قاسم** ـ قائد الثورة العراقية ـ الوطنيين وغير الوطنيين العراقيين، كتبتها ضد الشيوعية (إذ كنت مقتنعاً وقتها بإدانة جمال عبد الناصر المستمرة للشيوعية وفضحه لـ "حقيقة الشيوعية")*، بل كانت أحب اللحظات إلى نفسى ، لحظة أمسك ميكرفون الإذاعة – بالمدرسة الإبتدائية– معقباً على خطب **جمال عبد الناصر** ، مقتطفاً منها ما كنت أحب أن يعلو به صوتى من كلمات الزعيم، فتعلو حولى آهات الإعجاب وفرقعات التصفيق !! .

- **سطوح المدرسة الإعدادية وجمال عبد الناصر!.**

من سطوح مدرسة على عبد اللطيف الإعدادية ، (أمام غرفة الرسم ، هوايتى فى تلك الأيام)، أطللت كثيراً، من السور جميل التكوين ، لأرى **جمال عبد الناصر**الذى جاء ـ مراراً – ليشيع جنازات المهمين، من مسجد عمر مكرم، المواجه للمدرسة ، لا أنسى أبداً جنازة **أحمد لطفى السيد** . أستاذ الجيل ، وحزنى الطفل على الرجل الذى لم يتم مائه سنة(!!) فقد مات قريباً منها ، دون أن يحقق معجزة الوصول إليها! أيضاً لا أنسى جنازة صلاح سالم ، التى أحسست فيها بعبد الناصر متأثراً للغاية وسط الجنازة الفخيم ، لكن أكثر ما أذكره من هذه الجنازات، كان ولم يزل ملامح عبد الناصر الجميلة ، رأسه المائل إلى الأمام، بزته الواسعة أبدا التى يتلاعب الهواء "ببنطلونها" كما يتلاعب بالأشرعة فى البحر ... وحضوره الصارخ .

ولقد حدث لى فى المدرسة الإعدادية أشياء لا يمكن نسيانها أيضا .

(*) كتاب عبد الناصر الشهير.

ذات يوم زار المدرسة مفتش ليرى مدى استيعاب التلاميذ للميثاق الوطنــــى، وعندما أراد أن يدخل فصل المتفوقين ــ وضع الناظر يده على قلبه، فقد كان عالماً بأن المتفوقين لا يعرفون شيئاً غير المقررات التى تدخل فــى مجمــوع نهايـــــة العام . . لكنى أطلت رقبة الناظر فى هذا اليوم. رقبته التى دخل بها فصلنا وهـــى "قد" السمسمة، هذا اليوم أعطانى وضعاً خاصاً فى المدرسة، إذ لم يعــرف النـــاظر أبداً، أننى كنت أحب الميثاق للفصاحة وموسيقية تعبيراته.

يوم آخر لا أنساه ، يوم حصولى على المركز الأول فـــى مســـابقة عامـــة للمدرسة عن كتابة بحث عن معركة بور سعيد. . ففى هذا اليوم اضطـــر مـــدرس التاريخ أن يعترف أمام الناظر بأنه يظلمنى فى نمرة الشهر لأننى على حد تعبـــيره طويل اللسان لا أملُّ الاعتراض . . فــاضطـــره الناظـــر إلـــى تصحيح شـــهادتى عن ثلاثة شهور، هذا التصحيح الذى أعاد لى صورتى "المعجبانية" فى مرآة أبى .

● الإبراهيمية الثانوية واصلاح الكون:

لا أدرى لماذا اختارنى **حاتم قابيل** (الآن أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجـــارة جامعة المنصورة ، وهو شخصية فريدة، ذات تجــربة سياســـية ، أجـــاد فيـــها أن يمسك بالعصا من طرفها القريب جداً من الوسط ، وكـــان ولم يـــزل أعقلنـــا فـــى التعامل مع السلطة، خصوصاً إذا كان غاضباً من تصرفاتـــــها) لا أعــرف لمـــاذا اختارنى لدخول منظمة الشباب الاشتراكى، ولا كيف أقنعنى بالانضمام إليها بعد أن كنت غاضباً من إعلان لجنتها المركزية قبل تكوينها ، ومن تكوين لجنتها المركزية ــ أيضاً ــ بالاختيار وليـــس بالانتخاب . . وأذكر أن دخولى منظمة الشباب كـــان عاملاً فارقاً رسم خطوات حياتى منذ دخلتها حتى اليوم .

هل اختارنى لأنه كان زميلى فـــى المدرســـة الإعداديـــة ورأى فـــى مـــا رآه الناظر ؟ (رأى فىّ خبيراً فى الميثاق الوطنى!)

هل اختارنى لأننى كنت مثله فـــى ثـــانوى صديقـــاً لمكتبـــة المدرســـة الإبراهيمية (التى لم أر مكتبة أكثر منها ثراء حتى اليوم) ، أو لأننى أصدر مجلة حـــائط

فيها اهتمام كبير بالسياسة القومية ، كنت سعيداً بها لأننى أثبت فيها قدرتى على رسم **جمال عبد الناصر** ورسم **الملك فيصل والملك حسين** أيضاً عدوى عبد الناصر فى ذلك الوقت، أم لأننى كنت أفوز فى مسابقات الشعر فى المدرسة وعلى مستوى الجمهورية بقصائد سياسية عن فلسطين ، وعن الاشتراكية العربية ، وضد الإخوان المسلمين* بعدما قبض جمال عبد الناصر على تنظيم **سيد قطب** وشهر به عام ١٩٦٥. . لا أعرف، لكنه اختارنى . . وأقنعنى، وأوقعنى فى حيرة شديدة فى البيت!.

● أبوك أم جمال عبد الناصر؟!

عندما دخلت إلى أبى فى مكتبه، أطلب منه السماح بأن ألتحق بمعسكر المنظمة فى حلوان ، تغيرت ملامحه . . سألنى :

ــ لماذا تريد الالتحاق بالمنظمة ؟

ــ لأننى أريد أن أكون ممن سيمسكون بدفة الأمور فى هذا البلد، مستمرين بها منتصرة .

بهذا أقنعنى **حاتم قابيل** . . ولا أبالغ لو قلت إنه أقنعنى بما هو أكثر .. بأننا سنصلح الكون !! .

وفاجأنى أبى بسؤال :

ــ لو أرادوا منك أن تبلغ المباحث عن أبيك ، هل تبلغ عنه ؟

ــ لن يطلب منى أحد ذلك .

ــ أجب عن سؤالى . .

ــ لا ، طبعا .

ابتسم أبى متسائلا :

- هل تحب **جمال عبد الناصر** أكثر، أم تحب أباك أكثر ؟!

(*) اذكر واقعة طريقة حدثت فى تلك المسابقة الشعرية التى القيت فيها قصيدة تندد بالإخوان= = المسلمين "أعداء الله والدين" (هكذا كنا مقتنعين فى تلك الأيام) فى تلك المسابقة لم افز (كعادتى فى سنى الثانوى)، وفوجئت بناظر المدرسة الاستاذ الفاضل حسن السمرة، يصعد إلى المنصة، ويصمم على أن تعلن اللجنة فوزى بالمركز الأول، وقد كان، بعدها قال لى الاستاذ الفاضل: "حد ــ والنبى ــ يقول لبتوع العربى والدين قصيدة ضد الإخوان المسلمين!!.

قلت صادقاً :

- أحب أبى أكثر . .

قال أبى وهو يشيح بوجهه بعيداً عنى . .

ــ تذكر أنك قلت هذا ، واذهب إلى المنظمة كما تريد .

وأذكر الآن أننى لم أفهم مغزى حديث أبى – ذلك – إلا بعد شهور من التحاقى بالمنظمة !! .

● كانوا يعلموننا كيف نحمى النظام !!

لم يؤثر فى حياتى شئ أكثر من أبى وأمى ومنظمة الشباب ونكسة يونيو ١٩٦٧م !! لقد كانت تجربتى فى منظمة الشباب تجربة شديدة الثراء . . إن لم يكن بالفعل . . فبرد الفعل – أيضاً – !! .

دخلت المنظمة أصغر من أن أكون ناصرياً ، دخلتها معجباً بجمال عبد الناصر ، أحبه لدرجة العشق، وخرجت منها فى نفس العام عام ١٩٦٧م مقدراً لجمال عبد الناصر . عارفاً بفضله . . لكننى كما دخلتها خرجت منها، لم أكن ولم أصر ناصرياً !! .

والحقيقة ــ التى لا أمارى فيها ــ أن المنظمة صنعت جيلنا، وأن البعض من جيلنا لم يسمح لها بأن تحطمه!

فى المنظمة تعلمنا الكثير . . على أيدى مناضلين عظماء ، ومناضلين(!!) لم يكونوا كذلك ، تعلمنا على يد الدكتور **محمود الخفيف** ، **والدكتور إبراهيم سعد الدين** ، **الدكتور لبيب شقير** ، وتعلمنا ــ أيضاً ــ على أيدى **د. رفعت المحجوب** ، **د. طعيمة الجرف** ، (إذ كانت لهم أياد وقتها!).

فى المرحلتين الأولى والثانية تعلمنا الاقتصاد كطلبة الجامعة المتخصصين وتفوقنا فى الاقتصاد السياسى !! .

وفى المرحلتين الأولى والثالثة تعلمنا السياسة بسيطها ومعقدها .

وفى الثالثة أيضاً - تعلمنا النظريات والأيديولوجيات الكبرى .

وفى الثالثة ـ فوق ذلك ـ (وبعضنا فى قبرص) تعلمنا كيف نحمى النظام ، [فهل دار فى خلد النظام الذى ربّانا لحمايته أننا سنريه النجوم بعد ذلك فى عز الظهر !!].

والشىء الطريف - ستأتى طرافته أو سخافته فيما بعد ـ أننى فى المرحلة الثالثة حصلت على جائزة (عدد كبير من الكتب) لأننى نقضت ولم أكتفى بنقد نظرية **كارل ماركس** الفلسفية (ليست الاقتصادية بالطبع) المعروفة بالمادية الجدلية.

- **المبعوث.. ضاع منه الكلام ونساه!.**

وفى المنظمة بين المرحلتين الثانية والثالثة - فيما أذكر - حضرنا - بعض أعضاء المنظمة - مؤتمر المبعوثين كمنظمين لإعاشتهم ، ورحلاتهم، أثناء انعقاد المؤتمر. وكمناقشين سياسيين مُدَرّبين نحاول اقناعهم بانجازات النظام، وبكذب هؤلاء الذين يتخرصون عليه. كنا متحمسين للنظام ولم يكن عدد منهم متحمساً له ، وفى هذا المؤتمر رأينا كيف أحرج غير المتحمسين للنظام **دكتور لبيب شقير** ، **وكمال رفعت** ، و**على صبرى**، ولم ننتبه ـ وقتها ـ لأن **جمال عبد الناصر** ،عندما جاء ليقابلهم قمعهم بالخوف .

رأينا منهم من فتح فمه فلم تخرج من فمه كلمات من فرط رعبه، لم يخرج غير هواء جوفه (كان إذا لم تخنى ذاكرتى رئيس وفد مبعوثى مصر إلى هولندا)، وعندما أصر عبد الناصر وقد حاصره بعينيه القويتين على أن يتكلم المبعوث وبسرعة. اختفت الكلمات كلها من عض لسان المبعوث الغارق فى عرقه .. فقال:

ـ سيادة السفير بيسلم على سعادتك (وكان يقصد سفير هولندا فيما أذكر)

وضحك عبد الناصر ، مما زاد فى ارتباك المبعوث . . ثم قال جمال عبد الناصر:

ـــ هل تحملت الدولة مصاريف سفرك وإقامتك ، لتقول لى هذا الكلام ؟! .

وسمعنا إذ نودى على واحد من وفد المبعوثين إلى ألمانيا الغربية، ولعلى لا أكون قد نسيت ، فإن ما أذكره أن من نودى عليه ذاك كان خبيراً جيولوجياً ، تلجأ إليه ألمانيا ـــ وهو المصرى ـــ فى مفاوضاتها التى تتعلق بهذه الأمور (الجيولوجية) فى نطاق للسوق الأوروبية المشتركة، ولما وقف وكان قصيراً مدكوكاً ذا صلعة تعد بأنها ستتكامل مع الأيام. . قال له جمال عبد الناصر:

ـــ أنت الرجل الثانى بعد سعيد رمضان .

وسعيد رمضان كان إخوانياً (الإخوان وقتها فى مصر كانوا فى السجن) وكان قد غادر مصر فى الخمسينيات وترأس التنظيم العالمى للإخوان الذى يحارب عبد الناصر .. وعندما ارتبكت القاعة واستشعرت خطراً قادماً لا محالة مال جمال عبد الناصر على "**على صبرى**" قائلاً وهو يبتسم ابتسامته الساحرة المخيفة المقتضبة:

ـــ برضه يسافر يا على .

وكان يقصد أنه لن يعتقل .

لكن الحادث برغم العفو الثورى السامى ـــ أن لسان المبعوثين هو الذى اعتقل داخل أفواههم من تلك اللحظة.

ثم تكلم عبد الناصر عن إنجازات الثورة، التى يجحدها الغربيون، وقام الجميع لتلتقط لكل وفد على حده، صورة تذكارية مع الرئيس انتهى بعدها المؤتمر!".

ثم فهمت مغزى تحذيرات أبى:

وفى المنظمة بعد المرحلة الثالثة كنت أجلس فى فصلى ، وأعلنت معارضتى ورفضى لاستعمالنا قنابل الضغط **فى اليمن** التى عمدنا إليها لتطهير كهوف الجبال من المناوئين ، تلك القنابل التى تفجر الدم من آذان وأفواه من تستعمل ضدهم.

بعدها بأيام طلبتني المباحث العامة بباب اللوق، وأذكر أن أخذني إلى هنـــاك أستاذ التاريخ في مدرستي (كنت أجلّه حتى تلك اللحظة) وفي المباحث حذروني من التمادي بعد أن أخافوني بالطبع، لكني في الحقيقة (التي لا تصدق) كنت خائفاً مـــن أبي، غير عارف ماذا سأقول له بعد أن تأخرت عن العودة إلى البيت فـــي ميعـــاد انتهاء المدرسة (القريبة من بيتنا في جاردن سيتي في ذلك الوقت!!) .

يومها عرفت أن زميلاً متفوقاً في فصلي ، "منظماوي " مثلـــي ، هو الـــذي أبلغ عني !! ولحظتها تذكرت وفهمت ما عناه أبي حين سألني . .

ـــ لو أرادوا منك أن تبلغ عن أبيك . . هل تبلغ عنه ؟!

لقد فعلها صديقي ، وأبلغ عن صديقه الأثير ! .

- **وقالوا: انت عضو في تنظيم ماركسي سري**

وفي المنظمة أيضاً أصبحت مسئولاً عـــن التثقيف فـــي مدرســـتنا ، وفـــي المكتب التنفيذي لقصر النيل . . وأصبحت عضـــواً في لجنة العشـــرين بالاتحـــاد الاشتراكي عن المدرسة وكانت لجنة العشرين تجتمع بمكتب نـــاظر الإبراهيميـــة الأستاذ الجليل **حسين السمرة** ، وكان يقدم لها كل التسهيلات . ورغم هذا هـــاجموه في المكتب التنفيذي لأنه رجعي، مضاد للثورة، يركب مرسيدس! ودافعت عنه أنـــا **وحاتم قابيل** على ما أذكر . . وتساءلت عمن أبلغ عن الناظر ؟.

ساعتها أيضاً تأكد فهمي لما عناه أبي بسؤاله.

وفي المنظمة أيضاً ، تعرفت في المرحلة الثالثة على إنسان جميل ، اســـمه كاسمي "هشام" ، (للأسف نسيت بقية الاسم) ، كان يقابلني مراراً ، وكـــأن يكلمنـــي كثيراً في الفلسفة والاقتصاد والسياسة (كدأبنا جميعاً في هذا الوقـــت) ثـــم فوجئـــت باستدعائي للمباحث العامة ـــ للمرة الثانية ـــ بعد ذلك ، وفي المباحث عرفت أنـــهم قبضوا على أعضاء بارزين في المنظمة "وأعضاء عاديين" بحجـــة أنـــهم شـــكلوا تنظيماً ماركسياً داخل المنظمة (أحد المقبوض عليهم كـــان عضـــواً فـــي اللجنـــة

المركزية للمنظمة) وكان "هشام" ــ صديقى ــ ضمن المقبوض عليهم، وجاءوا بى لأننى صديقه، ولأننى صديقه اتهمت بأننى عضو فى التنظيم الشيوعى المقبوض عليه ولم يشفع لى أننى حصلت على جائزة فى المرحلة الثالثة لأننى نقضت الفلسفة والفكر "الماركسى"، (هل يذكر القارئ أننى قلت قبل ذلك أن طرافة الأمر أو سخافته ستجيء بعد ذلك .. هاهى ذى قد جاءت .. واتهموا بالماركسية من أعطوه جائزة لأنه فى نظرهم نقض الفكر الشيوعى الفلسفى!!!) يومها أصابتنى خضة من المنظمة التى بدأت تأكل أبناءها الذين سيستمرون بمصر منتصرة !! .

- **ثم انتقمت فى تقرير رأى عام !!.**

وفى المنظمة أيضا جاءنى لوم لأننى لا أكتب " تقرير رأى عام " وكانت هذه التقارير تتضمن رأى الناس ، الشائعات ، النكت ، وغير ذلك، فكتبت تقريرا قلت فيه عنادا إن الناس يرون أن السيد **على صبرى** (وكان أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى ورئيسا للوزارة ــ وقتها ــ) مسيطر على البلد، أما الشائعة فكتبتها: (أن السيد **على صبرى** يضعف الجيش بتقوية الاتحاد الاشتراكى، بغرض عزل **عبد الحكيم عامر** الذى ينتويه **جمال عبد الناصر** (لم يكن الأمر يخلو من حقيقة)، أما النكتة فكتبتها أن السيد **على صبرى** اشترى المكاتب التنفيذية (التى تدير أمور الاتحاد الاشتراكى) لكى يذاكر عليها أبناؤه فى البيت . . أما الأنكت فهو أن أحدا بعد هذا التقرير لم يطلب منى كتابة تقرير رأى عام أبدا !

- **ليته فهم مغزى السؤال !:**

وفى المنظمة سألنا **جمال عبد الناصر** ، من الذى سيستمر بالثورة بعده، فقال جمال عبد الناصر ردا على تساؤلنا:

ــ أنتم ، أنتم الذين ستستمرون بالثورة بعد جمال عبد الناصر .

إذ لم يكن جمال عبد الناصر وقتها يعلم ما يخبئه له ولنا **أنور السادات** ، **أنور السادات** الذى خبأه لنا جمال عبد الناصر!

• عند الامتحان .. انتكس الوطن!

كان العام الدراسى ٦٦-١٩٦٧ يوشك على الانتهاء وكنا نستعد مرتعدين لامتحان الثانوية العامة (ذلك البعبع الشهير)، والذى كان سيبدأ فى ١٠ يونيو ١٩٦٧م القاهرة كانت صاخبة لشهر طويل قبل ذلك الوقت . والإذاعة والتلفزيون يصرخان، والناس لا وقت لديهم لأى شئ غير الكلام عن معركة التحرير المقبلة ، كان مذاق حفل **أم كلثوم** يوم الخميس ١ يونيو ١٩٦٧م مازال يسرى كالعسل فى حنايانا . . أغنيتها الجميلة التى ألفها لها **صلاح جاهين** "راجعين بقوة السلاح / راجعين نحرر الحمى . . راجعين كما رجع الصباح / من بعد ليلة مظلمة"، أغنيتها تلك كانت لا تتوقف عن الرنين فى آذاننا وفى القلوب، جنبا إلى جنب – أو فى عناق – مع أحلى أداء قدمته **أم كلثوم** فى عمرها المديد الثرى لرائعة شوقى "**سلوا قلبى**"، القصيدة التى انتزعت التصفيق أكثر من مرة، والآهات عشرات المرات، والصرخات المدوية النارية عندما وصلت "الست" إلى البيت الشهير فى القصيدة :

" **وما نيل المطالب بالتمنى . . . . . ولكن تؤخذ الدنيا غلابا** " .

أيضا كان الحديث الصحفى العالمى لجمال عبد الناصر، فى ٢٨ مايو ١٩٦٧، والذى أذاعه التلفزيون، مازال ــ وقتها ــ يملؤنا بالثقة، ويرعش جوانحنا بفرحة تنتظر التحرير . . " أنا مش خرع زى مستر إيدن " ، ... أين الكيمياء والفيزياء والرياضيات من كل هذا ؟!!. .

كان خوفنا يدمدم فى حنايانا من امتحان الثانوية العامة، ونحن ننهى استعدادنا له، وسط صخب مصرى وعالمى يقتحمان الحوائط ،ويستقران على مكاتبنا، فيخفيان السطور.. وفجأة انقضت الطائرات الإسرائيلية فى صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧.

لم تصب الطائرات الإسرائيلية طائراتنا الرابضة كبطات لا يعرفن أن صائدا يتسلل من مكمنه ــ فحسب ــ إليهم أصابت الطائرات حلمنا .. أماننا ..

مستقبلنا .. دنيانا .. وأماكن غائرة فى نفوسنا .. وأدمت القلوب والعيون .. كـــانت نكسه !! (كما سماها محمد حسنين هيكل)

● **من التنحى إلى السفارة الأمريكية:**

أيام من النكسة لا ولن تمحى من ذاكرتى ومن ذاكـــرة الجيـــل . . الســـاعة الخامسة فجرا يوم ٨ يونيو ١٩٦٧م ، تم استدعاؤنا – أعضــــاء منظمـــة الشـــباب وأعضاء الاتحاد الاشتراكى . . ذهبنا فى غبشة الفجر إلى المدرسة الإبراهيميـــــة ، فـــى الاجتماع قال لنا المسئولون عنا : إن قواتنا تراجعت تكتيكيا إلى خط الدفـــاع الثانـــى عند الممرات وهى تستعد لانقضاضة كبرى !! استشعرنا الخطر الشديد . . كيف ؟! لم يكن ذلك كلام الإذاعة والتلفزيون والصحف !! وطلب المســـئولون منا لحظتها أن نعمد إلى إخفاء صوت المعركة فى الشعب، وأنه يتوجب علينـــــا أن ننزع كل الملصقات التى تتكلم عن الحرب من الحوائط فى شوارعنا وأن نعد الناس لمعركة طويلة .. وألا نسمح لأعداء الشعب بـــ "الشوشرة"، أذكر لحظتها أن صوت نحيب قد بدأ خافتا راح يتعالى فى كونشيرتو حزين بكريشنيدو متصاعد الصخـــب، عجزت إرادتنا عن كبح نغماته العالية، ثم بدأنا نهتاج ونتصايح فى وجوههم، وليس فى قلوبنا إلا أن هؤلاء ومن هم فوقهم أضاعوا البلد، كنا قد فهمنا الأمر (برغم هـذا لم نصدقه إلا فى اليوم التالى) . . ووسط صرخاتنا أعلنا حل منظمة الشباب ، وإننا لن نعود إليها أبدا . . كنا قد دخلنا الاجتماع فى غبشة الفجر .. ثم خرجنا والدمـــوع فى أعيننا وقد صار الفجر ظلاما حالكا .

يوم آخر لن ننساه . . يوم التنحى . . جلسنا كلنا فى البيـــــت أمـــام شاشـــة التلفزيون فى الموعد ، وظهر لنا جمال عبد الناصر .

صاحت أمى :

– فيه مصيبة سوداء . . أنا عمرى ما شفت **جمال عبد الناصر** بالشكل ده.

أردنا أن نسكت أمى لنسمع ديباجة الرئيس قبل أن يدخل فى المهم ... لكنـــها

لم تسكت قالت وعيناها تؤكدان خيبة أمل عظيمة.

- خدوده مدلدلة وعينيه زايغة . . ح يعلن مصيبة .

قامت أمى لتغادر الحجرة وهى تغمغم :

- أنا مش ح أسمع الخطبة دى .

لكن أمى عادت بعد ثوان معدودة، واستندت إلى باب الغرفة تسمع معنا تنحى جمال عبد الناصر عن المسئولية لزكريا محيى الدين الذى يستطيع أن يتفاهم مع الغرب.

وصحنا فاشتبكت صيحتنا مع صيحة المصريين كلهم.

- هو خلاص . . خلاص !! .

مرت دقائق ورن جرس البيت . . انزعج الكل وكأنهم شعروا مثلى أن اليهود والأمريكان يدقون علينا الباب فى تلك اللحظة!.

وخرجت لأفتح . . لم أجد أمامى أحدا ، لكن صوت **أحمد عادل مصطفى** (عضو المنظمة ، زميلى الذى أتمنى لو أعلم أين أراضيه الآن) جاءنى من بسطة السلم التى تفصلنى عنها اثنتا عشرة سلمة لأسفل:

ـ فيه أوامر من المكتب التنفيذى بتفريق أى مظاهرات يقوم بها الناس.

صحت فيه غاضبا (ليس منه بالطبع):

ـ أنا لا آخذ أوامر من المكتب التنفيذى.

قال أحمد عادل وهو يلتهم السلالم نازلا:

ـ أنا ماعنديش وقت للمناقشة يا هشام ، لازم أبلغ الكل .

(قيل فيما بعد على لسان العباقرة أن الاتحاد هو الذى نظم المظاهرات !! لو كان الاتحاد الاشتراكى يستطيع أن ينظم مظاهرات كهذه ـ لما حدثت النكسة

من أصله .. لو كان الاتحاد الاشتراكـــى يستطيع أى شيء، لما نفخ السادات فـــى أعمدته ـــ تلك النفخة التى أسماها ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ ـــ فذراهم فـــى الهواء، دون أن يبكى عليهم أحد) .

أغلقت باب الشقة وأنا حائر . . وإذا بصوت هادر، فائر، عنيف.. يأتينـــى مـــن الشباك المطل على شارع القصر العينى . . عدوت لأطل على الشارع . . لحظتها رأيـت مصر فى شارع القصر العينى !!! . . نعم مصر . . وانفجرت دموعـــى ونزلـــت إلـــى مجلس الشعب، اهتف مع الهاتفين، بأننا لم ننته بعد.. أننا لن ننتهى أبدا..

يوم ثالث لا أنساه . . عشرة يونيو ١٩٦٧م .

فى هذا اليوم قررنا . . (مجموعة ـــ لا يعرف الواحد منها معظـــم الآخريـــن ـــ التقت فى شارع القصر العينى، أمام شارع مجلس الأمة ، أن نهاجم الســـفارة الأمريكيـــة لنعلن للأمريكان أن يدهم الطولى لن تتحكم فى مصر ، وأنهم لو حاولوا فسوف يدفعـــون الثمن غاليا، أغلى مما يتصورون!!، كنا نريد أن نعلن للأمريكيين، أننا لسنا خائفين منـــهم.. وأن عليهم هم أن يخافوا منا.. لكننا ـــ وبعد دقائق معدودات، كنا ـــ نحن أسرى لخـــوف غريب مرير لم نعهده من قبل!!

(٢)

يا أمريكا لمى فلوسك .. عبدالناصر بكره يدوسك .

عندما علت الصيحــة، صيحتنا، تطالب الحشود المتظاهرة، فى ١٠ يونيــو ١٩٦٧، بالهجوم على السفارة الأمريكية، كانت خطواتنا الشابة قد ســبقتها، وأدت إلى تجمعنا حول مبنى السفارة الأمريكية فى جاردن سيتى (على بعد أمتار قليلة من مجلس الأمة ــ الآن مجلس الشعب ــ)، لم يكن أحدنا يعرف إسم الآخر، لكن كــلاً منا كان يفهم قصد الآخر ونيته، فى اعطاء الامريكيين درساً بليغاً .. إتجهت أعيننـا ضاربة فى كل اتجاه، مغروسة أيضــاً فى عقول من حولها، فى عقــول بعضنـا البعض، وكانت كل الأعين تتساءل: ماذا نفعل بالسفارة ؟!

وعلى غير اتفاق مالت الأعين إلى الأرض بحثاً عن الطوب، بينما الحنـاجر تهتف بالويل للأمريكيين، وفجأه صك صوت مدمدم آذاننــا، واختلطـت الدمدمـة بالصهيل المجروح، وارتفعت أعيننا لنفاجأ بفرقة من الخيالة تهاجمنا، بـل تدهمنـا دون أن تعطينا فرصة لاستيعاب الصورة . . والموقف!، كانوا قد أطلقــوا علينـا الخيول، والقنابل المسيلة للدموع، وكأن مآقينا كانت تنقصــها الدمــوع فـى تلـك الساعات!!. وكأن روحنا وأجسادنا كان ينقصهما شيئً غير النكسه ليدهمــها، بـل ويهرسهما.

أذكر ــ الآن ــ أننى لم أخف فى حياتى مثلما خفت فى ذلك اليوم، فى تلــك الساعة! لقد ضُربنا بالرش والرصاص الحى ــ فيما بعد ــ ونحن نتظــاهر، لكـن الأحصنة تخيف أكثر !!!

• آه من الحصان .. آه ..

الحصان وهو يهاجمك يكون رأسه فى اتجاه بينما يندفع جسده فى أى اتجـاه آخر، وعندما يشب أمامك على قائمتيه الخلفيتين، لا تعرف بالضبط أيــن ســتنزل

...ـلاه المثنيتان عند الركبة وتحت الركبة، بحافريهما اللذين ارتفعا إلى مستوى صدره العالى، فوقك بمسافة!!

رحنا نعدو متخبطين فى الجياد وفى أنفسنا، نقف ونقوم لنقع فلا نرقد !! تنزل علينا رجل الحصان، وكأنها ثقل "ونش" يسقط من عل (الآن أفهم الصورة التى رسمها شاعر العرب الكبير جداً امرؤ القيس عن حصانه، بعد أن رأيت حصان الحكومة . . أفهم الأن كيف يكون الحصان "مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً" وأيضاً كيف يكون " كجلمود صخر حطه السيل من علٍ!! ") .

عندما وصلنا إلى شارع قصر العينى مرة أخرى والأحصنة فى أثرنا، كان الشعب يهتف "يا أمريكا لمى فلوسك عبد الناصر بكره يدوسك "، وكانت دموع الغضب تتساءل فى أعيننا الصغيرة : هذا هو رأى الشعب فلماذا يحمون سفارة الأمريكان ؟ ... تصورنا وقتها أن الشعب كان فى وادٍ وأن الحكومة كانت فوق الأحصنة.

أذكر أننى ألفت يومها، وأنا ملقى على الأرض مستندا بظهرى إلى ضريح الشيخ ريحان قصيدة ضد عبد الناصر ولحنتها لحنا بدائيا ورحت أغنيها بنشيج باك . موقعا بدقات الأكف . كانت بعض كلماتها تقول:

حكايتك غريبة . مصيبتك مصيبة
نهايتك رهيبة . فى يوم الحساب
تضيع لى أرضى . تبهدلى لى عرضى
وعقلك مفضى . وشورتك هباب

كنت أبكى من قهر شديد، قهر الهزيمة، وقهر الخوف الذى داهمنى مع الأحصنة، وقهر لأنهم منعونا من تدمير السفارة الأمريكية، لتعرف امريكا أن لا مكان لها فى مصر، (كنت مخطئا فى محاسبة عبد الناصر على القهر الأخير فى شعرى، ذلك أن السلطة – أى سلطة ثورية أو غير ثورية – كان لابد أن تحمى السفارات، على أرضها).

الآن أرى أن كان للقهر سبب آخر . . إنه الاضطراب الذى يواجهه الجنين فسيولوجياً لحظة خروجه من الرحم (هو الآخر يبكى!)، لقد كنت ساعتها أخرج منفصلاً عن رحم جمال عبد الناصر . . الأب !!، أقطع حبلى السرى عن حبله، عن أبوته، عن سلطته، عن إحساسى القديم بأننا مسئوليته، لقد أصبح الأن الوطن مسئوليتنا جميعاً انقطع الحبل السرى، وفُطمنا وتمردنا على السلطة الأبوية، وإنفصلنا عنها، كل ذلك فى لحظة واحدة .

• وكان أنور السادات ممثلاً ـ جيداً ـ كعادته:

والغريب أن ذلك كان يجرى داخلنا بينما **أنور السادات**، يرتج صوته متهدجاً وقد أرعشه نشيج البكاء، يؤكد فى الميكروفونات جميعاً التى علقت على مجلس الأمة، والراديوهات التى ثبتت مفتوحة فى كل مكان.. يؤكد لعبد الناصر: (أن الجماهير التى تفصلنا عنك إنما تقربنا منك) وكان وقتها يقصد أن عبد الناصر لن يستطيع أن يأتى إلى مجلس الأمة لأن ازدحام الجماهير فى كل الطرقات، يحول بين موكبه وبين الوصول إلى المجلس، وكان أنور السادات يعلن فى نفس الوقت وبنفس البكاء والتشنج، موافقة الزعيم على العودة إلى السلطة نزولاً على إرادة الجماهير، بعد أن تغاضى عن رغبته فى التنحى.

• هل نقول حقيقة؟!.

لعلنا نتوقف هنا قليلا لنؤكد على حقيقة قد يقرها البعض، وقد يتهرب منها آخرون، وهى أن اضطرابا شديداً، وتخبطا، كان قد اعترى تنظيمات جمال عبد الناصر كلها، الاتحاد الاشتراكى، التظيم الطليعى (بصورته القديمة التى بدأت ١٩٦٥) ومنظمة الشباب الاشتراكى، ففى أماكن (حسب التوزيع الجغرافى للمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى والمنظمة)، كان الكلام يدور حول الانتصار الوشيك، الانتصار الذى لن يبقى لإسرائيل ولن يذر، وبقى هذا الكلام كلامهم حتى فى الأيام الأولى من الحرب، إلى أن فاجأوا الشباب وأعضاء الإتحاد الإشتراكى، بكلام مخالف ابتداء من ليلة ٨ يونيو ١٩٦٧، بدأ بالتراجع إلى الخط الثانى (خط المضايق) ثم تدرج إلى خسران جولة، فى

صراع طويل ومرير، وضرورة إعادة بناء القوات المسلحة لتدخل حرباً في خلال شهور، ثم في خلال أعوام، ثم في الوقت المناسب الذى سوف تحدده القيادة السياسية (جمال عبد الناصر)، وفى أماكن أخرى حدث العكس تماماً.

قال لى عاصم الفولى (مهندس وصاحبه شركة انشاءات عقارية ناجحة الآن، وكان وقتها في عام ١٩٦٧ الطالب في الأورمان الثانوية، المسئول عن شباب المنظمة فيها، وعضو مكتب التثقيف في قسم الدقى) إن في مساء ٣ يونيو (قبل الحرب بثمانى واربعين ساعة)، تم استدعاؤه في المكتب التنفيذى في الدقى، واعلنوهم أن مندوبا من اللجنة المركزية للمنظمة سيجئ، ليقول لهم كلاماً في غاية الأهمية، ومرت ساعتان، ثم وصل "يحيى حمزة أحمد حمزة" (فيما يذكر عاصم) ليقول للشباب، إن عليهم أن يبلغوا كل كوادر المنظمة قبل أن يطلع نهار ٤ يونيو، أن مهمتهم هى إبلاغ الشعب (!!) بأننا لن نكون البادئين في الحرب، وإن إسرائيل ستبدأ، ستبدأ، ولن يتأخر الأمر أكثر من ٤٨ ساعة على أى الأحوال، وإننا سوف نفقد (١٠) من قواتنا (!!!) في ضربة إسرائيل الأولى تلك، وستكون الحرب طويلة ــ ومريرة.

ساعتها تساءل عاصم ببراءة:

ــ هل سيصدقنا الناس في هذا الكلام بعد أن ملأ الإعلام رؤوسهم منذ ما يقرب من الشهر بكلام عكس هذا ..

ورد عضو اللجنة المركزية.

ــ ليس المطلوب أن يصدقكم الناس، لكن الناس إذا ما قلتم لهم ذلك، ووجدوه بعد أيام واقعاه لن يصدموا(!!!).

لا أظن أن هذا الأمر تكرر في مواقع كثيرة:

والحقيقة أن هذا الكلام خطير للغاية فهو يعنى أن عبد الناصر بعد اجتماعه بقادة القوات المسلحة يوم ٢ يونيو ١٩٦٧، وبعد أن حذروه من خسائر تلقى الضربة الأولى، وخصوصا صدقى محمود قائد الطيران، وبعد أن رد عليهم جمال عبد الناصر بأن من

المستحيل أن نبدأ نحن الحرب لأنه لم يبق لدينا غير خيارين إمـــا أن نبـدأ ونحـارب أمريكا، أو تبدأ إسرائيل ونواجهها وحدها، عبد الناصر بعد أن وضع العقدة فى المنشـار للقوات المسلحة، كان قد أحس أنه دخل المصيدة ولن يخرج منها، وهكذا أراد أن يسرِّب للناس ما يحبط آمالهم التى ارتآها لن تصدُق، وأراد فى هذا الأمر أن يستغل المنظمـة وأظن أنه تراجع، وكان اضطراب المنظمة بداية نهايتها، إذ سيكتب التاريخ أن منظمـة الشباب أصيبت إصابة قاتلة مع مطاراتنا، وشهدائنا ــ لحمنـا ودمنـا ــ الكثـيرين .. الكثيرين .. على أرض سيناء...

نسوق هذا الكلام للعباقرة الذين تصوروا أن الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشـباب كانوا وراء خروج مظاهرات٩، ١٠ يونيو، لنؤكد أن مظاهرات ٩، ١٠ يونيـو كـانت وراء خروج الشباب ــ الغاضب من يومها وحتى أشعار آخر، من المنظمـة، بـل ــ وأكثرهم ــ من تنظيمات جمال عبد الناصر كلها.

● **ضباط القوات المسلحة يصطادون الطلبة:**

أيام أخرى لا أنساها من أيام النكسة .. هى تلك الأيام التى تدربنا فيها تدريباً عسكرياً راقياً !!! .

كنا قد تركنا كتبنا، ونسينا الثانوية العامة، ورحنا إلى المكتب التنفيذى لقصـور النيل (وهكذا فعل غيرنا فى كل المكاتب التنفيذية)، نلح علـى ضـرورة تدريبنـا عسكرياً.

لم تكن قد مرت أيام على النكسة فلم يجد طلبنا (فى تلك اللحظة) أية عراقيل، (كان الجيش المصرى وقتها قد أصبح فى خبر كان) وكـانت الطرق من مدن القناة إلى القاهرة مفتوحة لا يقف فيها إلا قوات الحـرس الجمـهورى (فـى مواجهـة محاولات غير مستبعدة، من عدو أصابه انتصار سهل بـالزهو، وأصابـه الزهـو بالغرور) لاحتلال القاهرة) .

كانت القوات المسلحة فى ذلك الوقت تعيد تكوين وحدات عسكرية جديدة من أفراد نجوا من جحيم سيناء، والتقطتهم معسكرات الشاردين .

المهم، أجيب طلبنا (الذى حورب كثيراً جداً فيما بعد) وأُخذنا متطوعين إلى مدرسة المشاة بالعباسية (الآن هى عمارات العبور الفارهة لضباط القوات المسلحة)، لنتدرب "تدريباً راقياً" على استخدام السلاح "هكذا أسموه فى هذه الفترة".

منذ اللحظة الأولى التى وضعنا فيها أرجلنا فى مدرسة المشاة، صرنا صيداً سهلاً متاحاً ومباحاً للضباط والجنود من أفراد القوات المسلحة الجريحة المكلومة !! أفرغ فينا الضباط والجنود غيظهم من النكات التى أمطرها الشعب المصرى عليهم بمجرد أن قبل جمال عبد الناصر العودة إلى كرسى الرئاسة وبعضها أيضاً للتاريخ كان يمس جمال عبد الناصر شخصياً وأقواها فيما اتذكر النكتة القائلة، عبد الناصر جه يغير التاريخ، غيّر الجغرافيا.

كان الشعب (فى محاولة لتعذيب الذات) قد ألغى رتب القوات المسلحة (ملازم ثان، ملازم أول، . . .) وحولها إلى (سريع أول، سريع ثان، . . .) وكان يقصد بذلك أنهم جروا فى سيناء من مواجهة العدو .

لم يكن الشعب على حق فى نكاته (لكن يشفع للشعب انه لم يكن قد عرف شيئاً من أسرار ــ النكسة بعد فلا الجنود ولا الضباط كانوا مسئولين عما حدث، كانت المسئولية مسئولية نظام ترهل، وقادة عسكريين مارسوا كل شيء فى الدنيا إلا الأمور العسكرية فيما تلا كارثة الانفصال السورى عن الجمهورية العربية المتحدة (وحدة مصر وسوريا من ٥٨-٦١) لكن الشعب أراد بنكاته أن يجعل للنكسة سبباً يمكن تجاوزه، فجعل السبب هؤلاء الذين جروا، والذين سيستبدلهم بمن لا يجرون، وهذه أولى صفات جلد الذات، فأنت لا تجلد ذاتك لفقدانك ما لا تستطيع تحقيقه، بل لفقدانك ما كان مفترضاً أنه فى يدك، وحقيقة فإن النصر كان فى يدنا .. ومازال .. كان الشعب ينفى داخله إحساساً مؤرقاً وغير

حقيقى ــ بالتفوق الإسرائيلي، احساس كان يجرى ترويجه من تحت لتحت فى هذه الآونة بحسن نية وبسوء نية أيضاً وكانت السلطة تشارك فى هذا الترويج.

ولقد اضطر **جمال عبد الناصر** فى أول خطاب له بعد خطاب التنحى (فى عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م) أن يطلب من الشعب التوقف عن التنكيت على اخوتهم وابنائهم من أفراد القوات المسلحة، حفاظاً على الروح المعنوية وإرادة الانتصار.

فى طوابير التدريب فى مدرسة المشاة كان الضباط والجنود يبتسمون لنا فى سخرية واضحة صائحين :

– أنتم بقى اللى ح تحرروا مصر ؟!!

كنا نقف لنتعلم الاشتباك بالأيدى وبالأسلحة البيضاء "السونكى" والخنجر فنفاجأ بأننا نضرب علقه ساخنة، وأنهم يشيلوننا ويهبدوننا بحق وحقيق !!

– ما تنشفوا، أمال ح تحرروا مصر ازاى ؟!

وكنا فى عز الصيف (يونيو)، نترك فى التدريب عطاشى بلا ماء، بعد أن أفهمونا أن الماء موجود فقط فى جامع المدرسة البعيد عن مكان تدريبنا، وبين الطابور والآخر كانوا يطلقوننا إلى الماء فى الجامع على أن نعود راكضين بمجرد سماع صوت الصفارة، ثم كانوا يطلقون صفاراتهم قبل أن نصل إلى الماء دوماً !!

وأشياء أخرى كثيرة فعلوها معنا، كانت كلها لإهانتنا، رداً على إهانة الشعب لهم بالنكات الوفيرة (لقد كان أصحاب المصلحة الواحدة يضرب بعضهم بعضاً، لأن سر النكسة الحقيقى كان لم يزل مخيفاً، ولم تكن السلطة وقتها قادرة على إظهاره!!)، برغم هذا تعلم بعضنا كيف يستخدم البندقية الآلية ٧,٦٢ × ٣٩ وتعلم البعض الآخر كيف يستخدم الرشاش، وتعلمنا كلنا استخدام القنابل اليدوية والاشتباك بالأيدى وبالسلاح الأبيض – ذلك أن المدربين برغم كل آلامهم وغيظهم –

أخلصوا فى تدريبنا، مستشعرين خطورة المرحلة مستهدفين خير الوطن، ووجهه الجميل، نحن أيضا كنا مصممين على أن نتدرب مهما كانت العراقيل.

والحقيقة أننى (وخلى بالك جيدا من هذا) قبل انتهاء تدريبى، اضطررت إلى أن أغادر مدرسة المشاة وأعود إلى البيت، إذ كانت قد بقيت أيام ثلاثة على الميعاد الجديد الذى حددوه لامتحان الثانوية العامة، والذى عرفنا به فى المعسكر متأخرين للغاية ! وعن طريق الصدفة البحتة (برغم أنهم فى المعسكر كانوا يعلمون أن بيننا طلبة فى الثانوية العامة).

۞ على صبرى .. هو على صبرى!، مهما حدث:

ويوم أخير لم أنسه من أيام النكسة .

فى المكتب التنفيذى، جمعوا الذين أتموا تدريبهم الراقى على السلاح واستدعونى معهم، قلت فى براءة :

- أنا لم أتم تدريبى . . (ألم أقل لك خلى بالك من هذه!)

- معلش، خد . .

أعطونى رشاشا فاندهشت، وقلت فى براءة أيضا :

- لكنى كنت أتدرب على الآلى ٧,٦٢ × ٣٩

- معلش . . ياللا بينا . .

أوقوفونا فى جاردن سيتى، أمام إحدى قصورها القريبة من الكوبرى الصغير الذى يقود إلى كلية طب قصر العينى .. وقال لنا المندوب: إن مهمتنا حماية ذلك الكوبرى من أعمال التخريب التى يزمع العدو القيام بها لترويع الجبهة الداخلية، و. . .

وصحنا وقد أصبحت دهشتنا أكبر من أن تتحمل:

- لكننا نقف بعيداً عن الكوبرى ! نقف بعيداً عن النيل ! نقف عبر الكورنيش على الرصيف المقابل لرصيف النيل !

- معلش شدوا حيلكم .

مر وقت طويل ونحن وقوف، كل منا يصرخ فى داخله صوت يرج حناياه رجاً بالغضب، "الأمر صورى، الأمر لا جدية فيه"، لكن أحداً منا لم يهمس للآخر بالصرخات داخله . . وفجأة مرت بنا دراجة وصاح فينا راكبها :

- السيد **على صبرى** ح يوصل بعد دقائق . . رتبوا أنفسكم .

لحظتها تركنا السلاح بعد أن سندناه على سور القصر الفاره، وجلسنا على السور متعمدين أن نشوّه صورتنا، التى سيراها السيد على صبرى، لا أن نرتبها كما أمرونا، لقد عرفنا ما فيها، الأمر تسديد خانة أمام على صبرى الذى يسد بدوره خانه أمام جمال عبد الناصر، ها نحن ذا نقف بعيداً عن النيل، الذى سنحميه من المخربين !! لكى نكون فى الناحية التى ستمر بها سيارة على صبرى (أى جرأه يمتلكها هؤلاء الناس!!) لقد أثبتت لنا جرأتهم فى ايقافنا بعيداً عن الهدف الذى نحميه، أن **على صبرى** نفسه يعلم بصورية الأمر، وأنه يسد خانة عند **جمال عبد الناصر** .

"وللحقيقة فقد كان سؤال آخر يستفز ضيفنا، ويحرق أعصابنا.

"ألا يعلم جمال عبد الناصر بصورية الأمر، أم هو يعلم وهو الآخر يسد خانة أمام الشعب ؟! .. الآن أعرف الإجابة، وهى أن المكتب التنفيذى كان يسد خانة أمام على صبرى و على صبرى كان يسد خانة أمام جمال عبد الناصر، الذى كان يسد خانة بدوره أمامنا نحن الراغبين فى الدفاع عن وطننا.

فجأه صحنا مقتنعين، غاضبين . .

هؤلاء الناس لن يتغيروا .

۞ برتقالة د. مفيد شهاب!.

على ذكر الواقعة الفائتة، أذكر أن طارق النبراوى (من القيـــادات البـــارزة لحركة الطلاب، المنتمين إلى التنظيم الطليعى) قد حكى لى (وضمت الورقة التـــى ارسلتها المجموعة البارزة من نفس التنظيم إلى روز اليوسف. تعقيباً على المقـالات التى نشرتها بالمجلة نفس الحكاية، وهى الورقة التى آســف لأننـــى لـــم اســتطع استعادتها من المجلة، وكان قد أعدها طارق، وأحمد الحمدى، وبسام مخلوف وماهر مخلوف وآخرون) قال طارق إن الدكتور مفيد شهاب (كان واحداً من أمناء الشـباب فى المنظمة وقتها، قد جمع عدداً كبيراً من قيادات المنظمة بمنطقة شرق القـــاهرة، وعلى ما أذكر فى "نادى شل" بمصر الجديدة مع الخيوط البيضاء لفجر يـــوم تـــال مباشرة للهزيمة النكراء، وقال لهم إن مهمة كبيرة فى انتظـــارهم، واطلـــق علـــى المهمة اسم "البرتقالة" (!!)، انتظر الشباب المهمة، وطال الانتظار لأكثر من اثنتـــى عشرة ساعة، عاد إليهم الدكتور بعدها، ليعلمهم أن المهمة قد ألغيت. هكـــذا دون أن يعرف أحد ما هى المهمة التى كانت على وشك أن تبدأ، ولا لأى الأسباب الغيـــت (!!)، فيما بعد علموا أن المهمة كانت إعطاءهم سلاحا، ونقلهم إلى طريق القـــاهرة ــ السويس الصحراوى، لتغطية النقص فى القوات المسلحة الحامية للطريـــق فـــى مواجهة أى محاولة قد يقدم عليها اليهود لاختراقه وإحتلال القاهرة، وقال طـــارق: حين علمنا ــ فيما بعد ــ طبيعة المهمة، أصابتنا دهشة عارمة، فلم يكـــن أى مـــن المجموعة قد تلقى تدريبة على السلاح بعد!!.

ولعلى اتساءل الآن: أكان من الممكن أن يزجوا بشباب غير مـــدرب علـــى استخدام السلاح فى مهمة صعبة كهذه؟، أم كانت تلك الواقعة ــ هى الأخرى ومثلها كثير ــ سد خانه أمام على صبرى، الذى يسد خانة أمام جمال عبد الناصر، الـــذى ــ بدوره ــ يسد خانة أمامنا نحن الشباب المطالب بالتدريب العســكرى، المصمـــم على الدفاع عن وطنه؟.

• برغم كل شىء.. كنا نستثنى جمال عبد الناصر!:

هل كانت نكسة يونيو ١٩٦٧م هى التى ذهبت بى . . أنا القاهرى الذى قضيت عمرى كله فى فصل المتفوقين ــ إلى كلية الطب بالمنصورة ؟! لـمَ لا؟!، لقد ذهبت بى النكسة إلى أبعد من ذلك بكثير . .

كان قد تكون داخلى (فرحت فيما بعد، عندما عرفت أن داخلى يمور بما يمور به داخل الأغلبية الساحقة من جيلى) إحساس بضرورة أن نفعل شيئاً من أجل البلد، وضد النظام، ألم تقل لنا الأحداث بعد النكسة، إنهم لن يتغيروا.

كانت وجوه النظام مازالت نفس الوجوه، مع تغيير طفيف يثبت القاعدة ولا ينفيها، وكانت تصرفاتهم هى نفسها التى قادتنا إلى النكسة، دون أى تغيير . . .

وكنا نستثنى **جمال عبد الناصر** !!!، لم نكن نربط بين عبد الناصر ونظامه!!!

صحيح أننا كنا قد قطعنا حبلنا السرى معه، انفصلنا، وكنا نحمل عبد الناصر المسئولية عن تهرؤ نظامه خصوصا بعد أن بدأ يفتضح أمر المؤسسة العسكرية والمخابرات الحربية التى تغلغل فى أرجائها الفساد وتغلغلت فى نسيج الوطن بفسادها، بل وصحيح أيضاً أننا لم نكن مقتنعين مائة فى المائة بقدرة عبد الناصر على إحداث التغيير المطلوب، لكننا ظللنا متعشمين خيراً فيه وفى أنفسنا . . وكانت هذه ازدواجية لم يستطع أغلبنا التخلص منها إلا بعد مظاهرات نوفمبر١٩٦٨.

وكانت ــ أيضا ــ هذه عين الازدواجية التى كنا نعانى منها.

كنا نريده أن يصبح كما نريده !!

لم نكن نستطيع أن ننسى أو نتناسى أن عبد الناصر كان ــ عن حق ــ رجلاً يمثل كل ما نحلم به . . حرية الوطن، إنجازات عديدة لفقرائه، انتماءً عربياً هو الحلم فى عالم الوحوش الكبيرة، دائرةً واسعة من المقاتلين الشرسين ضد استعمار عالمى تقوده أمريكا التى توحشت بعد الحرب العالمية الثانية . وأرادت أن تجنى

وحدها ثمار انتصار، رأت أنها كانت السبب فيه، وأن أحداً من حلفائها لا يستأهل أن يجنى شيئاً من ثمار ـ هذا الانتصار.

لم نكن نستطيع أن ننكر كل هذا وما هو أكثر منه .

لكن عبد الناصر كان بعيداً، كانت تفصله عنا مسافة كبيرة، تمتلئ بالعتاة من البيروقراطيين، الذين يؤكدون دوماً أنه ليس فى الإمكان أحسن مما كان . . وكنا نريد الأحسن . . وفى الأحسن كنا واثقين من الإمكان .

كنا قد رفضنا أن تكون المسئولية مسئولية عبد الناصر ـ وحده ـ فى التاسع والعاشر من يونيو، وكان الوطن قد أصبح مسئوليتنا من تاريخه، وغداً يراودنا حلم ـ والأيام تكر مبتعدة على نكسة يونيو ـ أن يصبح عبد الناصر ـ نفسه ـ مسئولياتنا.

● يا رجل ... قل كلام غير هذا !!

صديق شاعر فى كلية طب المنصورة قال لى ضاحكا :

– عبد الناصر مسئوليتنا؟ .

– لم لا .

– يا راجل !!

قلت لصديقى : ليست هذه هى المرة الأولى . . التى يكون فيها عبد الناصر مسئولية الشعب لقد كانت الدنيا كلها ضد عبد الناصر، بعد أن أمم القناة وطلع عبد الناصر باكيا إلى منبر الأزهر، فأنزله الشعب عملاقا أسطوريا، ونفخ فى روحه، بعدها استطاع جمال عبد الناصر أن يواجه الدنيا التى تتحدى طموحاته، لقد حقن الشعب فى وريده ترياق الاستطاعة، وبدد وحشته وسط أعضاء مجلس الثورة الذين طالبه بعضهم وبعض الباشوات القدامى أيضا بأن يسلم نفسه للسفارة الإنجليزية معلنا توبته عن الحلم العربى الجميل، سانده الشعب فأطمئن واستطاع، أكثر من هذا عندما انكسر الجيش المصرى بين فكى الرحى . . اسرائيل من الشرق، وانجلترا

وفرنسا ـ الامبراطوريتين ـ خلف الجيش غرباً فى بور سعيد، تولى الشعب مسئولية الوقوف للعدوان حتى إنتصرت إرادته على إرادة العدوان، وانتصر جمال عبد الناصر على رغبة الامبراطوريات الكبرى فى أن تعيد الأمور لما كانت عليه، انتصر **جمال عبد الناصر** بالشعب، برغم انكسار الجيش، بل وبرغم اهتزاز النظام ومحاولة الأفاعى أن تعود لتطل برؤوسها الكريهة، ولم يعد الأمر لما كان عليه، وأصبحت القناة لنا وللأبد . ثم ألم نكن نحن فى مظاهرات ٩ ، ١٠ يوليو درع عبد الناصر الذى يحميه من الاستسلام حتى ولو لبس الاستسلام للغرب ثوب زكريا محيى الدين الذى اصبح مرشحهُ ليرأسنا كى يتفاهم معهم.

تساءل صديقى متحرجاً :

– ألا ترى أنك تبالغ؟ .

قلت ضاحكاً:

– اسأل إسرائيل !!!

– إسرائيل . . .

قلت لصديقى: أن إسرائيل وعت الدرس، ولهذا توقفت عند قناة السويس، بينما الطريق مفتوحة لها إلى القاهرة . . توقفتْ حتى لا تواجه الشعب مرة أخرى، بعد أن استطاعت أن تهزم الجيش .

قال صديقى متحيراً :

– الشعب، لا الطلبة من سنى ومن سنك !!.

وقلت لصديقى :

– لابد أن يبدأ أحد . . .

وزاغت عينا صديقى، ولابد أنه رأى فى هذه اللحظة أن عينى زائغتان . . كنا نحتاج لأن نصدق أنفسنا . . (ولقد صدقناها فيما بعد !!).

أما فى وقتها فقد كان بداخلنا قناعة تؤرقنا، وكان خوفنا بداخلنا أيضاً يأس الجميع الذى يعبر عن نفسه فى جلد الذات، وكان بداخلنا وخوف الجميع أيضاً، خوفهم من أن الحجة جاهزة لضرب أى تحرك . . طبعاً لأن البلد فى ظروف تاريخية صعْبة (وآه من هاتين الكلمتين، إن جيلنا، الذى جاء بعد الجيل الذى جاء فى موعده مع القدر، كان على موعد مع الظروف التاريخية الصعبة، لا أذكر أننا رأينا البلد أو سمعنا عنه إلا فى ظروف تاريخية وصعبة !! لم نتابع خطاباً رئاسياً إلا وكان فى نظر الإعلام . . تاريخياً! وكان لشرح المرحلة النضالية الصعبة !!!) لكننا وبرغم خوفنا لم نفقد التصميم لكننا وبرغم خوفنا ظل السؤال المؤرق داخلنا "كيف نفعل ما نريد ؟!".

• **المحللون يستكثرونها علينا !!.**

الحقيقة أن حركة الشباب (٦٨-١٩٧٧) ظُلمت ظلماً بيناً على أيدى المحللين، وأقصد ـ من المحللين ـ كل من نفترض فيهم حسن النية بالطبع.

قال المحللون (وكان كبير المنظرين فيهم الأستاذ محمد حسنين هيكل: إن حركة فبراير ١٩٦٨، جاءت كرد فعل للأحكام الصادرة ضد قادة الطيران الذين يتحملون المسئولية عن النكسة. ـ كما أحب أن يصورهم النظام ـ والتى رآها العمال والطلبة ـ والشباب ـ أقل مما يجب !!

وقالوا: إن حركة نوفمبر ١٩٦٨ جاءت كرد فعل لقرار وزير التعليم (**د.حلمى مراد**) فى ذلك الوقت بتحديد عدد مرات للرسوب، فى محاولته لتصحيح أوضاع التعليم، بعدها يحرم الطالب من مواصلة التعليم واستكمال ما بدأه .

وقالوا عن حركة يناير ١٩٧٢م : أنها جاءت رد فعل لخطاب السادات الذى أعلن فيه أنه كاد يحارب فى ديسمبر ١٩٧١م (عام الحسم الذى أعلنه بنفسه) لكن الضباب عاقه عن عبور القناة، ولم يقولوا شيئاً عن حركة يناير ١٩٧٣ واعتبروها توابع لزلزال ١٩٧٢ ! وقالوا عن انتفاضة يناير ١٩٧٧ التى كان فيها دور كبير

للطلاب أنها نتيجة ارتفاع أسعار سلع كثيرة فى وقت واحد ... وهكـــذا لـــم يكـــن الشباب إلا محتجين فى أحسن الأحوال، ومحتجين ــ فقط على أحداث صغيرة!!

والحق أن المحللين – حسنى النية – كانوا وما زالوا، وربما لأسباب استقوها من تجارب سابقة – غير متصورين – أن يقوم الشباب بحركة شعبية متصلـة ٦٨-١٩٧٧ لها أربع قمم، قمتان استهدفتا المشاركة الإيجابية فى فـبراير ١٩٦٨ وفـى يناير ٧٢ – إلى مارس ١٩٧٣م، وقمتان غاضبتان فى نوفمـبر ٦٨ وفـى ينـاير ١٩٧٧، وأن الطلاب كانوا فى التسع سنوات مصممين على أن يصلوا بحركتـهم إلى كل مطالبهم، تلك المطالب التى تحقق أحدها بصورة بـاهرة وتحقـق الآخـر بصورة باهتة، أما الثالث الذى انتكس، فكان فاتحة لإنفجارات براكينه من العنـف الجموح الذى مازال يهددنا حتى إعلام آخر .

ولكن لماذا نستبق الأحداث ؟!

● **فى فبراير ١٩٦٨، كنت فى طب المنصورة (كما قلت) :**

وكنا فى السنة الإعدادية ــ نتلقى محاضرة فى الكيمياء الحرارية، وكـان أن دق باب المدرج فى عنف شديد، ولما فتح الأستاذ الدكتور الباب غاضباً، فوجـئ بزميلنا أحمد صقر (رئيس اتحاد طلاب الكلية، وعضو اتحاد الطلاب على مستوى الجمهورية وصديقى الجميل الذى يعد واحداً من أقوى الرجال، والرجال قليـل!!) يكلمه فيما لم نسمعه نحن بدقة، ثم فوجئنا نحن بالأستاذ الدكتور، يدفع أحمد صقـر خارج المدرج، ويغلق الباب فى عنف، لنعود ونفاجأ ــ الأستاذ الدكتور وطلبتـه ــ بأحمد صقر يقفز من النافذة داخلاً المدرج، متجهاً إلى المنصة حيث يقف الأسـتاذ الدكتور الذاهل، وبأنه يخطب فينا ــ فى عصبية شديدة ــ طالبـاً منـا أن نخـرج جميعاً وأن نلحق بطلاب الكلية فى مبنى الجامعة الجديد (كانت الكلية موزعة فـى ثلاثة مبان فى تلك الفترة، وكان مبناها ــ الحالى ــ لم يزل تحت الإنشاء) مـبرراً طلبه، بأن الذين أضاعوا البلد، يحاولون الآن أن يصوروا الأمر على أنـه خطـأ

بسيط، لأفراد قليلين يستحقون عنه عقوبات تافهة، وأن عمال حلوان عندما رفضوا الأمر، وخرجوا متظاهرين انهال عليهم رصاص الشرطة من كل صوب

خرجنا وراء أحمد صقر، إلى مبنى الكلية الجديد، وهناك، وقف بيننا زعيم، كان رياضياً ــ فقط حتى لحظة وقوفه بيننا ــ وكنا نسميه لهذا ــ وما زال اسمه "الكوتش" ــ كان الكوتش يصيح فى الجموع:

ــ لازم نعمل مظاهرة..

وخرجت المظاهرة من كلية طب المنصورة عكس الاتجاه (معنوياً، وفعلياً كانت عكس الاتجاه)

لقد كان اتجاه السلطة وقتها يعمد إلى تصوير النكسة، وكأنها حادث عرضى تسبب فيه قادة الطيران الذين تركوا المطارات عارية من الحماية النشطة . والطائرات كالبطات على الأرض، فانقضت عليها اسرائيل بسلاحها الجوى المدعم بالطياريين من كل بلاد الغرب (*) . . وهكذا فقدت جيوشنا الحماية الجوية فى سيناء، وأصبحت لقمة سائغة . لحدآت تنقض من الجو بمناقير من نابلم حارق، وكأن حريق العطش لا يكفى قواتٍ انفرط عقدها فراحت تتخبط فى التيه .

كان النظام يعمد إلى تصوير الأمر وكأنه مجرد خطأ قادة الطيران، وخطأ مخابرات عامة خرجت عن خطها المرسوم .

ولم يكن الأمر كذلك فى رأينا . . لهذا خرجنا ضد الاتجاه السائد معنوياً .

كنا نريد أن نتجه إلى المحافظة ونرابط أمامها لنعلن رأينا، وفوجئنا أننا نمضى أيضاً فى عكس الاتجاه الذى يقودنا إلى المحافظة . . رحنا نشق المزارع

(*) لا يظن أحد أن موضوع استعانة اسرائيل بالطيارين من كل بلاد الغرب موضوع هين، لقد قال لى اللواء طيار " جبر على جبر، وهو خبير عسكرى، إن مفاجأة ٧٣ لم تسمح لإسرائيل بأن تستدعى طيارى الغرب ولهذا انكشف مستوى طياريها فى الأيام الأولى من حرب اكتوبر العظيمة.

إلى المعهد الزراعى (كلية الزراعة فيما بعد) ومنه إلى المعهد التجارى على نيل المنصورة الجميل (كلية التجارة فيما بعد)، لنقابل المعاهد الدينية التى جاءتنا فعلا وقولا من الناحية الأخرى .

واستطيع أن أؤكد الآن أن خوفنا كان وحشا يصيب حلوقنا بالجفاف . . كانت شمس فبراير كابية . ولم تكن السبب وراء جفاف حلوقنا، كان السبب هو ابحارنا الغاضب فى بحر لا نعرف إلى أين سيقودنا، ولا متى ينفتح علينا ليبلعنا، بحر المعارضة العلنية لنظام جمال عبد الناصر الذى لا يرحم المعارضين(!!)، وكنا نعبر عن خوفنا برعاية زميلاتنا اللاتى نخشى أن يتبهدلن، لقد أجلنا خوفنا وكأننا لا نخاف إلا عليهن !!! وكانت زميلاتنا (وكم كن عظيمات زميلاتنا هؤلاء، مازلت أذكر منهم نجوى ضيف ومنى الرقيقة الحالمة وجين الشناوى، وناهد صبحى، وفاطمة أبو العينين، وكلهن طبيبات ـــ كبريات الآن، يعلن أنهن لا يقبلن أن يتركننا وحدنا فيما نحن فيه . . وكأنهن لا يخفن إلا علينا (فى ذلك الوقت لم تكن الحياة الاجتماعية فى المنصورة تسمح لنا بأن نكلم زميلاتنا فى الشارع، وكنا إذا ما قابلنا هن عرضا سارعنا بالدخول إلى شارع جانبى .. وسارعن هن أيضا بنفس الأمر .. لكن للمظاهرات منطق آخر).. لكن مداراة الخوف الأصلى بخوف مصطنع كان عاملا عبقريا فى اعطاءنا الجرأة على الابحار فى بحر الظلمات بحثا عن فجر وراءه.

لقد كنا نكسر جدار خوف ظل يزداد سمكا منذ أحداث مارس ١٩٥٤، ولمدة أربعة عشر عاما . . لقد ربانا أهلنا على أن من يعارض النظام فلابد أن يذهب به النظام إلى ما وراء الشمس، حيث لا يراه أحد ولا يسمع به أحد، ولا يجد إلا الضياع والخراب والتعذيب المهين، وربما الموت بلا ثمن، وكانوا يتصعبون ثم يكملون و"ياليته يضيع وحده . . لا . . أقاربه من الدرجة الأولى والثانية والـ . . . أما الصغار فسوف ينتهى أملهم فى دخول كليات الشرطة والحربية والطيران والفنية العسكرية وفى الالتحاق بوظائف محترمة أو الحصول على بعثات تؤهلهم لشهادات علمية مرموقة، أما أقاربه من بعيد فلن يتبوأ أحد منهم منصبا كبيرا أبدا .

لقد نقل الآباء خوفهم إلينا وأصبحنا نخاف – فوق خوفنا على أنفسنا – عليهم، وإذكر اننا جعلنا موقع البنات فى قلب المظاهرة، وسرنا حولهن جميعا، وسرن داخلنا يشددن من عزيمتنا .

وراحت هتافاتنا تتعالى . . فكانت المفاجآة أن خوفنا راح يبهت وتتضاءل قامته التى كانت تسد طريقنا عندما خرجنا .

كنا نهتف ضد العسف والبطش اللذين واجهت، بهما السلطة عمال حلوان الذين أرادوا أن يعلنوا رأيهم، وكأننا أو فى الحقيقة كنا نهتف ضد كل من سيمارس عسفا ضدنا، وقد خرجناه ــ كالعمال ــ نريد أن نعلن رأينا . . ولم تكن هتافاتنا ضد المتسببين فى كارثة الطيران وحدهم، لكن ــ أيضا ــ ضد سلطة تريد أن تخفى مسئوليتها عما حدث لنا، وعما حدث للطيران، وأن تلون مصير كل محاولة للاعتراض على أفعالها التى جلبت لنا النكسة بدهان من دماء العمال الشرفاء لقد كانت السلطة فى تهربها من المسئولية تحاول أن تعيدنا إلى تفكير بال، أظهرت النكسة مدى ما فيه من عوار، وهو أنها فعلت ما يجب أن تفعله كله ولم يكن على حائطها غبار، والمتسببون فى النكسة ها هى ذى تحاسبهم(!!!)، أما التغيير إلى الأفضل فلا يجب أن يكون فى بال أحد، ستعود السلطة ــ فيما بعد ــ وتحدده وترسم ملامحه كلها ــ دون مساعدة من أحد ــ، وتمارسه بالنيابة عن الناس، لتستمر (ديموقراطية الموافقة) تلك الديموقراطية التى نظرلها **محمد حسنين هيكل** فى مرحلة الشرعية الثورية . . وهى تعنى أن السلطة الثورية تعرف ما يحتاجه الشعب، وتفعله ولا دور للشعب إلا الموافقة . وأن رأس العمال لطائر يجب أن يعلمنا مصير من تسول له نفسه بأن يفكر فيما هو أكثر من الموافقة.

هكذا أرادت السلطة أن تقنعنا أن الجناة قد عوقبوا وانتهى الأمر . . وكنا مصممين على أن أمرا لم ينته، بل أيضا على إن أمرا آخرا أكبر لابد وأن يبدأ.

كانت هتافاتنا كلها تطالب بالتغيير، بالديموقراطية، بحقنا فى المشاركة حتى لا نفاجأ فى أية لحظة بهول جديد . بمحاكمة كل المسئولين عن النكسة، لا قادة الطيران وحدهم، أو قادة الطيران وقادة المخابرات العامة وحدهم .

• سؤال مؤرق .. فى وقت حرج!

وفى مظاهرات المنصورة . ووسط الحماس الجارف سألت نفسى سؤالا ولم أجد له إجابة كيف سيتصرف أهلى إذا ما قبض على وأنا بعيد عنهم، هكذا فى المنصورة!. وفجأة اقتحمت زميلة عزيزة مكان خطواتى القلقة فى المظاهرة . . وجدتها أمامى تسير بظهرها، وبين الهتاف والآخر تقول لى:

ــ انت لازم تنزل مصر حالا دلوقت.

صحت. وكأنى لم أكن أفكر فى نفس الأمر منذ لحظة واحدة.

ــ لا . . لن أترككم.

ــ لن تترك من ؟!.

ــ لن أترككم وحدكم.

ــ لكنك لم تخرج من أجلنا، لقد خرجنا جميعا من أجل مصر.

كنت أحاول إقناع نفسى بالبقاء فى المنصورة . . فقلت :

- إذن سابقى معكم جميعا من أجل مصر .

- وإذا قبضوا عليك معنا ؟!!

قلت ولكن بغير قوة . كانت قد داست بكلماتها على كل أعصابى العارية .

- اللى يحصل يحصل .

كنت شديد القلق على أهلى، وكانت زميلتى العزيزة تعانى نفس القلق).. أنهم لن يعرفوا أين أنا ولن يمتنعوا عن "الشحططة" ورائى (كانت تطل من رأسى

الظنون تلومونى وتشد أذنى على رأى الراحل العظيم كامل الشـــناوى) .. وألـف حكاية ــ سمعتها من قبل ــ عمـن ــ "تشحطط" وراءهم أهلهم ترد علـى ذهنـى وتتضخم جانبى وداخلى.

وقلت لزميلتى العزيزة والعظيمة (وهـى أستاذ فى كلية الطب الآن، لا أعـرف هل يرضيها أن أقول اسمها أم ستغضب) كاشفا عن ضعف ينهشنى من داخلى .

- خلاص . . ح أنزل القاهرة .

وركبت القطار وركبنى الهم لإحساسى بأننى تركت زملائى الذين أجبتهـم دوما لنفس وتركت زعماء المظاهرة، أحمد صقر العظيم، وسعد الشـريف الفنـان الجميل الذى أكرمنى دائما برسومات لأشعارى، والكوتش لمصير لا أدرى أبعـاده .. ولـم يفارقنى همى إلا مع زملائى فى مظاهرات القاهرة .. التى كانت حواديتها أكثر من أن تروى .. فماذا لو أضفنا إليها حكايات الآخرين؟.

لكننى لابد وأن أقول هنا، إن الحكاية فى مظاهرات ١٩٦٨، حكاية لم تكـن أولى الحكايات فى مظاهرات القاهرة، ولم تكن آخرها، تطفو من الذاكرة، تستفزنى أن أبدأ بها فقد كانت ولا زالت شديدة الدلالة على ما رسم خطواتنا فيما بعـد تلـك الخطوات التى انطلقت وقد أثقلها الخوف الموروث، الخوف الذى كبل أية محاولـة للمعارضة السياسية، إذا ما صاحب هذه المحاولة صوت جهير يعلنها على الملأ .

فى كلية الطب جامعة القاهرة، كان هانى عنان (صاحب ومدير شركة كبرى لتجهيز المستشفيات الآن)، شابا ملفتا للنظر بقامته الطويلة للغاية، برداء الباسـكت بول الذى كثيرا ما ظهر به فى الكلية، بابتسامة لا تفارق وجهه، تجبرك علـى ألا تشيح بوجهك بعيدا عنه، بسكناه الدائمة فى أرض الحلم حيث المسـرح والتجـارب اللاسعة، كالشطة السودانية، حيث الفن، وقصائد وكلمات نزار قبـانى، والسـينما، والأغانى، كان هانى مترددا يوم المظاهرات، حائرا، لا يعرف كيف يصـل إلـى قرار بالمشاركة أوبعدم المشاركة .

وكانت لنا زميلة غاية فى العقل والظرف إسمها منى كامل (طبيبة تعيش الآن مع زوجها الشهير جدا ـ بين كل من زاروا ألمانيا - فى ألمانيا) وقد لاحظت منى حيرة هانى التى كان يصبها كلها فى مشكلة فرعية .

- إذا خرجت فى المظاهرة أين أترك الشنطة ؟

(لم تكن الشنطة تفارق هانى أبدا فقد كانت تضم ملابسه الرياضية وفى بعض الأحيان كتبه).

وصاحت **منى** :

- الشنطة هى المشكلة ؟

رد **هانى** فى حيرة بريئة أو براءة حائرة :

- آه .

وقالت **منى** :

- إذا كانت هى المشكلة هاتها وأنا ح اتصرف فيها .

وخرج هانى عنان فى المظاهرة بعد أن حلت مشكلة الشنطة (العويصة !) وأخذتنا المظاهرات، أو كما يقولون مظاهرة تشيلنا، ومظاهرة تحطنا، حتى وصلت إحدى المظاهرات (فقد تفرعت المظاهرات إلى أماكن كثيرة) إلى خلف مستشفى الهلال الأحمر على ما أظن . . وأطلقت الشرطة بنادقها علينا، ظننت أنهم يطلقون الرش (الخرطوش)، لكنى وجدت هانى وقد وقع بيننا .. (كان الوحيد الذى وقع) وقد اخترقت رصاصة حقيقية حوضه من ناحية، وخرجت من الناحية الأخرى، وحملناه إلى المستشفى فى ذهول تام.

فى المستشفى زارته منى، وفاجأها هانى ضاحكا بقوله :

- إيه اللى خلاك تاخدى الشنطة يا منى !!

والحقيقة أن منى لم تكن قد أخذت شنطة **هانى عنان** وحدها . . كـــانت قــد أخذت حيرته، وخوفنا جميعا من الصدام، وأشياء أخرى .

وهنا نتوقف لنفسح المجال لصناع الأحداث فى ١٩٦٨، فقلمى يريد أن يكتب بألسنتهم، قلمى يريد أن يكون جسرا لصوتهم الجميل، أن يكون له هذا الشرف.

(٣)

وقــال الــمتـهـم الأول

ظلم المحللون السياسيون حسنو النية – حركة الشباب المصرى ٦٨-١٩٧٧م، ظلماً بيناً، إذ جعلوا الحركة، التى لم يروا إلا تنقلاتها من الهدوء الظاهرى، إلى الفعل المتظاهر، مجرد رد فعل – فى كل مرة – لأحداث أجادوا صياغتها، ونوعاً من التمرد الصاخب على مواقف موقوته ومحددة.

والواقع أن حركة الشباب، كانت أكبر من ذلك بكثير، وكانت أعمق مما صوروه بكثير أيضاً ... لكننا قلنا أننا لا نريد أن نسبق الحوادث خصوصاً وأن الحوادث سوف تشير بنفسها إلى حقيقة الظلم – حسن النية – وقصور التصور – وهو ما لا يغتفر — .

وها نحن ذا نبدأ بأحداث فبراير ١٩٦٨م ، التى كانت الجولة الأولى .

قال المحللون — حسنو النية — أن الحركة جاءت كرد فعل لأحكام الطيران والتى رأى فيها الشباب — عن حق — أنها أقل مما كان يتوقع لأناس شيبوا الوطن قبل الأوان، وحفروا فى لحمه تجاعيد الهم التى راحت تجرى خلالها الدموع، ولا يتخثر فيها النزيف. لقد كانت الاحكام واقعياً شديدة الرحمة (!!) على من تسببوا فى إصابة الطيران المصرى بالشلل التام، فى اللحظة الأولى من الحرب، ومكنوا إسرائيل من تدمير الطائرات المصرية، والمطارات أيضاً، بإهمالهم الجسيم ، الأمر الذى ترك قواتنا المسلحة فى سيناء عارية بلا غطاء يحميها من شراسة التدمير الجوى ونابالم إسرائيل المتحضرة (!!) الحارق فكانت الخسائر البشرية — دعك من العتاد، الخسائر المادية — أكبر من أن يحتملها الوطن ولم تخلُ عائلة من ميتم لعزيز، وميتم صاخب الصراخ فى الوجدان، وكان أن شلّ الطيران الإسرائيلى حركة قواتنا المسلحة ومنعها من الالتحام الأرضى بمدرعات إسرائيل (واحة

الديموقراطية فى المنطقة !!!) التى راحت تدوس على اللحم المصرى وتهصره بجنازيرها المستوردة من بلاد تقدس الحرية الفردية. وتتباهى بأنها التى أعلنت حقوق الإنسان!!.

دعونا نستمع الآن إلى شهادة المتهم الأول فى أحداث الشغب والتظاهرات (حسب توصيفات المباحث العامة فى ذلك الوقت للأحداث وللمتهم) لنعرف ..

كان المتهم الأول هو "**أحمد شرف**" أو "**أحمد عبد الحميد شرف**" (وكان عضواً باللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى، وطالباً بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة ــ، وهو الأن باحث سياسى حر، وله دراسات عديدة عميقة الفكر).

• وما أدراك ما منظمة الشباب!:

والحقيقة أننى حين أذكر منظمة الشباب الاشتراكى فإن الكبار وحدهم هم الذين سيعرفون عما أتكلم، لكن الجيل الذى استهدفه ــ جيل الصغار الآن ــ لابد سيتساءلون عما تكون هذه المنظمة.

ولهم أقول:

كانت مشكلة ثورة يوليو ١٩٥٢م (منذ تفجرت وحتى ١٩٧٦م حين قرر **أنور السادات** أن يوقف عجلاتها) .. مشكلتها التى لم تحل هى فشلها الدائم الدائب فى إنشاء التنظيم (الحزب الواحد) الشعبى الذى يحمى الثورة ويدفع بها للأمام.

أقامت الثورة تنظيمات عديدة ...

فى مرحلة إخراج المستعمر، أنشأت الثورة "هيئة التحرير".

فى مرحلة تجميع قوى الاقتصاد المصرى لإحداث طفرة اقتصادية يحتاجها الوطن أنشأت الثورة "الاتحاد القومى".

فى مرحلة التحول إلى الاشتراكية أقـــامت الثـــورة " الاتحـــاد الاشـــتراكى العربى ".

لكن الثورة ــ ممثلة فى جمال عبد الناصر لأسباب تاريخية عديدة ــ أحست فى كل مرة بقصور شديد فى فعالية تنظيماتها.. الذى بدا وكأنه أمر حتمى ــ أو هـو كان كذلك !! ــ.

فعندما كان يحدث وتنشئ السلطة حزباً، يهرع إليه ــ أرادت أم لم تـــرد ــ الانتهازيون الذين يريدون أن ينضموا إلى الجانب الذى يمسك بمقـــاليد الأمـــور .. ويهرع إليه أيضاً ، المخلصون الذين يريدون أن يقوموا بواجبهم فى تدعيم مســـار يؤمنون بضرورة استمراره ، وضرورة تحسين أدائه أيضاً .

وكانت مشكلة تنظيمات الثورة فى الانتهازيين ، فـــهم مـــن ناحيـــة أعلـــى صوتاً . . وهم أيضاً – مريحون للنظام – يبررون الأخطاء ويرفعون لواء " ليـــس فى الإمكان أفضل مما كان " وهو أمر يسعد النظام فى كل الأحيان، وخصوصاً فى أوقات الأزمات!.

ولقد وقع النظام الثورى فى ازدواجية غريبة فى ذلك الوقت ، من ناحية كان لا يريد الانتهازيين ، ومن ناحية أخرى ، كان يرى أن أصواتهم تبدد حرجـــه فـــى الأزمات ، تهاجم من ينتقدونه بدعوى أنهم من أعداء الثـــورة . . حتـــى إذا كـــان المهاجمون يريدون دفع الثورة وإنجازاتها إلى الأمام فى أوقات يرى النظام فيها أنه غير مستعد لهذا الدفع .

عندما أرادت الثورة أن تتخلص من هذه الازدواجية وأن تبنى تنظيماً يواجـــه ويعادل توحش المؤسسة العسكرية التى عمدت علنياً. ابتداء من ١٩٦٥ إلى "تلعيب" عضلاتها لجمال عبد الناصر ابتداء من القبض على مؤامرة الإخـــوان المســـلمين،

وانتهاء "برقبتى ياريس"(*) التى جاءتنا بالهزيمة النكراء فى ٦٧، رأت السلطة أن تلجأ وقتها إلى حل طويل الأجل ، أن تحل المشكلة بالشباب ، أرادت الثورة جادة ومخلصة ، أن تعد قاعدة من الشباب الثورى المثقف، يكون فيما بعد الرافد الحقيقى الثورى لتنظيماتها (أقول أرادت جادة ومخلصة وأكررها) . . لهذا جاءت المنظمة وليدا رائعا ، وكان أن علمت الشباب أن يناقش بحرية ، وثقفته فى انفتاح فكرى تحسد عليه أى سلطة ثورية ، مستهدفة فى النهاية تشكيلا هرميا يبدأ بقاعدة عريضة للغاية ممن انضموا إلى المرحلة التثقيفية الأولى . . على أن يتم الانتقاء من بينهم لعناصر تتسم بالقدرة الأعلى على التحصيل لينضموا إلى المرحلة الثانية ، ويتلقوا تثقيفا أكثر عمقا ، بعدها تنتقى منهم من يتصفون بالقدرة على الحركة بين الجماهير ليتلقوا مرحلة ثالثة من التثقيف شديد العمق ، ومن الخبرات التى تمكنهم من الحركة وسط الجماهير ومن الحركة بالجماهير .

كانت المنظمة حلما مخلصا جميلا يستهدف وجه الوطن وخيره وتقدمه . . وكان لهذا الأمر أعداؤه أيضا من البيروقراطيين الذين أرادوا الأمر سيطرة على الشباب ، ولم يريدوه للهدف الذى كان سيطرة بشباب حر على مقاليد الأمور فى بلد ثورى . (أظن الآن أننى قد صورت لك ما يكفى من ألاعيب البيروقراطية والبقية ستأتى).

ثم جاءت نكسة يونيو ١٩٦٧م لتجهض هذا وذاك، لكنها لم تستطع أن تقضى على شباب تعلموا الكثير على يد أفضل الأساتذة المتاحين فى ذلك الوقت ، وبمعاونة موجهين سياسيين (كانوا يسمون المسئولين عن إدارة الحوار مع الشباب ـ كل ليلة أثناء المراحل الثلاث ـ موجهين سياسيين، وقد كانوا فى الحقيقة شبابا أكثر من ممتاز، لابد أن نتكلم عنهم فيما بعد وعن الدور العظيم الذى لعبوه فى حياة

(*) هى الكلمة الشهيرة التى رد بها عبد الحكيم عامر قبل النكسة، عندما سأل عبد الناصر قادة الجيش هل يستطيعون مواجهة اسرائيل إذا جد الجد .. قالها "عاصر" برغم أن القادة كانوا يروق أمرا مغاير لما يراه!. وصدقها جمال عبد الناصر الذى كان لابد يعرف الحقيقة !!.

كل المنضمين إلى المنظمة) . . أيضاً لم تقدر النكسة على علاقة كانت قد تكونت بين هؤلاء الشباب وبين جمال عبد الناصر . . علاقة لا تشبه علاقة أى من الآخرين به !! لقد كانت علاقة شباب المنظمة بجمال عبد الناصر علاقة شديدة الخصوصية!.

• وإليكم مثالاً واضحاً:

تحكى هدى **أحمد صلاح الدين** (كانت عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى عن طلاب الثانوى ، وهى الآن مستشار وكبير مدربى التسويق بمعهد إعداد القادة للصناعة التابع لمجلس الوزراء) كيف التقى بهم **جمال عبد الناصر** فى المعهد الاشتراكى بحلوان وهى شهادة دالة على العلاقة الخاصة لشباب المنظمة بالزعيم .

تقول السيدة هدى:

"كانت أيام قد مرت علينا ونحن نقرأ ونتعلم نهاراً فى معسكر الشباب بحلوان، الذى أسموه معهد الدراسات الاشتراكية، أثناء تدريبنا فى المرحلة الأولى للمنظمة، ونناقش ما قرأناه وما تعلمناه ليلاً فى خيمة المناقشة مع موجهنا الأستاذ **أحمد عبد الغفار المغازى** (وكيل وزارة التخطيط الآن) والأستاذ **صلاح الشرنوبى** (أصبح ملحقنا الثقافى فى سفارة موسكو بعدها) عندما أعلنوا أن شخصية كبيرة سوف تزورنا فى المعسكر ، وسارت بيننا الشائعات تؤكد أن الزائر سيكون السيد **على صبرى** ، وفى الساعة الأخيرة وبعد أن رصونا فى مدرج يشبه " المسرح اليونانى القديم "، قالوا لنا: هناك احتمال أن يكون الزائر **جمال عبد الناصر** شخصياً، ولم نصدق أنفسنا حتى دخل علينا **جمال عبد الناصر** ، فَرُحنا نصفق فى جنون عشر دقائق متواصلة، وانبسطنا انبساطاً غير طبيعى، كان معه فيما أذكر **عبد الحكيم عامر ومحمد فائق** وآخرون . خطب فينا **جمال عبد الناصر**، ونحن نحس أننا قد استحوذنا عليه وحدنا . وأنه أصبح لنا . . أصبح ملكنا ، قال لنا **جمال عبد الناصر**" أنتم الشباب الذين نعدهم لتولى المسئولية فى هذا البلد، الشباب الذى لن

يكون هناك حاجز بينه وبين الثورة . . وكان **جمال عبد الناصر** فيما قال صادقا . . وصدقناه.

ثم قال **جمال عبد الناصر**:

ـ اسألوا زى ما إنتم عايزين.

بسرعة قام الموجهون من أماكنهم، طلبوا منا أن نكتب أسئلتنا فى أوراق نسلمها لهم، على أن يقوموا هم بتوصيلها إلى **جمال عبد الناصر**، وراحو هم مثلنا يكتبون . . لكن **جمال عبد الناصر** فاجأنا وفاجأهم بقوله:

ـ مش عايز ورق. . اللى عايز يسألنى يقوم ويسألنى بنفسه. .

وتأكدنا ساعتها أن لا حواجز بيننا وبينه . . سألناه وظل يجيب عن أسئلتنا لأكثر من ثلاث ساعات ، لا . . أكتب إن **جمال عبد الناصر** لما قال لنا اسألونى مباشرة، رحنا مصفقين له مدة طويلة جدا ، وكنا فرحين لأننا ونحن نسأله كان يسأل كلا منا:

ـ إنت عندك كام سنة ؟!

انتهت الشهادة فلنتأملها .

عبد الناصر يزور الشباب الذى سيستمر بالثورة والذى يريد ألا يكون بينه وبينهم حواجز من أى نوع ، لكن الزيارة تقام بشكل سرى فلا يعرف الشباب وموجهوهم أن الزائر هو **جمال عبد الناصر** إلا فى الساعة الأخيرة ، وبشكل غير يقينى !!! (اللجنة المركزية تم انتقاء أغلب أعضائها من هذا الفوج !!!) .

ثم هل لاحظتم الكلمة المعبرة . أننا استحوذنا عليه وحدنا . . أصبح لنا . . أصبح ملكنا " .

هل لاحظتم إصرار الموجهين على أن يكونوا حاجزا ـ حسب الأوامر ـ بين الشباب وأسئلة تكتب على ورق وبين جمال عبد الناصر الذى لا يريد حواجز .

أخيرا . . هل لاحظتم أن **عبد الناصر** عندما قال : " اللـــى يســألنى يقــوم ويسألنى بنفسه " إن الشباب الحريص على ألا يوجد حاجز بينه وبين الزعيم صفقوا له مدة طويلة جدا، واهتموا لأن عبد الناصر راح يسأل كلا على حدة " عندك كــام سنة ؟!!! " وكأنه ينتظر أن يكبروا بفروغ صبر !!!.

• رجال الثورة الذين نزلوا من القطار فى طنطا

تعالوا بعد ذلك لتروا كيف رتبوا مقابلتنا بعبد الناصر فى الفوج رقــم (١٤) ممارسين عزلنا من جديد:.

أجلسونا فى خيام المناقشة لكى تتفق، كل خيمة مع موجهها، على سؤال يلقيه واحد من المجموعة على **جمال عبد الناصر** (لا تنس أن **جمال عبد الناصر** قال كـل واحد يسأل زى ما هو عايز)، وقد اختارنى الموجه لألقى ســؤال خيمتنــا، ذلــك السؤال الذى لم أعد أذكره الآن، لكنى أضمرت فى نفسى فكرة خبيثة!. .

ما أن أشار **جمال عبد الناصر** ناحيتنا، ولم أكن متأكدا أنه يقصدنى من بيــن المتفق عليهم، والذين كانوا يرفعون أيديهم ليسألوا مثلى، حتى صحت مفاجئا الجميع بسؤال لم نكن قد اتفقنا عليه، صحت مغالبا خوفى وكلماتى تنطلق سراعا حتــى لا يلحق بى أحد ويوقفها.

ــ ليه يا ريس شلت **عبد اللطيف البغــدادى، وحســن إبراهيــم، ويوســف صديق، وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين**. . .،. . . .

قال عبد الناصر ضاحكا:

ــ كفاية.. إنت كده شيلتنى الدنيا كلها. . أنا قادر اشيل نفسى. .

وبينما كان **عبد الناصر** يضحك ملتفتا إلى **على صبرى** الذى كان يضرب كفا بكف كان الجميع من حولى وأولهم الموجه يكادون يسقطون من خــوف أصابــهم بالإغماء . . بينما راح الموجه يقول لى :

ــ"إنت مش ديموقراطى"، "مش ديموقراطى".

ـــ وقـــال جمال عبـــد الناصر وأنـــا أحاول أن أسمعه برغـــم صيحـــات الموجه المكتومة:

ـــ شوف يا سيدى . . إحنا زى ما تقول كده طـــالعين رحلـــة . . رايحيـــن إسكندرية ، واحد جه فى طنطا وقال كفاية على كده . . ونزل من القطر أبقى أنـــا شلته ؟!!

الثورة مرت بمراحل، لما كنا عايزين نطلع الإنجليز، كلنا كنا فـــى القطـــر، طلعوا الإنجليز ناس قالت كفاية كده علينا.. ننزل المحطة دى، نزلوا. . أممنـا رأس المال الأجنبى. . ناس قالت ننزل. . نزلوا. . إختطينا الخط الاشتراكى.

وفجأة ضحك جمال عبد الناصر وهو يقول:

ـــ كمال الدين حسين صمم ينزل. .

وبعد الضحكات، استطرد جمال عبد الناصر:

ـــ أنا ماباشلش حد كل واحد والتذكرة اللى قاطعها معانا، وهو حـــر عـــاوز يوصل لفين. . اللى باقين معايا ربنا يسهل ويكلموا لحد ما نوصل محطة إســكندرية الاشتراكية.

وضج الجميع بالضحكات. . واقتنعنا.

ووحدى لم انم ليلتها. . لم يرض الموجه ما فعلت. . أخذنى إلـــى حجرتـــه، وأحسست به مضطربا وهو يكرر إلى مسامعى:

ـــ إحنا اتفقنا بديموقراطية على سؤال. . إنت ما ضحكتش عليا، إنت خنـــت إجماع زملائك.

ـــ عبد الناصر قال اسألوا زى ما انتوا عايزين.

ـــ وإحنا كنا متفقين على اللى عازينه كلنا.

ـــ وأنا سألت عن اللى أنا عايزه، واللى كان عايز حاجة تانيه كان يسأل. .

ولابد أن عبد الناصر لم يعترض على سؤالى ولابد أن على صبري لم يوجه نظر أحد إلى خطورة ما سألت عنه . . فقد مات موضوع "اللاديمقراطى" هذا ولم يفتحه معى أحد بعد تلك الليلة.

وأصبح يلقى كنادرة. . يضحك لها الجميع. .

الآن أنا الذى أضحك. . إذ لم يبق فى القطار الذاهب إلى محطة الاشتراكية غير حسين الشافعى !!! ومن ؟. . **أنور السادات !!!!!**

● على ذكر السادات، نعود للمتهم الأول

يقول **أحمد شرف**: (وأنا هنا أنقل عن مخطوطة لم تطبع بعد لكتابه الجميل الممتع "براءة سياسية"، وأسمح لنفسى أن أحكى بأسلوبى بعض ما سأورده عنه محافظا بالطبع على مضمون ما يحكيه. . وعلى براءته السياسية، تلك البراءة التى طعنت عام ١٩٦٨م وإلى الأبد).

" كان موضوع اللجنة الوطنية ، للعمال والطلبة الذى قاد النضال المصرى ١٩٤٦، الموضوع الرئيسي الذى وقفت عنده جلسات حوارى الطويلة مع **زكى مراد** (محام كبير ومناضل سياسى ماركسى توفى إلى رحمة الله) والتى تحولت إلى محاضرات طويلة كان يلقيها على، وأذكر أننى بدأت أصطحب زملاء لى من الكلية (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ومن خارجها إلى هذه المحاضرات، وأهل عام ١٩٦٨ وقد بدأت أفهم معنى "اليوم العالمى للطلاب" (٢١ فبراير من كل عام)، وكيف أن الاحتفال به تقرر دوليا لتخليد واستقاء العبرة من أحداث مصرية وهندية وقعت فى هذا اليوم".

قلت فى العدد الماضى أن جيلنا كان يبحث عن إجابة لسؤال مؤرق. . لابد أن نفعل شيئا ولكن كيف نفعله، إذن لم يكن غريبا أن يعود الجيل إلى نضال الطلبة والعمال عام ١٩٤٦، يستقى منه الخبرة العملية، وأظن أن كلنا دون اتفاق فعلنا ما فعله **أحمد شرف** . . وأذكر أن كتاب الأستاذ **شهدى عطية الشافعى** (المناضل

الماركسى الذى كان يؤيد ثورة ٢٣ يوليو بكل جوارحه، وبالرغم من ذلك قتله رجال السلطة الثورية فى أوردى أبو زعبل بعد وقت طويل من اعتقاله، وبيانات تأييد طويلة أيضا وصادقة أرسلها لجمال عبد الناصر!!!) الكتاب المسمى "تطور الحركة الوطنية المصرية "١٨٨٢ – ١٩٥٦" كان يتم تداوله بين الأصدقاء المهتمين بالسياسة ــ منذ يوليو ٦٧ وحتى فبراير ١٩٦٨ ــ كما لم يتداول كتاب مثله. . ومنه عرفنا ما عرفه **أحمد شرف** من المناضل الكبير المحبوب **زكى مراد** يرحمه الله عن حركة الطلبة والعمال ١٩٤٦.

عرفنا أن الحرب العالمية الثانية كانت قد انتهت، وذابت وعود إنجلترا المسماة "النظر فى المسألة المصرية"، كما تذوب وعود المستعمر فى كل زمان ومكان ، ورأى الشعب أن السعديين والدستوريين وكانوا فى الحكم يسعون إلى تحقيق خطة تبقى بمقتضاها معاهدة ١٩٣٦م، ويبقى التحالف بين إنجلترا ومصر . .. (أى بين قوى قادر، وضعيف يستجدى، وهو شكل حقيقى من أشكال التبعية لا تستطيع تزييفه التسميات البراقة) على أن تبدأ مصر بطلب لتسويات معينة عندما تفرغ إنجلترا من مشاكلها ، مشاكل الحرب وإعادة البناء .

ولقد كانت الجماهير تتشكك فى ذلك الوقت فى نوايا الوفد الذى راح يشن حملة صحفية كبيرة مطالبة بالجلاء، إذ أن الجماهير لم تكن قد نسيت أن الوفد قد جاء إلى الحكم عام ١٩٤٢م على دبابات الإنجليز وعلى أسنة حرابهم أيضا.

فى تلك اللحظات (وهى تشبه إلى حد بعيد لحظاتنا بعد النكسة، حين كنا نعيش والوطن الجريح يعانى إظلاما ماديا ومعنويا، وشبابيكنا المفتوحة على المدى، مدهونة بالأزرق الداكن تحجب عنا رؤيته، وكنا ــ كذلك أيضا ــ نريد الكثير من سلطة لاننسى أنها ترهلت، وتشرذمت ضد بعضها البعض، وتسببت فيما آل إليه حالنا، وفى هواننا على الأعداء) فى تلك اللحظات قرر الشعب أن يتحرك بنفسه.

• العمال يبدأونها والطلبة بعدهم..

بدأ العمال فى التحرك.

جمعوا قروشا قليلة استطاعوا بها أن يبعثوا بوفدين إلــى الاتحــاد العــالمى لنقابات العمال فى مؤتمره التاسيسى الأول، وهناك لم يكتفــوا بمناقشــة الأجــور والبطالة وساعات العمل، بل جعلوا المؤتمر يناقش وضعية القوات الأجنبيــة فــى وادى النيل وأثر الاستعمار البريطانى فى تأخر الصناعــة المصريــة، ومحاربــة الوجود البريطانى للحركة النقابية فى مصر، ومنها حركة العمال، وأثر الاســتعمار البريطانى على الزراعة فى مصر (!!!!) وسعيه الدائم لكبت الحريات. . .

● وبدأ الطلبة بعدهم فى التحرك:

حين علم الطلاب بما فعله العمال، أضربت كلية اللغة العربية عن الطعــام، وبات طلبتها فى الفصول (اعتصموا)، وفى كل الكليات عقد الطلبــة المؤتمــرات، خرجوا بالمظاهرات فكانت مذبحة كوبرى عباس، ثم توالت المظــاهرات الشــعبية محتجة فى الإسكندرية والزقازيق، والمنصورة، والسنبلاوين، أستشهد ثلاثــة فــى الإسكندرية وثلاثة فى الزقازيق، وواحد فى المنصــورة، واختلطــت المظــاهرات الوطنية بجنازات الشهداء الوطنيين التى تحولت إلى مظاهرات عارمة فى ربــوع البلاد، واضطرت وزارة **النقراشى** الفاتح الكبير لكوبرى عباس. على الطــلاب!!!، (والذى قتله الأخوان المسلمون فيما بعد تحقيقا للقول (من قتل يقتل ولو بعد حيــن) إلى الاستقالة فى ١٥ فبراير ١٩٤٦م ولم يهدأ الطلاب والعمال. .

● السلطة هى السلطة فى أى وقت!:

تحدت السراى الحركة الشعبية (هكذا تفعل كل سلطة فى البداية، تحــاول أن تظهر بمظهر القوى الذى لا يبالى، ثم تربكها بعد ذلك استمرارية حركة الجمــاهير، فتقع السلطة فى اخطاء فى المواجهات، تدفع ثمنها غاليا بعدها)، وجاءت بمن ألغــى دستور ٢٣ "**إسماعيل صدقى**"، لكن استمرت المظــاهرات رغــم أنــف صدقــى والسراى، واتصل الطلبة بالعمال، وفى مدرج كلية الطب ـــ جامعة القاهرة، تكونت للجنة الوطنية للعمال والطلبة . . وقررت اللجنة أن يكون يوم الخميس ٢١ فــبراير ١٩٤٦ يوما للجلاء وإضرابا عاما.

وهكذا عرفنا من خبرة من سبقونا . أن الأمور تبدأ بمؤتمر، إذ لم يحقق هدفه، تحول إلى مظاهرة أو اعتصام تتلوه مظاهرة أو مظاهرات.

● والآن بعد هذه المعرفة الغالية:

هكذا عرفنا، فلنعد إلى المتهم الأول **أحمد عبد الحميد شرف**، ولاعترافاته البريئة سياسيا، "يقول أحمد شرف لذلك فكرت أن تكون مناسبة ٢١ فبراير القادمة (يوم الطالب العالمى الذى يحيى كل عام فى أنحاء العالم ذكرى انتفاضة الطلاب فى فبراير ١٩٤٦م فى مصر) توقيتا مناسبا لما كنت أنتويه" (فلقد اعتدنا فى تلك السنوات أن يجد الواحد منا ما كان ينتويه نية عامة لكثيرين غيره هى القاسم المشترك الذى يجعلنا نتكلم كجيل وهذا هو فضل منظمة الشباب علينا أيضا).

فماذا كان ينتوى الجيل ؟!

كان ينتوى ألا يسكت وأن تبقى المبادرة فى يد جماهير ٩ ، ١٠ يونيو هؤلاء الذين سندوا قلب عبد الناصر، وثبتوا أقدامه، وأبقوه فى مكانه من أجل التغيير وفى نفس الوقت إلى ما يحقق أهدافهم، لقد رفض هذا الجيل أن يفوض أحدا، حتى لو كان هذا الأحد فى مكان ومكانة جمال عبد الناصر.

لكن الجامعة لم تكن تيارا متجانسا . . وفى رأى أحمد شرف "أخذ الفرز فى الجامعة يحدد تيارين للتغيير، تيارا يمثل الأغلبية ويدعو إلى التغير الثورى، وفى نفس الوقت إلى ضرورة استمرار الثورة وتوجيه الضربات للقيادات البيروقراطية (انتهازيي "ليس فى الإمكان أبدع مما كان"، "ولنهدأ ونترك الأمر للقيادة الثورية وسيادة الرئيس ونفوضه فى إخراجنا من الأزمة"). لكتبه التقارير إياها، وممارسى السياسة على النهج الأمنى أى بطريقة المباحث العامة، أو تيارا (هو التيار الثانى) يمثل الأقلية ويدعو إلى التغيير فى اتجاه تصفية الثورة، وضرب المسيرة نحو الاشتراكية، وكانت قوى هذا لتيار غير واضحة بعد، ولكن أهم ما أذكره أنى بدأت أستشعر المسوح الدينى يطل من حواراتها" .

• وبدأت الاتجاهات الدينية فى الظهور:

يقول أحمد شرف: "ظهر **أسامة غيث، وهانى خلاف** (الأول نائب رئيس تحرير الأهرام الآن والثانى سفير لمصر) وقد أخذ هذان الزميلان نهجا مضادا للاشتراكية، والثورة (لا أظن أنه نهجهما الآن فالناس تتغير) على أساس دينى، بل أخذا يبديان تعاطفا ظاهرا مع اتجاه الإخوان المسلمين (وهو اتجاه مازال يحارب إلى الآن معركة انتقامية قديمة مع الثورة و**جمال عبد الناصر**!!!).

ويقول **أحمد شرف**: "فى يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٢/٢٠م انعقد لقاء موسع لمجموعة الطلاب من جامعتى القاهرة وعين شمس وكان اللقاء بدعوة منى" (عقد اللقاء أو المؤتمر الموسع بالمدينة الجامعية لطلاب جامعة القاهرة).

مرة أخرى لا يقلقنكم قولة "بدعوة **منى**" ـ وإن كنت أرى أنها الحقيقة ـ فسوف نورد شهادات آخريين فى النقاط الخلافية وسوف نورد جزءا خاصا بعين شمس فى أحداث فبراير ١٩٦٨م هذه(*). . .

وفى مؤتمر الجامعتين عين شمس والقاهرة . يقول أحمد شرف :

عرضت على الجميع أن نجعل من ذكرى الاحتفال بيوم الطالب العالمى صباح الغد (١٩٦٨/٢/٢١م) مناسبة لكى يتحرك الطلاب وتتحرك الجامعة لتقول كلمتها فى القضايا الخاصة بالسلطة والثورة والدولة " .

• والآن هل نتوقف لنستظهر الحقيقة:

كل ما أريد أن تلاحظوه الآن أن أحكام الطيران لم تكن قد أعلنت بعد. . فالمحللون ـ حسنو النية ـ تصوروا أن الطلاب لم يتحركوا إلا ردا عليها. . هانحن ذا بدأنا نمسك الخيط من أوله. لنرد على المحللين حسنى النية، والشىء الآخر الذى أريد أن تلاحظوه أن الأغلبية الساحقة من الطلاب لم يكونوا بعد مضادين **لجمال عبد الناصر**. . ولا أقول لثورته. فلم يحدث أن كانت الأغلبية ـ

(*) راجع هذا الجزء فى ملاحق الكتاب فى شهادة معتز الحفناوى.

فى أى وقت من الأوقات ـــ مضادة للثورة. . لقد كانوا أبناءها، وكـــانوا يريـــدون دفعها إلى الأمام بجمال عبد الناصر.

يقول أحمد شرف: "فى هذا المؤتمر، فكرة التظاهر كانت غير مقبولـــة، لأن التوقع السائد كان يقول بعدم استجابة أغلبية الطلاب لذلك" (تذكروا هذا الأمر عندما سيفاجئهم الطلاب بغير ذلك فيما بعد، أن معجزة حركة الطلاب لم تكن أبـــدا فـــى قياداتها، بل كانت دوما فيمن أطلق عليهم السادات فيما بعد لفظة "الطالب العادى").

• إن للمجتمع علينا حقا:

لكن علينا أن نتوقف لبرهة الآن عن متابعة مؤتمر جامعتى القـــاهرة وعيـــن شمس فى ٢٠/٢/٦٨، لنؤكد حقيقة يجب ألا تغيب، صحيـــــح أن رغبـــة التحـــرك الإيجابى كانت موجودة لدى الطلاب، ذلك أنهم لا يملكـــون مواقـــع فـــى العمليـــة الإنتاجية فى المجتمع يخافون عليها، وليسوا أرباب أسر تجعلـــــهم يـــترددون فـــى الحركة، ثم إنهم أعداد كبيرة فى أماكن محدودة يسهل التحامهم وتحركـــــهم، لكـــن الصحيح أيضا أن فكرة التغير الثورى، ودفع الثورة للأمام كانت فكرة المجتمع كله، تصب فى أبنائه من الطلاب. بل إننى للحقيقة والتاريخ أحدد أن فكرة التغيير بدفـــع الثورة وحركة المد الوطنى للأمام. وبإصلاح الداخل ديمقراطيـــا، والتـــى كـــانت طموحات الشباب الثائر، كانت أفكارا يطرحها الماركسيون فـــى المجتمـــع، مـــن أعضاء التنظيمات التى حلت نفسها، إلى أعضاء الجمعيات الفنية والأدبية وجمعيات المجتمع المدنى التى كانت تعانى ـــ ومـــازالت صعوبـــات جمـــة فـــى المجتمـــع المصرى.. لقد التقط الطلاب وقياداتهم هذه الأفكار، ولم تكن قيادات الحركـــة فـــى أغلبها ماركسية، التقطوه لأن الطرح كان طرحا لبرنامج وطنـــى مرحلـــى يمكـــن الائتلاف حوله. هذه حقيقة لابد أنها لا تغيب عن أذهاننا، خصوصـــا وأن مفاجـــأة جديدة – هى بعد قليل – فى الطريق إلينا . . نعم مفاجأة، وكان يجـــب ألا تكـــون كذلك، ذلك أن "الطليعة **(مجلة اليسار المصرى التى أنشأها جمال عبـــد النـــاصر، وأغلقها فيما بعد السادات)** كانت قد نشرت شهادات واسعة للعمال وحركتهم النقابية

صبت كلها فى الدعوة إلى عملية التغيير الثورى. وفى المطالبة باستمرار الثـــورة عن طريق تجديدها "برغم هذا كانت المفاجأة مفاجأة !!!

يقول **أحمد عبد الحميد شرف**: "ونحن منهمكون فى هذا الأمر تنـــامت إلـــى أسماعنا نشرة أخبار الخامسة بعد الظهر (أى وهم فـــى مؤتمـــر الجـــامعتين فـــى ٢٠/٢/١٩٦٨م، يتدارسون فكرة أن يبدأ طلبة الجامعات الدعوة الى التغيـــير فـــى المجتمع دعما للثورة ودفعا لها وحماية لأهدافها أيضا من المتسلطين البيروقراطيين الفاسدين، الذين تظنهم الثورة أنصارا.. أو هى تحب ــ لأنهم يدافعون عنها فى كـلى الأمور ــ أن تتصورهم كذلك) من إذاعة البرنامج العام (كانت إذاعة الجمهوريـــة العربية المتحدة من القاهرة فى ذلك الوقت، برغم مرور سبع سنوات على الانفصال فقد كان هناك إصرار على الوحدة العربية) تعلن ــ يقصد نشرة أخبار الخامسة فـــى الإذاعة، الأحكام فى قضية قادة الطيران. وأصابتنا هذه الأحكام بصدمة حقيقية. فلا يمكن أن يكون ثمن التقصير الذى سبب الهزيمة العسكرية بصورتها الحـــادة تلـــك عشر أو خمس عشرة من السنوات سجنا لقادة القوات الجوية تتدرج من الأعلى إلى الأقل رتبة"!!.

مرة أخرى نتوقف، لكى نرتبها للمحللين ــ حسنى النية ــ نرتبها ترتيبها الواقعى.

مجتمع يمر برغبة فى التغيير الثورى أيقظتها النكسة، مفكـــروه ــ بـــالطبع اليساريون ــ وعماله من الشرائح الدنيا والمتوسطة ، أصحاب المصلحة فى التغـير الاشتراكى يدعون إلى هذا التغيير، شعب عرف قدرته على الحركة فى التغيير إلـى الأفضل فى ٩،١٠ يونيو، عندما فرض إرادته على أعداء الوطـــن، أبنـــاؤه مـــن الطلاب يريدون أن يتحركوا بأنفسهم رافضين فكـــرة التفويـــض التـــى أدت إلـــى التفويض، ثم تجئ أحكام الطيران الهزيلة فيظهر للجميع أن السلطة التى نفخت تريد أن تخفى ذقنها بتلك الأحكام، وأن هذا معناه أنها لن تبدأ بتغيير نفسها، قبل أن تغـير المجتمع، لهذا كله يتفجر الغضب. . لهذا كله وليـــس رد فعـــل ــ كمـــا وصـــف المحللون حسنو النية ــ كان تحرك الطلبة وكانت دوافعه.

• وتتصارع أجنحة منظمة الشباب الاشتراكى:

. . لنعد إلى ما يقوله أحمد شرف . . فقد ذهب ليعلم منظمة الشباب باتفاقه مع زملاءه من الجامعتين (أن تعلن الجامعة رأيها بمناسبة يوم الطالب العالمى فى مؤتمر احتفالى كبير، وأن تعيد المبادرة لجماهير ٩، ١٠ يونيو).

فى المنظمة قابل د. **عادل عبد الفتاح** (أمين شباب المنظمة فى ذلك الوقت، وجراح القلب بأمريكا الآن) الذى حاول أن يثنيه عن هذه الحماقة!!.

ــ ممكن تبلغ الأستاذ **أحمد كامل**، ونتشاور فى الموضوع (**أحمد كامل** كان مسئولا عن المنظمة بعد د. **حسين كامل بهاء الدين** وزير التعليم الحالى. بعدها أصبح مسئولا عن المخابرات).

ورد **عادل عبد الفتاح**:

ــ الأستاذ / **أحمد كامل** غير موجود.

قال **أحمد** فى ثقة:

ــ بلغ السيد **على صبرى**. . ضرورى.. لأننا موش ح نتراجع.

وأحس د. **عادل عبد الفتاح** إصرار **أحمد شرف** فقال:

ــ طيب. . أقعد. . ح نكلم السيد **على صبرى** ونقوله الموضوع وهو يدينا القرار الصحيح (هذه صورة من الانتكاسة البيروقراطية لمنظمة الشباب التى سبقت ــ بل كانت كانتكاسات تنظيمات الثورة كلها سببا فى انتكاسة الوطن)، ولم يتم الاتصال حتى الثانية عشرة مساء فقرر **أحمد شرف** أن يذهب لينام فى بيته على أن ينتظر تعليمات المنظمة الساعة التاسعة صباحا، عند قاعدة النصب التذكارى أمام الجامعة (كما اتفق مع د. **عادل عبد الفتاح**).

"وقبل التاسعة صباحا كنت أقف بجوار النصب التذكارى، طالت وقفتى حتى العاشرة (احترف هؤلاء الناس ضرب المبادرات الشبابية بتجاهلها وانتظار التعليمات، لهذا بالطبع لم يذهبوا الى أحمد شرف بأية تعليمات فى محاولة واضحة لاجهاض الأمور) وأنا مستغرق فى محاولة استنطاق الوجوه (وجوه الطلاب الداخلين إلى الجامعة بعد أن سمعوا أحكام الطيران) وقياس درجة حرارة الغضب، غير أن جهاز الرادار البشرى لدى لم يسجل أية اهتزازات إيجابية فدخلت الجامعة وقد ارتسم الهم على وجهى".

(الآن. . هل يعيد السادة المحللون ــ حسنو النية ــ تفكيرهم فى الأمر، قبل أن يعيدوا قولهم أن أحكام الطيران كانت سبب خروج الطلبة فى ٦٨ ؟!) .

ويقول **أحمد شرف** أنه عندما دخل الجامعة وقد اكتسى وجهه بالهم، فور أن يذهب إلى كل الاحتفالات بيوم الطالب العالمى فى كل الكليات فى محاولة لقياس رأى الأغلبية، وامكانية التحرك.

"كان احتفال كلية الطب فى قصر العينى سيعقد فى الواحة ظهرا، سارعت للحاق به. وطالبت **عبد الحميد حسن** (رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة فى ذلك الوقت، ثم الوزير الشاب فيما بعد، ثم محافظ الجيزة الذى انتهت مدة خدمته عند المدعى الاشتراكى متهما بما اتهمه به المدعى) أن يحصل على تصريح من الأمن بفتح مدرج العميد بدر، بكلية الحقوق لنقيم احتفالا رئيسيا للجماعة.

● د. محمود الشريف يتنبأ بالأحداث القادمة!:

ويقول **أحمد شرف**. . أنه قابل بعدها **محمود شريف** (كان قد تخرج من كلية الطب وفى سبيله لأن يتبوأ وضعه كأستاذ بالكلية، وكان عضوا فى اللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى فى ذلك الوقت، وأصبح وزيرا للحكم المحلى الآن) فلما عرف أن **أحمد شرف** طلب ما طلبه من **عبد الحميد حسن**، تساءل قلقا:

ـــ لماذا طلبت ذلك من **عبد الحميد حسن**؟.

ـــ بصفته رئيسا لاتحاد طلاب الجامعة.

ـــ هل أخبرته بنيتك من وراء الاحتفال.

ـــ قلت له الحقيقة كلها.

وبان القلق على وجه **محمود شريف** أكثر من ذى قبل وقال:

ـــ لا تأمن جانب عبد الحميد حسن، اذهب من فورك ورتب أمورك بعيدا عنه.

وكان **الدكتور محمود شريف** كأنما يقرأ فى كتاب الساعات المقبلة !!!

بل كان كمن يتشوف الشهور القادمة.. بل السنوات القادمة أيضا!.

(٤)

أخطأ النظام .. وسوف يكرر غلطته !!

الذين ما كانوا ليتصوروا أن بلادهم من الممكن أن تتعرض لنكسة تشبه ما حدث فى يونيو ١٩٦٧م، ما عادوا ليصدقوا بعد حدوثها ـ أبداً أيضاً ـ أن تلك النكسة لا يمكن أن تتكرر!.

لقد صحا الشباب على كارثة مروعة، من هولها لم يعد يملك يقيناً فى أن تلك الكارثة بعيدة عن الحدوث من جديد.

لهذا رفض الجيل من لحظتها ـ واستمر رافضاً ـ مبدأ التفويض..

أراد هذا الجيل منذ اللحظة الأولى أن يشارك فى اكتشاف الخطأ، وفى تصحيحه، وفى رسم صورة تغيير لا بديل له، وفى تنفيذ هذا التغيير، ودك دعائمه غائرة فى الأرض المصرية، ليقود أمته إلى الأفضل والآمن المستمر.

لقد اكتسب جيلنا ثقة كبيرة فى نفسه، عندما استطاع أن يفرض ـ وسط غيره من الأجيال ـ إرادته فى ٩، ١٠ يونيو، وأن يثّبت أقدام وقلب **جمال عبد الناصر**، ويقبض بيد لا تلين على إنجازات ثورية ومفاهيم نظرتها المستقبلية من تاريخ نضال الشعب المصرى كله فى العصر الحديث، الذى بدأ قبل الحملة الفرنسية بمائة سنة على الأقل (ولو كره العباقرة !).

هذه الثقة الكبيرة جعلت رابع المستحيلات أن يستسلم هذا الجيل إلى نعاس "تفويضى" جديد يحرسه **الزعيم الساهر** عليه!!

بدأ يفكر، بدأ يتعلم، بدأ يتحرك، بدأ يمارس من الفعل أهدأه وأصخبه، وفى الحالتين كان صوته عالياً..

ولم تحتمل السلطة ..

ضربت السلطة ــ كما سنرى ــ دون رحمة مشاركة الجيل الحقيقية فى صنع غد لا يملكه غيره!! لم يرضها إلا أن يشارك الجيل مشاركة صورية!! ولم يرض الجيل بأن تكون مشاركة صورية وتعددت المواجهات.

واجه الجيل عناد **عبد الناصر**.. وواجه تراجع **السادات**.

وعندما فشلت المواجهة فى تحقيق حقه فى المشاركة الحقيقية، اختفى بعضه ــ وكان بعضهم صناعة سلطوية على يد وعين **أنور السادات**!، وروّعوا الوطن بالعنف...

جاء العنف يأساً من المشاركة.

جاء العنف مشاركة ولكن فى الطريق الخطأ!!، ودفع **السادات** الثمن من دمه فوق المنصة، على أيدى من صنعهم ــ وعلى يد من اختفوا فى وسط هؤلاء الذين صنعهم ــ لإبادة معارضيه!!

ومازال العنف يروعنا.. متخذا صوراً عديدة منها ما هو عنف على الذات.. وما هو عنف على الآخرين ... عنف سياسى (عرف باسم الإرهاب والتصق بالجماعات الإسلامية) يحطم فرصة الحوار، صراعات دينية (فتنة طائفية) تحطم فرصة المواطنة الحقيقية وعنف على الوطن بالانتماء الفكرى لثقافات مهما ومض بريقها، فهى الأقل إذا ما قيست بعمق ثقافة المصريين، بعرق الحضارة النابض فيهم من آلاف السنين، يحطم قدرتنا على المراجعة، عنف يتخفى فى صورة شديدة الشراسة فى الجرائم الفردية العادية، يحطم فرصة التماسك، عنف على الجسد والعقل بالإدمان يحطم فرصة الحل، وعنف على الذات، على الكينونة، على أنسانية الإنسان، أدى إلى عبادة الشيطان، مهددا فرصة المستقبل!!!

إننى ضد العنف، وفى نفس الآن ــ وبنفس الحدة ــ ضد أسبابه... ولأننى أرى أن أهم أسبابه، يأس الجيل من المشاركة الإيجابية فى صناعة الغد(تحول إلى لا مبالاة بها ــ واللامبالاة أعلى درجات اليأس). لأننى أرى هذا، أقص عليكم القصة منذ البداية وأطلب من الجميع استكمالها.

إن هذه الدائرة لابد أن تقطع.. ولكى تقطع علينا أن نعرف كيف بدأت، وإلى أين تسير بنا، وإلى أين نسير بها.

والبداية كانت فى كيفية مواجهة السلطة لحركة ٦٨ فى فبراير، الحركة التى بدأها العمال واستمر بها الطلبة معهم.

- **هانى عنان يستثنى جمال عبد الناصر!!**

الطلاب كانوا يهاجمون النظام ويستثنون جمال عبد الناصر كقيادة ثورية، كانوا يستثنونه حتى تلك اللحظة!! .

ولعلنا نتوقف هنا عند حادثة طريفة تظهر معاداة الطلاب للنظام واستثناءهم **جمال عبد الناصر**، قبل أن نتعرف على مطالب الطلبة التى كانوا ينوون إعلانها قبل أن يفاجئهم العمال المفاجأة الأولى ويسبقوهم إلى العمل الصاخب، (هل كانت مبادرة العمال مفاجأة حقاً ؟!).

عندما رقد **هانى عنان** (**د. هانى عنان** الآن، صاحب ومدير توكيل كبير لتجهيز المستشفيات، وطالب الطب، وعضو منظمة الشباب وقتها) بمستشفى الهلال الأحمر مصاباً برصاصة اخترقت حوضه من الناحيتين، واستقرت تحت الجلد فى الناحية الأخرى، بعد أن واجه البوليس مظاهرات الطلاب بالرصاص، وجاءه المحققون ليعرفوا ملابسات إصابته سأله المحقق:

ـ هل تعرف من الذى أطلق عليك النار ؟

قال **هانى عنان** (١٨ سنة وقتها):

ـ أعرفه جيداً

ـ من هو؟!

ـ **شعراوى جمعة.**

ـ من ؟!!.

ـ **شعراوى جمعة.**

ـ تقصد أن السيد **شعراوى جمعة** هو الذى أصدر الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين؟.

ـ لا أقصد أنه هو من أصابنى بيده إصابة مباشرة.

ـ هل رأيته!! هل رأيته بنفسه يطلق الرصاص عليك؟

ـ رأيته يرفع المسدس ويصوبه نحوى ويطلق الرصاصة.. ورأيتنى أقع مصاباً برصاصته التى أطلقها من مسدسه علىّ بنفسه.

لا أعلم كيف فكر المحقق وقتها فى **هانى عنان**؟، لكنى أظن ـ وبعض الظن إثم ـ أنه لم يفهم ما عناه هذا الشاب الصغير ـ وقتها ـ باتهامه الصريح هذا، وبرغم اقتناعى شخصياً الآن ـ بأن **شعراوى جمعة** هو مطلق الرصاص فى كل مكان فى نفس الوقت وبنفسه، إلا أن **هانى عنان** الذى كان يستثنى نفسياً أن يكون **جمال عبد الناصر** هو من أطلق الرصاص على الشباب، أراد **شعراوى جمعة** متهماً، لماذا ؟ لكى يستبعد داخله أن يكون **جمال عبد الناصر** هو المتهم، ولكى يعبر عما كان يجيش فى نفوس الشباب وقتها من أن **عبد الناصر** ثورى، لكنَ من حوله يُفقدون الثورة ثوريتها، ويجعلونها فى مواجهة ساخنة دموية مع مؤيديها... وهذا هو الاتهام الذى عبر عنه **هانى** عندما أصر على ان الجانى هو **شعراوى جمعة**.. أليس هذا التعبير دقيقاً عن أن الشباب وقتها كان يستثنى **جمال عبد الناصر** من اتهاماته، متمنياً فيما دون الوعى (اللاوعى) أن يكون **جمال عبد الناصر** كما يريدونه!! وأن يستمر بالثورة.. بواسطة أصحاب المصلحة الحقيقية فى استمرارها، وهم الشباب مالكو المستقبل.. (الذين لم يمتلكوه أبداً فيما بعد إلى الآن!!).

- **لا وألف لا للتفويض!:**

كنا نقول أن الشباب ـ طلبة وعمالاً بحثوا عن الخبرة فى انتفاضة ١٩٤٦م وكنا نقص قصة المتهم الأول فى ـ أحداث فبراير ـ من الطلبة.. الذى رغب فى أن يقيم إتصالاً مباشراً بين **جمال عبد الناصر** وجماهيره دون عوائق من المستفيدين وأصحاب

مقولة "ليس فى الإمكان أفضل مما كان، ودعوا الزعيم يخرجكم من الأزمة!!" وراح فى براءة سياسية (عنوان مذكراته التى أنقل عنها والتى مازالت مخطوطة تحت الطبع).. يستفتى منظمة الشباب ــ وكان عضوا فى لجنتها المركزية ــ عما يجب عمله.. ففوجئ بأن المسئول عن المنظمة ــ السيد أحمد كامل ــ غير موجود، وأن الاتصال بالسيد على صبرى الأمين العام للاتحاد الاشتراكى غير ممكن، وظل فى انتظار التعليمات أمام النصب التذكارى المواجه للجامعة.. (لم يعرف وقتها أن المنظمة تشبه النصب التذكارى أمامه!!) فلما طال انتظاره دخل الجامعة وقد ركبه الهم.

والآن.. نستكمل القصة يقول المتهم الأول **أحمد عبد الحميد شرف:**

"عندما عدت إلى الجامعة (من كلية الطب وكان قد قابل **عبد الحميد حسن** رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة فى ذلك الوقت وطلب منه أن يحصل على تصريح من الأمن بفتح مدرج "**العميد بدر**" بكلية الحقوق ليقيموا احتفالا رئيسيا للجامعة بدلا من أن يكون يوم الطالب العالمى مجزأ على احتفالات الكليات كل على حده) علمت بأخبار مظاهرة عمالية قامت فى حلوان، لدى سماعى بهذا النبأ.. انفرجت أساريرى، ورحت أؤكد أننا قاب قوسين أو أدنى مما نريد تحقيقه.

"وبضحكة عالية قلت **لأسامة الغزالى** (د. **أسامة الغزالى حرب**، رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية الأن، وكان طالبا بكلية الاقتصاد وقتها).

ــ سوف تشهد اليوم مظاهرة جامعية.

ــ لو تحقق ما تقول سأقدم لك اعتذارا على الفور.

● **عودة قصيرة إلى الوراء:**

نضيف هنا للسادة المحللين حسنى النية هذه المقولة ــ الأقدم عمر**الأحمد شرف** المتهم الأول فى أحداث يحللونها لعلهم ينتفعون بها.

" فى نهاية ديسمبر ١٩٦٧م كنت قد توصلت بينى وبين نفسى إلى أن منظمة الشباب الاشتراكى قد تحولت إلى إطار بيروقراطى، غير قادر على إنجاز أوالسماح بإتمام

أية حركة تدخل فى معمعان قضية السلطة، ودور المشاركة الشعبية فيها، ومن أكثر مــــا لفت نظرى فى تلك الفترة تحول المنظمة إلى جهاز يرفع تقريراً يومياً عن اتجاهات الرأى العام، حتى أن عادل عبد الفتاح إزاء إلحاحى على قضايا التغير، أخذ يدعونى إلى كتابــة تقارير رأى عام تعكس دعوتى" (ومع كل ذلك اتجه إلى المنظمة يطلب رأيها ويحيطـــها علماً بما انتواه فى الجامعة!!!) .

"لذلك دعوت فى أحد أيام شهر يناير ١٩٦٨ مجموعة من أصدقائى إلى التحـــرك من خلال الجامعة باعتبار أن التجمع الطلابى، يمكن أن يشكل كياناً جماهيرياً مؤثراً ( ) وكم شدد على النكير صديقى أسامة الغزالى حرب، وأشبعنى تهكماً، وأخذ يقول لـــى: ألا تعلم أن مصر لم تشهد مظاهرة سياسية منذ عام ١٩٥٤؟ كيف تتحرك الجامعة والشـــباب فى حالة كبيرة من حالات السلبية واللامبالاة ... إن ٩ ، ١٠ يونيو حدث تلقائى انبعث فى جو صدمة مروعة، ولن يتكرر بسهولة".

لقد كان الطالب أسامة الغزالى حرب (فى ذلك الوقت المبكر حياتـــه) يعـــبر عن رأى المثقفين الذين استكانوا سنوات طويلة ــ وحتى الآن ــ إلى أطروحاتـــهم عن سلبية الشعب، وصبره على المظالم، هؤلاء المثقفون الذين لم يتعلموا للأســـف شيئاً من درس تكرر كثيراً فى حياتهم.. درس يؤكد أن الجماهير الشـــعبية كـــانت تسبقهم في كل مرة.. والذين لم يحاولوا أبداً معرفة العوامل التـــى تحكـــم تحـــرك الناس.. ولعلهم لم يحاولـــوا عـــن عمد!، ذلك أن كثير مـــن المثقفين لا يعرفـــون كيف يكلمون الناس.

وكثير من هذا الكثير احترفوا دوماً تثوير السلطة لا تثوير الجماهير.. إذ يوجـــهون خطابهم دائما إلى أعلى.. وهم بهذا يخلصون ضمائرهم!!!! بينما الوطن يجأر فى طلـــب الخلاص!!، أرى انهم اعتادوا أن يفعلوا هذا لأننى فيما أظن وليس كل الظن إثماً أن تثوير السلطة وتنويرها أكثر أمناً من تنوير الجماهير.. وبالطبع من تثويرها.).

لقد كان الطالب أسامة الغزالى يستبعد فكرة أن تخرج الجامعـــة فـــى مظـــاهرات احتجاجا على أحكام الطيران الهزيلة وما تعنيه من محاولة إخفاء الســـلطة رأس نعامـــة

الشعب فى الرمال، وكأن المسئولية محصورة فيمن عوقبوا .. وليست مسئولية نظام ترهل وتسيبت مفاصله إلى الحد الذى يحتاج معه إلى تغيير كيفى.

• **والآن فلندقق ونحن نتحقق من مطالب الطلاب:**

وتعود إلى كلام **أحمد شرف** الذى توجه بعدها لهندسة القاهرة ليقنع **محمد فريد حسنين** (كان عضواً بمنظمة الشباب، ورجل أعمال الآن، يملك ويدير مصنعاً لطلمبات المياه)، و**رشيق رفعت** (عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب وقتها، ومهندس بكندا الآن) بأن يخرجوا بمن سيحضر الاحتفال (احتفال هندسة القاهرة بيوم الطالب العالمى عام ١٩٦٨م) ونطوف بالجامعة فى مظاهرة صامتة بعدها نتوجه لقاعة الاحتفالات الكبرى..، أو لمدرج **العميد** بدر بكلية الحقوق لتنظيم مهرجان احتفالى كبير باليوم العالمى للطلاب، نعلن فيه مطالبنا (....) ونضيف عليها ثلاث نقاط أخرى:

١ـ استنكار أحكام الطيران والمطالبة بإعادة المحاكمة.

٢ـ استنكار التصدى لمظاهرات العمال فى حلوان اليوم، فى دولة تنادى بالاشتراكية، وتبرز الطبقة العاملة فيها باعتبارها نواة التحالف الطبقى (ولعلنا نختلف معه على أن التحالف كان فى عهد عبد الناصر طبقياً) المسمى تحالف قوى الشعب العامل.

٣ـ المطالبة بالتغيير الثورى وإعادة الالتحام بين القيادة الثورية والقاعدة الثورية.

ومرة أخرى نتوقف لحظة لنقول للسادة المحللين حسنى النية، الذين يصرون على ان حركة الطلبة وحركة الشباب المصرى ٦٨-١٩٧٧م، كانت مجرد هبات صاخبة، وكل هبة منها رد فعل لحادثة معينة، نقول لهم ها هو ذا المتهم الأول (ولا يهمنا الترتيب، فالترتيب قامت به المباحث العامة فى ذلك الوقت) يؤكد أنه كانت للطلبة مطالب يريدون إعلانها فى الاحتفال العام للجامعة بيوم الطالب العالمى ١٩٦٨م، خاصة بالتغيير الثورى وإعادة التحام القيادة للثورية بجماهير الثورة أصحاب المصلحة، وإسقاط حائط الانتهازيين والبيروقراطيين الذى يشوه هذا الالتحام، بل يمنعه منعاً، وأنهم أضافوا إليها ـ إلى مطالبهم ـ النقاط الثلاث التى

تتضمن اعتراضهم على أحكام الطيران ورد فعل الحكومة لمظاهرات العمال...

ولنعد مرة أخرى إلى **أحمد شرف** ـ ولكن فى روايته لأحداث التظاهر الطلابى فى فبراير ١٩٦٨ـ يقول: كان الإعداد لهذه الفكرة (فكرة التحرك الجماهيرى لإبقاء المبادرة فى يد جماهير ٩ ، ١٠ يونيو) يتطلب تنشيط الصلات مع الاتحادات الطلابية، وقد كان خطى (تعبير تنظيمى ينتمى إلى منظمة الشباب ويقصد به إذا قيل مختصراً هكذا "خط اتصال أو قناة تواصل") مع جامعة عين شمس فى أحسن حالاته، فمن بين أصدقائى الشخصيين، الصديق **معتز الحفناوى**(*) رئيس اتحاد جامعة عين شمس، ومجموعة من أنشط الطلاب يسيطرون على اتحادات الهندسة والتجارة بالذات.. غير أن صلاتى لم تكن قوية مع اتحادات الطلاب فى جامعة القاهرة، ففى هذه الفترة كان رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة **عبد الحميد حسن**، الطالب بطب قصر العينى، شاباً فقير الحال فى مبناه ومعناه (لا أظن أن هذا كان رأى المدعى الاشتراكى فيما تلى ذلك من سنوات!!) وكان قد حضر دورة أخيرة فى منظمة الشباب (المرحلة الأولى من ثلاث) وأصبح عضواً جديداً بها، وكان منظره المتواضع ومفاهيمه المتواضعة دافعاً لأن أخطو نحوه وأتعرف به غير أنه كان شخصاً متحفظاً فلم تنم علاقتنا ولكن ظلت المعرفة علاقة عادية.

ثم يتكلم **أحمد شرف** عن جماعة الفكر الاشتراكى فى اقتصاد وعلوم سياسية، وكيف مدت نشاطها إلى الهندسة، وكلية الطب البيطرى، وعن توظيف علاقته بشباب المنظمة من الطلاب، محددا أن الشباب، وبالذات الشباب الثورى لابد أن يدخل غمار معركة السلطة المثارة، وأن يحدد موقعه فى تيار استمرار الثورة بالتغيير الفورى الثورى، وأن يمارس ذلك عن طريق حركته المستقلة، التى تعيد تأسيس منظمة الشباب الاشتراكى، بالمبادرة السياسية للشباب على أساس ديموقراطى (يقصد بالانتخاب الذى كان مطلب شباب المنظمة فى إعادة هيكلتها، تلك الهيكلة التى تمت بالاختيار، وفى غياب الشباب، وفى بدء المنظمة عندما كان عدد الشباب محدودا، وتم الانتقاء من العدد

(*) انظر رأى **معتز الحفناوى** فى ملاحق الكتاب.

المحدود) يدفع بالفاعلين النشطاء إلى مواقع السلطة فيها (يقصد فى المنظمة طبعاً)، [هل بعد ذلك ـ أيضاً ـ مازال السادة المحللون (حسنو النية) عند رأيهم فى أن حركة الشباب ـ عمالاً وطلاباً ـ حركة لم تكن إلا رد فعل لأحكام الطيران، ها هو واحد من الشباب يظهر ـ أيضاً ـ أن الطلاب كانوا يموجون برغبة فى التغيير باحثين عن وسيلة للضغط بالجماهير لتحقيق هذه الرغبة ويُظهر أيضاً أن التغيير اتخذ فى أذهانهم طريقاً ديموقراطياً على حسب، ماسمح لهم سنهم، والثقافة السائدة فى المجتمع بأن يفهموا معناها ونظمها وآلياته.. وللحق والتاريخ كان فهمهم ـ مثل كثيرين من الكبار ـ فهماً سطحياً]، يدفع بأحسن العناصر إلى مواقع السلطة ويزيح الانتهازيين والبيروقراطيين الذين لا مكان لهم فى حركة تغيير ثورى .. بعدها جاءت أحكام الطيران، وتصرف السلطة المتسم بالغدر والخداع الشديدين فى مواجهة العمال، حيث طلبوا من العمال أن يبقوا مظاهرتهم فى حدود منطقة حلوان ويعلنوا ما يشاءون من مطالب ثم فتحوا عليهم النار عند قسم الشرطة (ادعى **شعراوى جمعة** فيما بعد أن فتح النار خطأ شخصى من مأمور القسم الذى تصور أن العمال سيهاجمون القسم، فأى خطأ شخصى كان وراء فتح النيران على الطلاب عند مبنى جريدة الأهرام وفى شارع رمسيس ووراء مستشفى الهلال الأحمر، وفى العباسية، هل فى كل مرة فتح فيها النار كان الخطأ شخصياً؟، وأين كان سيادته والأخطاء الشخصية تتوالى بعد أيام من الخطأ الأول) لقد كان الخطأ خطأ النظام، (الذى عودنا فى كل مرة على أن يبحث عن كبش فداء لأخطائه، وأن يبرر التحركات التى تنطلق ضده بنظرية المؤامرة، والعمالة لجهات أجنبية، كأن من يمارس حقه فى المعارضة، ومن يطلب أن يشارك فى صنع القرار السياسي ما هو إلا متآمر وكأن لا أحد يهتم بمستقبل هذا البلد إلا الجهات الأجنبية ذات الغرض وعملاؤها فى الداخل) لقد أضاف الطلاب بعد أحكام الطيران وبعد تصرف السلطة بوحشية لإجهاض التحرك الشعبى فوق مطالبهم مطالب تنتمى لهذين الموقفين.

ظلم المحللون ـ حسنو النية ـ حركة الشباب، وهذا واضح الآن.. حين صوروها رد فعل واختاروا فى ٦٨ أن تكون رد فعل لأحكام الطيران فى فبراير، بينما كانت الحركة فى الواقع رداً فعلياً (وليس رد فعل) على ترهل نظام سياسى، أدى إلى نكسة

بشعة خرجوا فى أول الأمر ليغيروه بتطهيره من البيروقراطيين والانتهازيين الذين لا يجيدون إلا تبرير أعمال النظام وأخطائه أيضاً، ولا يبدأون كلماتهم إلا بهذا القول الذى سئمناه "انبثاقاً من قول السيد الرئيس كذا وكيت أرى كيت وكذا"...

خرج الشباب لجمال عبد الناصر فى فبراير فلما ضربهم نظام **عبد الناصر** ولم يتغير إلا تغييرا صوريا ــ خرجوا فى نوفمبر ضد **عبد الناصر** وبعدها خرجوا ضد **أنور السادات**... ولم يكن الخطأ خطأ الشباب بالطبع.

ولنعد إلى الأحداث مرة أخرى.. (بعدها نعود إلى المحللين حسنى النية مرة أخرى..).

يقول **أحمد شرف** فى مذكراته أن **محمد فريد حسنين** و**رشيق رفعت** اقتنعا بضرورة خروج الجميع من احتفال كلية الهندسة فى مظاهرة صامتة تطوف بالجامعة ليعقدوا بعدها مؤتمرا يعلن الطلاب فيه مطالبهم، ويحاولون إيصالها للمسئولين، وبالفعل دعا **فريد حسنين** الجميع للخروج فى المسيرة التى طوفت بالجامعة، وكانت فى كل لحظة تتمدد وتكبر بعدد طلابى من كليات الحرم الجامعى.. ثم توجهت المسيرة إلى قاعة الاحتفالات بالجامعة فوجد أفرادها القاعة مغلقة [ذلك أن كان قد وصل للنظام أو على أقل تقدير للحرس الجامعى، خبر يؤكد ما اعتزمه الطلبة لابد نقله عبد الحميد حسن ــ الزعيم الطلابى ــ بعد أن طلب منه أحمد شرف فتح القاعة، وأعلمه بالغرض من الفتح (تعلمنا أن نقتحمها فيما بعد)].

وقف **محمد فريد حسنين** على سلم القاعة يخطب فى زملائه.

ــ كفانا صمتا.. كفانا كبتا دام خمسة عشر عاما (الصحيح أربعة عشر عاما بعد أحداث مارس ١٩٥٤) لا بد أن نخرج ما فى قلوبنا.

ثم دعا الجميع للذهاب إلى مدرج العميد بدر بكلية الحقوق وهناك رأى الجميع أولى مفاجآت **عبد الحميد حسن**.. التى يصفها **أحمد شرف** بقوله:

"بجوار المدرج لمحت **عبد الحميد حسن**، وعلى باب المدرج، رأيت قوات

حرس الجامعة وقد اصطفت لحراسته، عندها أدركت صحة تحذير **د.محمود شريف** (هل تذكرون التحذير فى الفصل الماضى). جريت إلى **عبد الحميد حسن** صارخا:

ـ لماذا لم تقدم طلبا رسميا بعقد المؤتمر؟

ـ طلبت لكن حرس الجامعة رفض.

هنا طلب قادة المسيرة من الطلاب أن يهرولوا إلى مدرج ٧٨ فى كلية الآداب ، وهرول الحرس الجامعى وراءهم لكن الطلاب سبقوا الحرس وسيطروا على المكان وعقدوا مؤتمرهم.

ولقد حاول **أحمد شرف** أن يجعل نبرة المؤتمر هادئة، وأن يبذل جهده كله فى أن يخرج المؤتمر بمطالب تهدف إلى وصل السلطة الثورية (**جمال عبد الناصر**) بالقاعدة الثورية (جماهير ٩، ١٠ يونيو ١٩٦٧) لكن **أحمد شرف** لم يكن يعلم أن **سهام صبرى** فى الطريق إليه!!

وسهام صبرى هى أسطورة الحركة الطلابية، فتاة قوية البدن، قوية الجنان، (كانت طالبة بكلية الهندسة جامعة القاهرة، ولها دور كبير للغاية ومؤثر للغاية أيضا فى الحركة، سنتابعه حين نصل إلى أحداث ١٩٧٢م وأحداث ٧٣ م أيضا).

دخلت **سهام صبرى** إلى القاعة (مدرج ٧٨ بكلية الآداب) تصرخ (**أحمد شرف** لا يعرف أن كلمات **سهام صبرى** صراخ، وصرخاتها كلام شديد المعقولية، والحزم، والقوة أيضا) قالت **سهام** إنها جاءت للتو من حلوان، وأنها شهدت المذبحة الخائنة التى أعدتها الشرطة للعمال، ورأت دم العمال يسيل، بعد أن فتحت الشرطة النار على الآمنين الذين استجابوا لدعوة الشرطة والنظام بأن تكون المظاهرة سلمية، وفى حدود حلوان الضاحية!.

على إثر كلمات **سهام** الصارخة ارتفعت وسط الطلاب الهتافات المعادية للنظام، وانطلقت مظاهرة صاخبة من المدرج، انضم إليها الطلاب الذين لم يحضروا المؤتمر، واتجهت المظاهرة إلى أبواب الجامعة، فوجدوا أن الحرس الجامعى قد أحكم إغلاقها..

فتعالت الهتافات المنددة بالديكتاتورية العسكرية وبحكم الفرد المطلق.

راحت المظاهرة تعلن الاحتجاج على ضرب العمال بوحشية، وفى الحقيقة على ضرب كل من يريد أن يشارك السلطة ولو بالرأى!!

كانت المظاهرة تغلى وتهدر بالغضب.. وفى سرعة تجمع أعضاء منظمة الشباب، **أحمد يوسف** (الآن أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومدير معهد الدراسات العربية) و**أسامة الغزالى حرب**، و**عبد القادر شهيب** (نائب رئيس تحرير المصور الآن) و**عثمان محمد عثمان** (أستاذ ومستشار التخطيط بالمعهد القومى للتخطيط الآن)، و**أمل الشاذلى** (رئيس قسم العلاقات الخارجية بجريدة العالم اليوم الآن) و**صالح سمرة** (مهندس وعضو التجمع فى دكرنس الآن...) و**عثمان عزام** (مهندس ورجل أعمال الآن) و**سيد عمر سرحان** (مهندس الآن) و**علاء حمروش** (توفى وفقدناه بعد أن صار أستاذا للفلسفة بكلية آداب بنها جامعة الزقازيق، ورئيسا للمركز القومى لثقافة الطفل).. ولم يحضر الاجتماع **محمد فريد حسنين**، عضو المنظمة الذى خرج عن الخط وراح ينـدد بالديكتاتورية العسكرية وحكم الفرد المطلق وسياسة تكميم الأفواه فى المظاهرة التى كان يتنامى عددها خارج المدرج، قرر المجتمعون ضرورة تكوين وفد يقابل مدير الجامعة (الوظيفة الآن رئيس الجامعة) وتم اختيار **علاء حمروش** قائدا للوفد.

وهنا نتوقف لنرى العجب، منظمة الشباب التى ذهب إليها **أحمد شرف** بالأمس، فلم يستطيعوا العثور على **أحمد كامل** مسئولها (حسب زعم د. **عادل عبد الفتاح** أمين الشباب) ولم يستطيعوا الاتصال **بعلى صبرى** (حسب زعم نفس الزاعم)، وتركه (**أحمد شرف**) ملطوعا أمام النصب التذكارى فى مواجهة بوابة الجامعة أكثر من ساعة فى انتظار التعليمات كما مر بنا، أفاقت (خوفا من المسئولية بالطبع) واستطاعت أن تفعل الصعب .. أن تستدعى **أحمد شرف** من الجامعة الصاخبة مقفولة الأبواب بالحرس الجامعى!!.

فى المنظمة وجد **أحمد شرف د. عادل عبد الفتاح** وسط مجموعة من سكرتارية المهام.

يقول أحمد شرف: "بادرنى **عادل عبد الفتاح قائلا:**"

ـ عملتها وانسرقت منك يا فالح؟!! شايف طلعت غشيم إزاى؟

(لا أريد أن أعقب واحكموا أنتم بأنفسكم على هذه الكلمات!!)

قال **أحمد شرف:** لأنكم تركتمونى وحدى بجهدى الفردى، وجهد مجموعة من الزملاء، فلم نستطع أن نصل إلى ما نرجوه، العيب فى تخاذلكم وليس فى غشمى أو غشمنا.

بالطبع استطاعت المنظمة وقتها العثور على الأستاذ أحمد كامل، الذى بادر واجتمع **بأحمد شرف** أو لنكن أكثر تواضعا ونقول التقى به.

يقول **أحمد شرف** "طلب منى (**أحمد كامل**) أن أضع تصورا للأحداث فى الأيام المقبلة، حدثته عن فكرة جدار الصمت المنهار (يعنى أن الشعب لم يعد يطيق السكوت، والاستبعاد التفويضى) صدق على ما أقول، تحمس لما أطلب (!!)، عندئذ طلبت منه أن يمهلنى إلى الغد حتى أقدم له تصورا أعم عن الأحداث، وكيفية شق مجرى السيل المصاحب لها (يقصد السيل المعادى للنظام وهتافاته الهادرة) وافق على ذلك واتفقنا على اللقاء فى الثانية عشرة من ظهر الخميس ٢٢ فبراير ١٩٦٨م".

لكن مفاجأة غريبة ــ أخرى ــ كانت فى انتظار **أحمد شرف**...

(٥)

هوه سيادتك .. مباحث ؟!

متى تتحرك الجماهير حركة صاخبة عنيفة ؟!

سؤال حير المثقفين.. وحير المحللين.. وحير السلطة أيضاً!!

المثقفون أراحوا أنفسهم وضمائرهم وعقولهم أيضاً !! وانهال علينا من لدنهم سيل من الأقوال في جلساتهم الخاصة، وقطرات قليلة من الكتابات... راح السيل ـ بقطراته المكتوبة المعلنة ـ يؤكد أننا ـ الشعب المصرى ـ شعب خنوع ، وأن صبرنا حير الصابرين، وهو قادر على أن يصيب النبى أيوب ـ عليه السلام ـ نفسه بالدهشة، وبعضهم تبنى مقولة زرعتها الحملة الفرنسية (فيما زرعته من تنوير للغافلين!!)، وتشير إلى أن مصر ذات مصدر وحيد للمياه (النيل)، وأنها واد محصور بين صحراوات، جعل شعبها محصوراً أسيراً فى مواجهة الظالمين من حكامه، أما توزيع المياه فاقتضى وجود سلطة مركزية شديدة البطش .. ارتضى الناس بطشها لتنظم لهم أمور حياتهم، الأمر الذى جعل الفرعون إلهاً يعبد، فما بالك بالطاعة !!.

أما المحللون فقد أراحوا أنفسهم وضمائرهم، وعقولهم أيضاً، وخرجوا علينا بنظرية رد الفعل الوقتى، وقالوا إن الزراعة قد جعلت الشعب فى مصر شديد المحافظة (وهو لفظ رقيق يصف الجمود والرجعية والتمسك بالسائد والقديم)، وبنوا على ذلك ـ فى نظرية رد الفعل ـ أن شعبنا لا يعرف إلا الغضب الوقتى والانفعال الموقوت (نسبة إلى القنبلة الزمنية) اللذين يتفجران بين الحين والحين فى درب استسلامه الطويل جداً، وعلى محطات شديدة التباعد.

وكان للسلطة رأى ثالث.. إذ تبنت دوماً نظرية المؤامرة الخارجية والعناصر المندسة والأفكار المستوردة (!!) وكلها أشباح تسارع السلطة باتهامها بالتغرير بالشعب المسالم الصبور.

إذا قلت للمثقفين، أن شعبنا عرف التمرد والفعل الصاخب والثورات، قالوا: "معلهش"، أنه الاستثناء الذى يؤكد خضوعه وتأليهه وسلبيته فى مواجهة السلطة، ولا ينفى القاعدة... إذا قلت للمحللين: إن شعبنا أثبت فى لحظات كثيرة أنه مع الجديد والتطور والتحديث، قالوا "معلهش" !! أنظر، إلى أدوات الزراعة، إن فلاح اليوم مازال يتعامل مع أرضه مثلما كان جده الأعلى يتعامل معها، والنيل ـ بعده ـ وليداً لم يفطم بعد فى حجر مصر.

وإذا قلت للسلطة: هل من المعقول ألا يدعو إلى التغيير فى مصر إلى الديموقراطية، والعدالة الاجتماعية، إلا العملاء والمندسون، وأصحاب الأفكار المستوردة (نحن نؤمن جداً باستيراد نتائج فكر المجتمعات الغربية، من أدوات وماكينات تسلية، ولا نؤمن باستيراد الفكر الذى صنع هذه الأدوات والماكينات والتسلية!!) إذا قلت ذلك، قالت السلطة "معلهش"، القاعدة العريضة سليمة، تحاول إثارتها فئة ضالة (مضللة فى أحسن الأحوال)، متاجرة بآلام الكادحين، وبمشاكل يرثها كل عهد من العهد الذى يسبقه.

هكذا ارتاح المثقفون، والمحللون وحاولت السلطة أن تستريح.. وأدت "راحة" الثلاثة إلى أن نامت الحقيقة فى الأدراج.. أدراج العباقرة وأدراج المباحث العامة!!!

هل نوقظ الحقيقة ؟!!

فلنوقظها..

ليست الحقيقة هى ما قاله المثقفون.

ليست الحقيقة هى ما قاله المحللون.

وليست الحقيقة هى ما تردده السلطة.

الحقيقة لا تأتى إلا فى ركاب العلم .. وتأتى كلا، يرفض أن تلتقط منه ـ حسب النوايا ـ البعض وتتناسى البعض، العلم لا يقبل الانتقاء، فليست هناك ظاهرة لا ترتبط بغيرها من الظواهر، تؤثر وتتأثر.. لكنها فى النهاية تحل من الداخل مهما كانت قوة العناصر الخارجية المؤثرة.

الإنسان يستغل طاقة عدوانه فى التنافس، والتفوق، وتحقيق الذات.. إنـــها طاقــة خلاقة.. أما إذا اختنقت هذه الطاقة الخلاقة، صارت خناقة.. وعبرت عن نفسها بــالعنف الجموح، العنف الذى يتفجر بسبب واضح، لكنه يتفجر ـ أيضاً ـ بلا هدف واضح.

وشعبنا عرف العنف الخلاق.. عرفه فى ثورته على المماليك، التى أدت إلى "الماجنا كارتا المصرية" ١٧٩٥م، تلك الوثيقة التى حددت العلاقة بين السلطة وبين الشعب (بمفاهيم عصرها)، قبل وصول الحملة الفرنسية (التنويرية !!!!) وعرفه فى ثورة القاهرة الأولى والثانية ضد فظائع الاحتلال الفرنسى (التنويرى!) وعرفه وهو يخرج فلول المرتزقة الذين جاءوا مع العثمانيين وأرادوا مصــر المحــررة نهيبــة عثمانية من جديد، وعرفه مع عرابى العظيم، وعبدالله نديم المثقف الكــامل، ومــع ثورة ١٩١٩م التى استمرت سنوات خمس (هل تتصورون!!) وعرفه فى انتفاضتى ١٩٤٦م (حركة العمال والطلبة)، وعرفه فى مقاومـــة بلوكــات النظــام لجيــوش الاحتلال البريطانى فى الإسماعيلية ١٩٥٢ وفى مقاومة العدوان ١٩٥٦م، وفى بناء السد العالى (عنف خلاق للإرادة المصرية فى مواجهة إرادة الخنــق الاســتعمارية "قلنا ح نبنى وآدى إحنا بنينا السد العالى")، وعرفه فى عبور قناة السويس وحــرب أكتوبر الخالدة، وفى حركة الطلبة ٦٨-١٩٧٧ قبلها التى كانت أول جسر ـ حركة الطلبة ـ لهذا العبور العظيم.

وشعبنا عرف العنف الجموح فى حريق القاهرة ١٩٥٢، وفى غضبة ينــاير ١٩٧٧، وقبلها فى اقتحامه بيوت المماليك ونهبها، وقتلهم وتشريدهم فى فترات كثيرة.

شعبنا ـ إذن ـ عرف العنف، خلاقة وجامحه..

ولكننا لم نرد على السؤال الأول: متى تتحرك الجماهير حركة صاخبة عنيفة ؟!!

يستلزم الأمر أموراً ثلاثة: وعى كامل والوعى الكامل فى لحظة تاريخية محــددة، هو غضب يمتلك الوسيلة (وخل بالكم من حكاية الوسيلة هذه)، الناس تعرف آلامها، لكنك لو كلمتها، فاجأتك بسؤال: "وماذا نفعل ؟!"، إن سؤالهم هذا بحث عن الوســيلة، فمعرفــة الآلام والآمال هى الوعى المنقوص.. أما اكتمال الوعى فيــأتى حيــن يرتبــط الوعــى

المنقوص بالوسيلة فيكتمل (والوسيلة وظيفة المثقفين، بمعنى أن المثقفين هم المنوطون فى كل المجتمعات بأن يعلموا الناس الوسائل التى تمكنهم من تحقيق آمالهم، بالضغط على السلطة طبعاً... ـ أيا كان المدى الذى يصل إليه الضغط، وهذا يستلزم أن يكون المثقفون أولاً، ملتحمين بالناس، يتعلمون منهم، ثم يبلورون ما حصلوا عليه، ويكتشفون الوسائل الممكنة، والتى من الممكن أن تصبح أدوات وآليات للضغط المستمر الفعال... لكن المثقفين أراحوا أنفسهم وضمائرهم وعقولهم أيضاً بل وأيديهم التى فضوها من الأمر، مكتفين بمهاجمة الشعب السلبى فى قعداتهم الخاصة!!!)، أما البعض منهم فى الاتجاهات السلفية، ومن باب الراحة أيضاً، فقد قدموا الوسيلة الخطأ، وهى العنف الجموح غير الخلاق، متصورين أن الفوضى ستقودهم إلى كراسى الحكم أنهم يغضون الطرف عما حدث فى السودان، وفى أفغانستان والذى يؤكد أن الفوضى لا تقود إلا الى فوضى أشد، بعد أن تُسقط فوضاهم الحكم القائم ويتولون هم أمور الدول..) .

الأمر الثانى بعد الوعى الكامل (الغضب + الوسيلة) هو لحظة التفجر، وهى لحظة تفوق احتمال من تصوروا من قبل أنهم سينجحون، أى أنها لحظة ـ دائماً ـ ما تكون مسبوقة، بعمل شعبى عام وحركة ثقافية نابضة بالعنفوان تؤدى إلى التفات عام، يكاد يؤتى ثماره، ولاتحدث فى غيبة من الأحداث الكبرى... حريق القاهرة جاء بعد انتفاضة شعبية عظيمة ظن الناس أنها بضغطها المتواصل من ٤٦ إلى١٩٥٢ سوف تحقق مايصبون إليه، وحركة الطلبة جاءت بعد حلم عظيم تصور الناس أنه سيتحقق ثم فوجئوا بأنه قد ضاع من أيديهم.. حلم ثورة ٢٣ يوليو)، وغضبة ١٩٧٧م جاءت بعد حركة الطلبة والثقب الديموقراطى الذى أحدثته فى جدار النزعة التفويضية، ذلك الثقب الذى أشعر الناس بأن السلطة قد تم أضعاف تشددها فى مواجهتهم فلما استأسدت، وتحدت الشعب كله، خرجوا ضدها، وكل حركات العنف الخلاق جاءت بعد نجاحات سابقة سرق بعدها الأمل أو حاول المتسلطون سرقته.

الأمر الثالث: هو إدارة التفجر فلا يكفى التفجر (وإلا كان العنف جموحا) المهم أن يدار هذا التفجر وإدارته تعود إلى التحقق بالوسيلة (اكتمال الوعى)، بالإضافة إلى برنامج للتغيير ينبع من الجماهير، وتصبح مستعدة للدفاع عنه، ولا

تهمد حركتها إلا بتحقيقه (أو على الأقل بتحقيق بعضه).

أمور ثلاثة:

وكانت الأمور الثلاثة.. مكتملة فى حركة الجيل الذى واجه عبد الناصر والسادات.. ولهذا نجح.

كان لديه وعى بالغضب وبالوسيلة الصحيحة.. فكان وعيه كاملاً.

وكانت لديه لحظات تفجر، وهى محاولات السلطة لأن يعود الأمر كما كان، ورفضها للمشاركة غير الصورية.. وإصرارها على "التفويض" وأنها التى ستحدد مسار التغيير وستنفذه أيضاً!، وأنها صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة فى القضية الوطنية، وفى أمور الحرب أو التراجع عنها (على شكل تأجيل مستمر ومبادرات لا ينفد لها معين، وتسويف واضح للعيان).

واستطاع الجيل إدارة لحظات التفجر باعتصاماته التى تتفاوض باسمه، وبلجانه الطلابية العليا التى تمثله، وبلجوئه إلى حضن الجماهير فى التحرير ١٩٧٢، وكل الأحياء فى ١٩٧٣. ثم بتوسيع دائرة المعارضة عالية الصوت بضم الشخصيات العامة إلى الإيمان ببرنامجه، واقناع النقابات بتبنى أهدافه المستقاة من طموحات الشعب.

والآن نستكمل الخيط (آملين أن يتضح لنا ما فصلناه فى أمور التحرك الجماهيرى وضوحاً تطبيقياً):

قلنا: إن مفاجأة غريبة كانت فى انتظار **أحمد شرف** المتهم الأول فى أحداث ١٩٦٨م فبعد أن أقنع **أحمد كامل** بضرورة ربط الجماهير بالسلطة الثورية، لإحداث التغيير المطلوب أحاله السيد **أحمد كامل** إلى مجموعة من سكرتارية اللجنة المركزية (مسئولة عن النشاطات النوعية) كانت مكونة فيما يذكر **أحمد شرف** من **عادل عبد الفتاح وعزت عبد النبى** (لا أعرف أين أراضيه الآن)، **وهاشم العشيرى** (يقال أنه أصبح من مريدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المدينة المنورة الآن) ... **وكمال قشيش** (أمين عام أمانة الحكم المحلى، بوزارة الحكم المحلى الآن) **وعباس الدندراوى**

(توفى الى رحمة الله) وقد حاولت المجموعة المذكورة بكل طاقاتها وعنادها أن تجر أحمد شرف إلى الوراء، إلى الاستكانة التفويضية (تمكين القيادة السياسية من الفعل السياسى الثورى فى جو من الاستقرار بما يعنى "بَلا جماهير بَلا وجع دماغ"، "مال الناس وهذا الأمر الذى يخصهم ؟!!!") وفى سبيل تحقيق الاستكانة التفويضية تلك، راحت اللجنة تدرس "كيف تمنع خروج مظاهرات الطلبة من الجامعة إلى الشارع بعد غد" (السبت ٢٤ فبراير ١٩٦٨م...).

الحقيقة التى لم يذكرها **أحمد شرف** والتى تحل التناقض، بين توجهات **أحمد كامل** ولجنته الخاصة المنبثقة من اللجنة المركزية للمنظمة (التى هو أمينها !!)، هى أن كان هناك صراع خفى بين السيد **على صبري** ورجاله فى المنظمة (وكان د. **عادل عبد الفتاح** من رجاله)، وبين الأمين العام للمنظمة الشبابية أحمد كامل، (الم تلاحظوا أن **عادل عبد الفتاح** قال **لأحمد شرف** قبل احتفالات يوم الطالب العالمى، أن **أحمد كامل** غير موجود وأنه سيتصل بالسيد **على صبري** فى منزله).

لقد كان **على صبرى** صاحب الاتجاه التفويضى.. "بلا جماهير بلا بتاع"... [بعدها فى ١٥ مايو ١٩٧١ تعجب على صبرى كيف لم تخرج الجماهير من أجل إعادته ؟!، وكيف تنفست الصعداء عندما أزاحه **السادات** ومجموعته عن السلطة، بالرغم من أنه كان يدافع عن الديموقراطية (كما قال)!!!!].

ولنترك منذ الآن وإلى غير عودة منظمة الشباب، فهى بصراعها الداخلى قد ارتضت مكانا خلف الناس، حاولت منه أن تجرهم إلى الخلف، أن تجرهم من الرغبة فى المشاركة فى اتخاذ القرار إلى أرض الضياع التفويضى التى لا تعرف إلا الانحناءات القاتلة، إلى هاوية سحيقة لا يخفف منها أن سماها **هيكل** ــ ربما حتى لا يفت فى عضد الآمال الثورية ــ نكسات ومنها نكسة ١٩٦٧م ...

• الآن يتكلم محمد فريد حسنين:

لنترك المنظمة وقد انفلت منها الأمر، وانفلت من مخططها الشارع، وانفلتت هى من يد التاريخ، لقد أصبحت خارج التاريخ، ذلك أنها اضطربت وهى تختار بين التفويض

والسيطرة البيروقراطية (**على صبرى**) وبين إرادة الجماهير وحقها فى المشاركة (الشباب ... هى التى كانت منظمة الشباب!!!).

وأيضاً لنترك المتهم الأول إلى المتهم الثانى "**محمد فريد حسنين**".

لقد عاد **محمد فريد حسنين** من النمسا التى ذهب إليها عام ١٩٥٧م ليدرس الهندسة، عاد وقد جعلته الغربة أكثر انتماءاً لبلده و**لجمال عبد الناصر**، عاد مشبعاً بمقالات **محمد حسنين هيكل** فى الأهرام.

يقول: "كنا طالعين من ٥٦ وكنا نحلم **بعبد الناصر** مرتين فى الأسبوع على الأقل.. بيكلمنا.. بنكلمه"، ولقد كان هناك من يحاربون **جمال عبد الناصر** من الخارج "الإخوان المسلمون" بقيادة **سعيد رمضان**، حزب التحرر الإسلامى والبعثيون، ونشطنا فى اتحاد الطلبة العرب لمقاومة هذه الاتجاهات وخصوصاً أن الشعب النمساوى كان معجباً **بجمال عبد الناصر**، وكلما تكلمنا عنه قالوا: أنت مصرى؟!.. ناصر.. ناصر" .

وعاد محمد فريد حسنين إلى مصر فى عام ١٩٦٥، ولم يكمل الهندسة، ليلتحق بكلية الهندسة جامعة القاهرة وليصدم صدمته الأولى، بأن "الناس فى مصر كانت تشكو من مشاكل التطبيق الاشتراكى، لكن منظمة الشباب حلت لنا الإشكال، قالت: إن فيه تناقض رئيسى بيننا وبين الاستعمار التقليدى والجديد، وتناقضات ثانوية بيننا وبين بعض (يقصد الطبقات فى مصر)، وأن علينا أن نهتم بالتناقض الرئيسى أكثر..."، ومع هذا قبضت السلطة ــ بعدها بقليل ــ على من يهتمون بالتناقض الرئيسى، مجموعة أسموهم القوميين العرب، وأسموهم الماركسيين، وقبضوا عليهم داخل منظمة الشباب، [هل تذكر الفصل الأول ؟!!].

كانت ــ تلك ــ هى الصدمة الأولى فقد كان شاهداً على وطنية وثقافة من قبضوا عليهم بحجة أنهم معادون للنظام!!.

يقول **محمد فريد خميس**: "قبضوا عليهم برغم أنهم حلوا أنفسهم ــ القوميون العرب ــ وانضموا للتنظيم الطليعى، وكان مسئولاً عنهم **سامى شرف**" . كانوا ــ

هؤلاء القوميون ــ زملاءه فى هندسة .. **سمير حمزة، بهاء عبد الفتاح، عثمان عـــزام**، **ويقول محمد فريد حسنين**: "إن **سامى شرف** (وكانت هذه المجموعة من رجاله، إذ كـــان يستفيد من علاقاتها فى منطقة الشام فى أمور يتم تنفيذها لعبد الناصر بطريقة مخابراتيـــة، قد لا يعلم عنها كل الرجال كل شىء) ذهب إليهم فـــى الســـجن وضربـــهم عريانييـــن بالكربـــاج بنفسه، ازاى يبقوا رجالته ويعارضوا النظام؟!! (حتى من داخله!!)، ولمّا كـــل الناس خرجوا من السجن صمم **سامى شرف** على إن رجالته يفضلوا محبوسين!! فرجالته إذا عملوا كده لا يمكن العفو عنهم!" .

وجاءت النكسة.

ويقول محمد فريد حسنين "كان عندنا سكشنين ورش (أنقل هنا عن تسجيل صوتـــى **لمحمد فريد حسنين**) نعمل شوية حاجات ونقعد نعيط على اللي حصل للبلد، وكـــان مـــن ضمن اللى بيعيطوا **محمود كمال**. خاله يبقى **زكريـــا محيـــى الديـــن، وإبراهيـــم أحمـــد مكاوى...**" .

ويقول: "استقلت من المنظمة (مثل كثير من الشباب ومثل هؤلاء للذين أعلنوا مـــن جانبهم حل المنظمة الشبابية، هل يذكر القارىء ما جاء فى الفصل الثانى؟) وبرغم ذلـــك كنت أحضر اجتماعات وحدة كلية الهندسة!! إلى أن جمدوها!!! "قـــالوا مـــادام كـــل مـــا بتجتمعوا بتعملوا دوشة إحنا ح نجمدكم".

ويذكر **محمد فريد حسنين** اليوم الذى زارهم فيه د. **حسين كامل بـــهاء الديـــن** ــ أمين المنظمة حتى ٦٨ ــ ووزير التعليم الحالى، فيقول "قالوا: الدكتور **حســـين كـــامل** ح يجتمع بيكم، قلت موش عايز أروح، أنا ما بعرفش أسكت، لكنهم ضغطوا عليا رحـــت، كل ما أتكلم عن النكسة، وضرورة مشاركة الناس فى إحداث التغيير المطلوب هذا الكـــلام قبل مظاهر إلى الطبعة التى لا ينفك المحللون يؤكدون أنها كانت قد خرجت كـــرد فعـــل لأحكام الطيران!!)، يبتسم الدكتور حسين ويقول: فريد متأثر بحكاية صحابه فـــى كليـــة الهندسة: (يقصد أفراد التنظيم الذى قبض عليه بحجة معاداته للنظـــام)، فوتتـــها مرتيـــن، وبعدين ماقدرتش أسكت، قلت له حضرتك ليه بتشوه مقاصدى؟... ليه، ما بتردش علـــى اللى با أقوله.. بعدها جه تليفون من مكتب جمال عبد الناصر، والظاهر إنـــه قـــال لـــهم

عاملوا شباب هندسة بمنتهى اللطف، فالدكتور **حسين كامل** بقى كويس معانا".

هل تذكرون أننا قلنا أن الشباب كان يهاجم نظام **عبد الناصر** ويستثنى الزعيم شخصياً ؟!.

• رُكَب شعراوى جمعة تخبّط فى بعضها!:

يقول **محمد فريد حسنين**: "كانوا (يقصد المسئولين) بيستغربوا إزاى إحنا ننتقد **جمال عبد الناصر**، **شعراوى جمعة (كان وزير داخلية جمال عبد الناصر)** مرة قال لى: أنت بتتكلم عن **جمال عبد الناصر**، كده إزاى؟!، ده أنا لحد دلوقت لما بيكلمنى الريس فى التليفون ركبى بتتخبط فى بعضها!!.. وكنا بنقول لهم زى ما بنسقف له، ننتقده ونشخط فيه كمان..." (هل يذكر القارىء أننا قلنا أن العلاقة بين جيلنا وبين جمال عبد الناصر كانت شديدة الخصوصية).

• ثم ندخل فى الأهم:

عندما جاءت مظاهرات ١٩٦٨م (كان الشباب قبلها يتكلم عن التغيير علناً ناقلاً همسات البيوت وصراخ قلبه إلى المسئولين، وكان الشباب قد عرف من حركة ١٩٤٦م. حركة العمال والطلبة (عن طريق القراءة ومن بعض القادة الشعبيين المطاردين وبينهم قيادات للحركة العمالية) كيف تكون الوسيلة مؤتمرات، إذا لم تصل إلى هدفها تحولت إلى مظاهرة، أو تحولت إلى اعتصام، فإذا لم ينجح الاعتصام فى تحقيق الهدف، خرجت المظاهرات، أى أنه حسب تحليلنا كان الشباب يملك وعياً، الغضب والوسيلة، ولما جاءت تصرفات السلطة مع العمال الذين خرجوا ينددون بأن أحكام الطيران الهزيلة تعنى أن السلطة، تسد خانة، وأنها لا تعمد إلى تغير حقيقى، جاءت لحظة التفجر (حسب تحليلنا أيضاً).

يقول **محمد فريد حسنين** مكملا ما بدأه **أحمد شرف**: "فى اجتماع كلية الآداب (مدرج ٧٨ بكلية الآداب) دخلت شمال فى النظام، فى أفعاله التى أدت إلى النكسة، وفى ثرائهم أيضا، اتكلمت عن الفيلات اللى ورا الميريديان، (فيلا **على صبرى** وفيللتى إبنتى **جمال عبد الناصر** الدكتورة هدى والسيدة منى) ساعتها كان كل الشهداء اللى ماتوا فى ٥٦ وفى ١٩٦٧م، أمام عينيا .. واللى موتتهم الثورة كمان فى السجون والمعتقلات برضه كانوا قدام عينى".. قلت: ضيعتوا البلد، وموتوا الناس، ولسه قاعدين، وقرر المؤتمر أن

يكوّن لجنة من اثنى عشر طالباً، من كل كلية اثنان، يروحوا يقابلوا **جمال عبد النــــاصر**؟! ويقولوا له مطالب الجامعة، وكونا اللجنة أذكر منها **رشيق رفعت** و **د.ســـــمير غطـــاس** (طبيب أسنان يعمل فى منظمة التحرير الفلسطينية الآن)، **وعلاء حمروش**، وفاكر أنه مـــا كانش فيها بنات" .. وجات **سهام صبرى** وتسببت فى خروج مظـــاهرة (راجـــع الفصـــل الفائت)، والمظاهرة بقت تلف جوه الجامعة وتندد بالنظام.

بعد الاجتماع قالوا لنا أن وكيل الجامعة عايز يقابلنا، دخلنا له (اللجنـــة المنتخبـــة) كان معاه **د. طعيمة الجرف** (أستاذ القانون فى حقوق القاهرة، وعضو التنظيم الطليعـــى، تذكّرونه جيداً فسوف يأتى ذكره مرة أخرى بعد مظاهرات ١٩٧٣م) وقـــال لنـــا (وكيـــل الجامعة): إنتوا قلتوا، وقلتوا، قلنا له: إحنا ح نقابل جمال عبد الناصر، وح نقول له كـــل اللى قلناه، إحنا كنا عارفين إن ما فيش فى إيده حاجة (يقصد وكيل الجامعـــة)، وطلبنـــا منـــه ورق وأقـــلام عشـــان نصيغ مطالبنا اللى ح نعرضها على الرئيس، وفجأه صـــاح **د. طعيمة الجرف**:

ــ بصفتكم إيه؟!.

ــ بصفتنا جماهير الطلبة.. وممثليهم المنتخبين..

ــ إنتوا ما تزيدوش عن ٣٠٠ وأنا مصوّركم..

ساعتها سأله واحد من المجموعة:

ــ هو سيادتك مباحث؟!

أسكتنا وكيل الجامعة.. وأدانا ورق وأقلام، وأدانا أودة (كانت مقـــر اجتمـــاع اللجنـــة الطلابية العليا فيما بعد فى اعتصام عام ١٩٧٢) دخلنا الأودة وقعدنا نكتب، جاء **عبـــد الحميـــد حسن** (أنتم تعرفونه)، قام الولاد عايزين يضربوه، أنا حُشت، وسابنا **عبد الحميد**، وخرج.

(بعدها اختاره **جمال عبد الناصر** ممثلاً للطلاب، ثم للشباب كله، لكن الطـــلاب كـــانوا يعدون **لجمال عبد الناصر** رداً عملياً على هذا الأمر كان لابد وأن يذهله لقد أذهل ردهم **ســـامى شرف** وأوقعه فى حيص بيص فلم يعرف ما الذى يقوله **لجمال عبد الناصر** ثم علم جمال عبـــد الناصر بما دبره له الطلاب فقرر أن يعاندهم لكن وقت هذا الكلام لم يحن بعد).

(٦)

السادات يدخن الـ " كنت " في مجلس الأمة

لمصر أربعة ثوابت. .

وعندما نقول أن الثوابت لمصر ، فإننا نعنى أنها لشعبها . . شعبها كله ، باختلاف طبقاته وعقائده (لا يشذ عن هذه القاعدة إلا أصحاب المصالح الوقتية الزائفة والمؤثمة ـ وهم يشكلون طبقة وأنصارها من المستغلين فى كل وقت بالطبع وهو شذوذ يؤكد القاعدة ولا ينفيها. .)

هذه الثوابت الأربعة تولدت فى كفاح طويل مرير، تلا تخبطاً أطول وأمر، إن ثلاثمائة سنة، قد مرت منذ بداية القرن الثامن عشر، ومصر ـ شعبها ـ تكتشف ثوابتها وتكتشف سبيلها للتمسك بهذه الثوابت وتحقيقها. . . (قبل وصول الحملة الفرنسية بمائة سنة على الأقل)، وثوابت مصر الأربعة كانت ومازالت هى الديموقراطية، التحرر الوطنى، العدالة الاجتماعية، الانتماء العربى.

هذه الثوابت يتفق عليها الجميع، وإن اختلفت تصورات الجميع عنها ـ أيضاً ـ اختلافاً كيفياً (كيفية تحقيقها، والكيفية التى تكون عليها لحظة التحقق، ومن هى القوى صاحبة المصلحة التى تريد وتستطيع تحقيقها، ولمن الفائدة من وراء التحقق فى المقام الأول، وليس اختلافاً فى الرغبة فيها والسعى من أجلها، أو حتى تمنيها، وهذا أضعف الإيمان).

وهذه الثوابت ـ أيضاً ـ وبحكم التطور، اختلفت تصوراتها لدى الجميع من عصر إلى عصر (واختلفت مسمياتها بالطبع)، فالتحرر الوطنى مثلاً، اتخذ عدة صور متعاقبة، تحرر داخل الخلافة الإسلامية، تحرر يعترض على الخلافة الإسلامية (التى شاهدوا أفاعيل استغلالها)، ويتمسك بالجامعة الإسلامية (الروابط التى تجمع كل الدول الإسلامية) ثم تحرر مصرى يعمق مقولة مصر للمصريين، ثم

تحرر وطنى داخل انتماء عربى اللغة، إسلامى الثقافة (تتأثر ثقافته بثقافة الآخر وأيضاً بثقافة الأقليات، التى يتضمنها نسيجه، مثلما كان حال الثقافة الإسلامية منذ عرفها التاريخ، إلى أن عرفت التاريخ، إلى أن عرفناها هى التاريخ.. إلى أن عرفناها فى ذمة التاريخ. . تاريخنا المشترك فى منطقة متصلة جغرافياً مهيأة للوحدة).

ومثل التحرر الوطنى اتخذت بقية الثوابت صورا ارتقائية، ومسميات متوالية، بحسب الثقافات السائدة فى كل عصر من تلك العصور.

قلنا أن هذه ثوابت الشعب، ولأنها شعبية ذات جذور غائرة فى وجدان المصريين الجمعى، وفى نفوسهم، فإن هذا الشعب لم يعشق إلا من تمسكوا بها وحاولوا تحقيقها، ولم يعط ولاءه إلا لمن أخلصوا لها، ولا دموعه فى الجنازات المهولة الهائلة أيضا. .

هكذا، وبها أحب الشعب **شيخ العرب همام** وتغنى بسيرته.

وأحب **عمر مكرم** وسار وراءه.

وأحب **أحمد عرابى** (وكيل الأمة) وثار به.

وأحب **سعد زغلول** وسابقه ثائرا.

وأحب **جمال عبد الناصر** ثائرا بالنيابة عنه!!.

ثم أحب ألا ينوب عنه أحد ولا يفوض أحدا فى أمور ثوابته، حتى جمال عبد الناصر بجلال قدره، أحب أن ينوب عن نفسه ولا يفوض من يحبهم. . أحسب الديموقراطية أكثر من أحبائه، هكذا علمه الأحباء بتجاوزاتهم بل بسقطاتهم!!، وآه من طعنة الحبيب!!!.

وفى عجالة (بينما الأمر يحتاج إلى تفصيل ومناقشة ومراجعة للذات القومية وثوابتها التاريخية)، نقول: كانت مصر قبل القرن الثامن عشر مدينتين كبيرتين (القاهرة ودمياط) وأراضى زراعية كبيرة خاضعة لنظام الالتزام ولأن التجارة

كانت مزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجا الصالح، وتحول طريق التجارة الى طريقه، مبتعدة عن الفشل الإدارى والأمنى فى نهاية عصر المماليك فى مصر وأيضاً كانت قد أذدهرت بعض الصناعات، لم تشعر المدينتان بآلام الفلاحيــن تحـت كرابيــج الالتزام، ذلك أن المتعلمين (المثقفين) منذ بدء التاريخ فى مصر، كـانوا ينفصلـون عن قراهم ليعيشوا حول القصر (قصر أى حاكم) يصنعون حياتهم المعزولة، وقــد انحصرت مهمتهم فى خدمة تطلعاتهم الوظيفية وفى الحفاظ عليــها وفـى الخدمـة العامة ضيقة الأفق عندما يلجأ إليهم الأهل طلباً للعون فى حل مشــاكلهم (مشــاكل الأهل) الإدارية الوقتية مع السلطات حلولاً سلمية ولولبية أيضاً، بعدها، مثلما قبلها ، يبقى الأهل معزولين عن أبنائهم المتعلمين ويبقى المتعلمون معزولين عن أهلــهم (وهو أمر ظل يضعف المتعلمين والأهل، إذ أبقى المتعلمين بلا ظهر حقيقــى مـن الناس ، وأبقى الناس بلا طليعة، تستطيع أن تحول الوعى الغاضب من الاســتغلال إلى وعى كامل يمتلك الوسيلة التى تحارب هذا الاســتغلال (هـل تذكـر الوعــى والوسيلة، مـن الفصل الفائت؟).

وقد دخل القرن الثامن عشر والتأثر التدريجى السلبى لاكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحول الطريق التجارى العالمى بعيداً عن مصر ، قد وصل إلى مداه فقـل الدخل العام، وتقلص الاهتمام بالزراعة ومشروعات الرى إلى حد لا يمكن قبولــه . . شيء واحد لم يتقلص، هو اهتمام خليفة المسلمين (العثمانى) بخــراج مصــر!!!، ضارباً عرض الحائط بالوسيلة التى يجمع بها الخراج مـــن المســلمين !! (ومــن المضحكات المبكيات " وكم ذا بمصر ! .." أننا ظللنا ندفع هذا الخراج ــ الجزية !! ــ للحكم التركى الذى لم يرث الخلافة، حتى سنوات من حكم جمال عبد النــاصر. بينما كانت الخلافة قبلها ــ بأكثر من ثلاثين سنة ــ قد انهارت وشبعت موتاً!!).

ولأن الخليفة لم يكن يهتم إلا بخــراج مصــر ، رأى شــيخ البلــد (كبــير الممــاليك المقيمين فى مصر الخادمين السلطة العثمانية المسماة جــوراً بالخلافــة الإسلامية،) أنه أهم من الوالى الذى يعيّنه السلطان من لدنه، والذى يــأتى ويــروح قبل أن تسمح له سنو الاقامة بأن تحلو مصر فى عينيه، وهكذا بدأ صراع شيخ البلد

والوالى، وبدأ صراع بين المماليك المقيمين أنفسهم على وظيفة شيخ البلـد، وكـان الصراعان على السلطة، ومن أجلها.. اشتدت الصراعات، بينما اقتصاديات مصـر تنهار تجارياً وصناعياً وزراعياً، والتواجد التجارى الأجنبى يـزداد مسـتخدماً مسـيحى الشرق التابعين لكنائس غربية (الشوام)، ويهود الشرق التابعين لأى استغلال أياً كان منبعه والذين حلا لهم عبر التاريخ أن يكونوا أدوات ظلم للأغيار من غير اليهود، دعائم له متخذاً من القاهرة، والإسكندرية (التى بدأت تأخذ وضعها) مستقراً له وللوثبة الأجنبية المزمعـة، التى راحت تمهد لها الإرساليات التبشيرية المتناثرة فى عمـوم القطـر ـ كـاثوليك ثـم بروتستانت ـ وبخاصة فى صعيد مصر.

واستخدم المماليك فى صراعهم على وظيفة "شيخ البلد"، وفى تأكيد سـلطاتهم فى مواجهة الوالى العثمانى، عرب مصر (البدو) المقاتلين، وجعلوا الصعيد ملجـأ لهم ومكمنا للانقضاض من جديد حيث توجد القبائل التى لم تعرف كبـدو الشـمال الشرقى، خير الزراعة العميم فى الوجه البحرى .

ولأن الخليفة أيضا لم يكن يهتم إلا بخراج مصر، بدأ معدل تغير الملـتزمين الزراعيين يتزايد، فالذى كان يعد بزيادة فى خراج منطقة، كانوا يعزلـون غـيره ويولونه ويلتزمها، ويزداد ظلما وجورا.

هكذا توحدت آلام المدن وآلام القرى حين اشـتد العسـف علـى التجـار والمتعلمين (وأغلبهم من الأزهريين)، مثلما كان التعسف زائدا على الفلاحين فى كل القرى المصرية.

وهكذا أيضا قويت شوكة عرب مصر (بدوها)، وبعضهم كالهوارة أبقـى على صلاته البدوية، وحصل على الالتزام الزراعى ، ـ أى أنهم تملكوا الحسنيين، القوة المسلحة، والسيطرة على خير الوادى الخصيب. ومن هؤلاء الأخيرين ظـهر **شيخ العرب همام.**

تدخل **شيخ العرب همام** وهو من الهوارة ـ برجاله المقاتلين الأشاوس فـى صـراع السلطـة فـى القاهـرة، واستقبل الباكوات لائذين به، يستعينون بقوتـه

ــ وبقواته ــ على الغرماء وانكشف المستور فسقطت الهالة المقدسة للخلافة وبان الأمر أمر خراج وحسب، ففكر الشيخ همام بأن يمد حدود التزامه ثم انتهى به التفكير الى الاستقلال بالصعيد، على أن يدفع خراجه، (وكان الصعيد وقتها متقدماً تجارياً وصناعياً وله علاقات مثمرة مادياً مع أفريقيا).

هكذا بدأت فكرة الاستقلال، أو التحرر داخل المنظومة الخلافية، أو منظومة الخلافة، والحق أن **شيخ العرب همام** أظهر براعة شديدة فى إدارة أمور الصعيد. . مظهراً جنيناً للديموقراطية وجنيناً للعدل الاجتماعى، جعلاه أسطورة وموالاً شعبياً يتغنى به الصعايدة حتى اليوم.

بعدها، قلد على بك الكبير **الشيخ همام**، (وخل بالك من قلد هـذه)، وأعلن وهو " **شيخ البلد** " استقلاله بمصر. . واستخدم السلطان العثمانى (خليفة المسلمين!!) الخائن **محمد بك أبا الدهب** لضرب الاثنين: **على بك الكبير وشيخ العرب همام**. . (ضرب النزعة الاستقلالية). واستخدم كبار قواد جنده العثمانيين، لضرب المماليك فى رحلات متتابعة، ليثبت فى كل مرة شيخاً للبلد فى مواجهة بقية المماليك الطامعين المتصارعين على المشيخة (الأمر الذى استمر إلى التسعينيات من القرن الثامن عشر.. قبل مجيء الحملة الفرنسية بسنوات قليلة، وكان من الممكن أن يستمر لولا أن جاءت الحملة).

هذا الاضطراب الشديد أدى لظهور قوة "مشايخ الأزهر" مثقفى العصر وتدخلهم فى الحياة السياسية كزعامات للناس الذين لم يعودوا يطيقون صبراً على الظلم الجائر والفشل الإدارى المتفشى. هذا التدخل الذى انتهى إلى وثيقة بين الحكام والمحكومين عام ١٧٩٥م سميت (الماجنا كارتا المصرية)، كان المشايخ فيها مسئولين عن الديموقراطية (بمواصفات عصرهم)، عن العدل الاجتماعى بلغة عصرهم، بينما اختلط لديهم. . وهم المشايخ ــ الاستقلال والخضوع للسلطة الدينية الأعلى (الخلافة).

وفى تلك الفترة انقضّت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م بصدمتها الكبرى

حضارة مظهرية وبربرية كامنة، فبدأ **عمر مكرم** ــ الشيخ ــ الذى فر إلى الشـــام يدير مع العثمانيين (الذين استعانوا بالانجليز!!) عملية تحرير مصر. . وانكشف لـــه المستور ــ وهو الشيخ ــ من أمور الخلافة الإسلامية!!.

لذلك، عندما تحررت مصر من الفرنسيين أراد **عمـــر مكـــرم** أن يســتكمل تحريرها، وكان وقتها يحارب ثلاث دول عظمى، أرادت أن ترث الفرنسيين فـــى مصر، وأخطأ **عمر مكرم** عندما كون لمصر جيشاً من المرتزقة (لم يكـــن لمصـــر جيش منذ انتهاء عصر الفراعين، إلا من المرتزقة) ــ وهكذا يأتى خطـــأ الشـــيخ متسقاً مع ثقافة وقته ــ وهكذا لمع نجم **محمد على**، الذى انقض أولاً علـــى **عمـــر مكرم** ثم على المماليك. . ومع **محمد على** بدأت المأساة (التى يتكلم عنها المرتـــدون ثقافياً على أنها تكوين وبناء مصر الحديثة).

أراد **محمد على** استكمال مسيرة الاستقلال، بتكوين امبراطوريتـــه التركيـــة الخاصة، عمد إلى تطوير الزراعة المصرية (ليتوافر لمشاريعه دخل كبير يحققها) وتطوير الصناعة العسكرية (لتحقيق مشروعه) واختط فى تطوير مصـــر نموذجـــا شبيها بالنموذج الغربى (فرنسى فى الأغلب)، بينما كانت اليابان تصنـــع نموذجـــها القومى الخاص (هل حقق النموذج اليابانى كل هذا التقدم لأنه خاص وليس صـــورة من النموذج الغربى؟!! أظن ذلك، فإن أى محاولة للتقدم لا تتسق وثقافـــات الأرض الناشئة عليها محكوم عليها أن تبقى دائما بلا جذور، أو أن تبقى مثلما يقول المثـــل العامى: "زى القرع يمد لبره" وهكذا يتمكن من هم "بره" من السيطرة عليها وأهم ما يريدونه من سيطرة هو التحجيم)، وعندما قامت الدول العظمى قومة رجل واحـــد على **محمد على**، وأجبرته على التقوقع، نسى خططه فى تطوير مصـــر، وأغلـــق المصانع، وطارد العائدين من البعثات، ومنهم أو على رأسهم **رفاعـــة الطـــهطاوى** العظيم، لكن **محمد على** كان قد أخطأ خطأ **عمر مكـــرم** (وكأنمـــا الأمـــر انتقـــام القدر!!)، فإذا كان **عمر مكرم** قد كون لمصر جيشا من المرتزقة أودى باســـتقلالها، فقد كون محمد على جيشا من المصريين. . أودى بأحلامه فى أسرته.. فمن هـــذا الجيش جاء **أحمد عرابى**. . ليقبض مرة أخرى على الثوابت المصرية، وكيلا للأمة

يعاونه مثقف الأمة الأعظم **عبدالله نديم**، صائحين "مصـــر للمصريين" (وليست لأسرة محمد على وعملائها من الشركس والأتراك، وليست أيضاً للباب العالى الذى لا يعترف بحقوق المصريين، ولا يهتم إلا بناتج عرقهم من خراج الأرض).

ولأن **عرابى** تمسك بالثوابت المصرية كلها، ولم يفلت شيئاً منها. . لم تمهله الدول العظمى وسارعت بالتدخل والاحتلال، قبل أن يولد الجنين، وقاومها الجنين مقاومة هى الأروع، وانهزم هزيمة العظماء، إلى حين، وكما انهزم أصبحت الأسرة العلوية (أسرة **محمد على**) "شخشيخة" فى يد الانجليز.. حتى آخر مندوبيها فى مصر، فاروق الأول ملك مصر وابنه الرضيع.

لكننا قلنا أن الثورة العرابية انهزمت هزيمة العظماء إلى حين.. ذلك أنه من مدرسة **الأفغانى** التى جاء منها **عرابى ونديم**.. جاء **سعد زغلول** قابضاً على الثوابت المصرية، (متخففاً من العدل الاجتماعى) جاء بتوكيل من الأمة. (جمع الشعب له الامضاءات وكيلاً عنه فى بحث مسألة الاستقلال مثلما جمع عبد الله النديم امضاءات المصريين من كل حَدبٍ وصوب لأحمد عرابى.. وقد لانكون مغالين إذا قلنا أن الثورة العرابية التى انهزمت ١٨٨٢، قد قامت مرة أخرى فى عام ١٩١٩) وسانده الشعب بثورة هى الأعظم، فلما نجح نجاحاً مذهلاً فى المجلس النيابى، صمم على تهدئة الشعب ليتحول من وكيل الثائرين إلى المفوض عن الأمة الهادئة، فانتهز الانجليز الفرصة وانقضوا على ثورة ١٩١٩ العظيمة، وعلى المجلس النيابى (فى حادثة السردار) وعلى دستور ١٩٢٣م المستحدث، حلم الأمة المصرية بعدها بسنوات، بعد أن ألغى العمل به واستبدله "صدقى" بدستور ١٩٣٠. الذى أضعف دور الأمة. وغالى فى دور الملك بطانته من الوزراء).

عاد الوفد ـــ بعد وفاة سعد زغلول ـــ وفاة من لم يعِ الدرس جيداً... ـــ، مرة أخرى بقيادة **مصطفى النحاس** يبحث عما كان فى يده أو ما كان بعضه فى يديه ـــ الديموقراطية والاستقلال ـــ محققاً بعض أسس للعدل الاجتماعى (التعليم) مؤجلاً، كثيراً منها إلى أن سبقت الحركة الشعبية خطاه فى انتفاضة ١٩٤٦م (هل تذكر ما

كتبناه عنها؟) ليعاود الوفد محاولة اللحاق بالحركة الشعبية فى إلغاء معـاهدة ١٩٣٦ التى وقعها الوفد ـ نفسه ـ مع الإنجليز)، وإعلان الكفاح المسـلح أو مسـاعدته، ويزداد تجبر الإنجليز (فعلتهم المشينة ضد ضباط وجنود الشرطة فى الإسـماعيلية، التى تشبه فعلتهم المشينة فى دنشواى وأفعالهم الشنعاء أثناء ثـورة ١٩ وانتفاضـة ١٩٣٥، فتحترق القاهرة ويحترق معها الوفد (خضع الوفد للملك وأعلـن الأحكـام العرفية لتقييد حركة الجماهير، صادماً جماهيره) ليجدها الملك فرصته فـى عـزل الوفد، دون أن يجد الوفد من يبكيه وقتها (هناك من يبكونه الآن!).

ثم يجيء **جمال عبد الناصر** وتقبض ثورته على الثوابت المصرية (متخففـة هذه المرة من الديموقراطية) وتحقق الثورة إنجازات كبيرة وعظيمة وتحقق كسلطة مآسى فظيعة ورهيبة، فيسهل الانقضاض عليها عام ١٩٧٤م (ليست حقيقياً أنه قد تم الانقضاض على الثورة فى ١٥ مايو ١٩٧١، فالذى تم وقتها انقضاض على رجـال عبد الناصر الذين رآهم الشعب فى ذلك الوقت أسوأ من أنور السادات شخصياً، وقد كانوا أسوأ منه فى سنوات حكمه الأولى بالفعل)، دون أن تجد قوة شعبية كافية تقف من أجلها فقد كانت الثورة قد عودت الشعب على أنها تضرب اعداءها، وتضـرب أصحاب المصلحة أيضاً إذا أرادوا المشاركة فى حماية مصالحهم! أضف إلى ذلك، أن التفويض الذى عودوا عليه الشعب يسمح لمن يمسك بمقاليد الأمور بأن يركـب أى موجة، وقد لعب السادات على الناس لعبة الديمقراطية فلم يعرفوا أنـها لعبـة وشربوها..، ذلك أن **السادات** وقتها رفع شعار الديموقراطية (الناقص) مرحلياً كمـا أشار عليه **محمد حسنين هيكل**، ثم أظهر أنيابها فيما بعد.

هذه العجالة (وإن بدت مطولة) ربما تكون قد أظهرت لنا رحلة الشعب مـع ثوابته الأربعة ومع من أحبهم ممن أخلصوا لكل أو لأغلب هذه الثوابت المصريـة تلك الثوابت التى تأكد لنا أنها تؤخذ ككل وأن التضحية بواحد منها يهزم الكل، مهما حسنت النوايا، ومهما بدت لنا ـ وهى حقيقة ـ عظمة القادة المستمسكين بها.

ربما بهذا الوعى (الوعى بضرورة اكتمال الثوابت المصرية حتى لا تتـهزم

من جديد واجه الجيل **جمال عبد الناصر**، وواجه **السادات**.. مصمماً على الاستقلال(**التحرر**) والديموقراطية (حرية الرأى والمشاركة ورفض التفويض) والعدل الاجتماعى (الاشتراكية) والانتماء العربى تحقيقاً للأمن القومى المصرى (خلى بالك من كلمة المصرى هذه)، وتحقيقاً للحلم العربى التطورى التنافسى فى عالم لا يعترف بغير الكائنات الكبرى.. كل هؤلاء معاً، فهم معاً مصر الحديثة القوية المتناغمة مع عصرها، والتى لا يمكن هزيمتها ولو أراد الظالمون.

لكن حركة ٦٨ انطلقت من مواقع مختلفة فكرياً.. من مواقع ترى ضرورة تطوير النظام، ومواقع فكرية أخرى ترى أن لابد وأن يتغير النظام (بالضغط الشعبى) لتحقيق الديمقراطية رافعة الشعار الجميل (لا شرعية بدون ديمقراطية)، لهذا كان شعارات ١٩٦٨ خليطاً من الثوابت المصرية الأربعة كلها.

والآن لنترك هذه الثوابت قليلاً، فسوف نعود إليها سريعاً، ولنتذكر أننا مازلنا مع **محمد فريد حسنين**، الذى وعدوه أن تقابل اللجنة المكونة من أثنى عشر طالباً من مختلف الكليات جمال عبد الناصر.

يقول محمد فريد حسنين:

كانت إجازة عيد الوحدة (كانت مصر مازالت تحتفل بعيد الوحدة رغم الإنفصال)، قابلنا **الدكتور مرسى** مدير الجامعة وكان رجلاً محترماً ووقوراً وعظيماً قال لنا: عربيات الرياسة ح تيجى تاخدكم، لكن فجأة جه دكتور **لبيب شقير** (وزير التعليم وقتها)، **علاء حمروش** رحمه الله بدأ الكلام معه، وشرح مطالب الطلبة، ولما قلت: أنا **فريد حسنين** قال لى بلهجة خاصة، أهلاً يا سى **فريد** أنا عايز أسمعك (من سمات ذلك العصر أن المسئولين فيه كانوا يشعرونك بأنهم يعلمون عنك كل شىء.. طبعاً بغرض إرهابك، لقد كان المسئولون يخافون ــ هم انفسهم سطوة المخابرات القاهرة، وكانوا لهذا يتمثلون قاهرهم عند التعامل مع غيرهم، وهذه أهم خصائص الديكتاتورية حتى وإن كانت ثورية!!!) وقلت: أنا باعتبر اللى حصل ده حاجة إيجابية والشباب عايز يشارك (خلّى بالك من الكلام

لكى نقلل رجوعنا إلى المحللين حسنى النية!!). وباقترح أن حد بيجى من النظام يوم السبت يقول للناس إحنا متفهمين مشاعركم، وقلوبنا معكم، وسيتم التغيير الذى تريدون (مرة أخرى خل بالك من الكلام... المشاركة والتغيير).

ومرة أخرى فاجأهم د. لبيب شقير..

ـ أنتم لا تعبرون عن الجامعة، أنتم لستم اتحادات الطلبة، لن يتم مؤتمر يوم السبت (هكذا!!، بالأمر!!)، إنتوا تروّحوا وده أحسن، ومش وقت اللى انتوا بتعملوه ده (دائماً الوقت لايكون وقت تدخل من الجماهير، فأوقات الثورة كلها كما قلنا ـ وحتى الآن ـ أوقات عصيبة واعداؤها دائماً متربصون، ومنعطفاتها تاريخية!!)، وبعد أربع ساعات مناقشة، صمم فيها على رأيه، قام يمشى، اعترضت طريقه:

ـ أنت رايح فين؟، وإيه التعالى ده كله؟ ، إنت وزير نكسة!.

(كان يقصد أنه كان عضواً فى وزارة النكسة).

ـ موشى ديان مش ح يقدر يكفرنا ببلدنا والظاهر أن أنتم ح تقدروا.

(الحكومات الديكتاتورية تظن أن كفر المواطنين ببلادهم، يريح دماغهم، ويطلق يدها.. ولا تعرف، أو هى تعرف، أنه المفجر للعنف، والعامل الأكبر فى استشرائه، وربما ـ أيضاً ـ تتصور ـ هذه الحكومات أن العنف أرحم من المشاركة، فالعنف فرصتها فى اسكات كل الأصوات من حولها، لأنها تقاوم العنف!!!، إنه بيت جحا الشمولى... لكن الحكومات الديكتاتورية لا بد تدفع الثمن).

ـ لو كانت السفرة فى بيوتكم نقصت رغيف كنتوا تغيرتم ، إنت عارف إيه اللى ح يحصل يوم السبت؟! لو كنت عارف ما كنتش تتصرف كده.

وبالطبع لم يرسل النظام أحداً يوم السبت وخرجت المظاهرات العارمة مظاهرات ٦٨، أخرجها من صمم وزراء النظام، وأنصاره فى التنظيم الطليعى على أنهم لا يمثلون القاعدة الطلابية!!، فشل النظام فى احتواء الموقف.. لماذا؟ لأنه أصر على التفويض (إحنا ح نعمل اللى انتوا عايزينه وبلاش تتدخلوا لحسن أعداء

الثورة تستغل الموقف) ولأن الشباب أصر على المشاركة، التى يعبر عنها **محمد فريد حسنين** بقوله "لما كنا بنقول عايزين ديموقراطية حقيقية، كنا بنقول بكده كل حاجةً (خل بالك أن الشباب كان يعرف بأن جمال عبد الناصر مستمسك بثوابت مصر كلها ما عدا الديمقراطية، وهذا يشرح كلمة **محمد فريد حسنين**).

وهكذا لم يرض النظام بالتفاهم، دافناً رأسه فى الرمال، وكانت الرمال هى زعمة بأن قادة الطلبة الذين أفرزتهم الأحداث والمؤتمرات لا يمثلون الطلاب، مراهناً رهاناً خاسراً بأن شيئاً لن يحدث وأنه ـ بذلك ـ يكون قد تخلص من الأزمة كلها.

هكذا دخل النظام فى الأزمة كلها.

• السر الرهيب عند الدكتور أسامة:

قصة ـ أخرى ـ طريفة يقصها **محمد فريد حسنين** . . وفى طرافتها دلالتها.. يقول:

"خرجنا من اجتماعاتنا مع د. **لبيب شقير**، ركبت عربيتى، وبينما كنت أمر أمام مقر لجنة الاتحاد الاشتراكى بمحافظة الجيزة ، وجدت عربة د. **أسامة الخولى** راكنة أمامها، طلبت من الفراش أن يبلغه بأننى أحتاج إليه (كان د. **أسامة الخولى** وكيلاً لكلية الهندسة، وعضواً بالاتحاد الاشتراكى، وبعدها صار مستشارنا الثقافى فى موسكو).

خرج لى **الدكتور أسامة**، بدأت أشرح له ما حدث، فقال:

ـ روّح دلوقت وتعال لى البيت (صباح يوم ٢٣ فبراير ١٩٦٨م).

رحت له الصبح، قال لى: هناك اتجاهان داخل النظام، اتجاه يؤكد ضرورة الضرب بيد من حديد ونار على أيدى من يريدون المشاركة بالرأى فى صناعة مستقبل بلدهم، وتصحيح أخطاء النظام، بحجة أنه "مفيش وقت للكلام ده" (كلمتهم الخالدة) واتجاه آخر يرى أن الطلبة معذورون، وأن السلطة يجب أن تعاملهم

بـ "الراحة" وتسمع اللى عايزين يقولوه، لكن الخوف إن المظاهرات تجعل أصحاب الرأى المتشدد، أعلى صوتاً من غيرهم وتعطيهم فرصة لرفض التغيير، الذى يسعى إليه المستنيرون فى النظام، ويكادون يصلون فيه إلى نتائج فى صالح البلد، وهكذا ستعطلون بحركتكم (الطلابية) عملاً يتم لمصلحة مصر الآن، والموضوع مش لعب عيال... ده مصير أمة!!!.

طرافة هذه القصة تكمن فى مداراة مسألة التفويض... إذا سكتم سيتم عمل كبير لمصر، وإذا تكلمتم سيعاند النظام وسيسمع رأى أصحاب الموقف المتشدد داخله، أما الرغبة فى المشاركة (وكانت بعد سلمية) فهى "لعب عيال" !!.. أما دلالة القصة فترينا أن الحزب الشعبى (الاتحاد الاشتراكى العربى) كان يدعم الفكر العسكرى فى إدارة شئون الأمة، (قائد الوحدة العسكرية مسئول عن توفير احتياجاتك المعيشية وعن قيادتك لكن أن تطلب شيئاً بنفسك فهذا يعرضك للعقاب، بل لمحكمة عسكرية).

هكذا يدير العسكريون الأمور.. فى السلطة وفى التنظيم الشعبى أيضاً!!.

والأكثر طرافة، أن **محمد فريد حسنين**، اهتز داخله، وكان اهتزازه دليل براءة سياسية.. يقول ــ بشجاعة الصدق ــ: "رحت يوم السبت الكلية، وفى ذهنى أن لا شأن لى بأى شىء... حاول الطلبة معى أن نكمل ما بدأناه.. قلت.. ماليش دعوه.. قالوا لى انت وانت..!!، وفجأة لقيت الولاد من كلية العلوم كسروا باب الكلية، وخرجوا بمظاهرة، كان يقودهم طالب للأسف لا أذكر اسمه (اخوته لديهم محل فول فى الحسين) ... حسيت ساعتها أن المجموع رأيهم أصح.. وأفضل من رأى الفرد، قلت للدكتور **أسامة الخولى والدكتور محمود شريف** وكانا يقفان فى حوش الهندسة:

ــ أنا من دلوقت ح اتصرف من دماغي.

(كان يقصد ضد الأوامر التنظيمية للاتحاد الاشتراكى، والتى جاء الدكتور محمود الشريف (طبيب.. ووزير الحكم المحلى الآن) إلى حوش كلية الهندسة غالباً

للاشراف على تنفيذها.

ويستطرد **محمد فريد حسنين**: وجريت وراء المظاهرات!!.

هكذا حسمها الطالب العادى وسبق قيادته.. بينما السلطة تراهــن علــى أن القيادات لا تمثل جموع الطلاب، وأن المعارضين عدد محدود، لقد صحت الســلطة من غفوتها فإذا المعارضون يملأون الشوارع .صخباً، وشعارات تهدف بســقوطها، وغضباً تفجرت منه الصدور.

كتب رماح أسعد فى كتابه "سطور من يوميات الحركة الطلابية المصريــة ١٩٧٨-١٩٧٣" ص٣٣، وما بعدها).

"كالسيل تتدفق الجموع الساخطة (من جامعة عين شمس)، والسخط جاء مــن أن السلطة لا تريد أن تتفاهم مما يشي برغبتها فى إبقاء الأمور على ما هى عليــه (دون تغيير) إلى ميدان العباسية فشارع رمسيس، فمنطقة وسط البلد..

ومن جامعة القاهرة تنطلق المسيرة فى اتجاه كوبرى الجامعــة ومنــه إلــى شارع قصر العينى ليتجمع الطلاب فى حلقة بلا نهاية أمام مقر مجلس الأمة .

ويقول **محمد فريد حسنين**: وصلنا مجلس الأمة، نظرت حولى وجدت أعداداً كبيرة (يقصد إعداداً كبيرة من المتظاهرين) بدأت أترعــب وركبــى تتخبــط فــى بعض.. لقد خرج العفريت فكيف سنتصرف فيه؟!!.

دخلت مجلس الأمة بمعاونة ضابط صحت فيه: لازم أقابل حدّ كبير، "أكــبر رأس".. بعد دخولى وجدت **أنور السادات** ومعاه **نوال عامر**.. قلت له أنا عــايزك تجيبلى ميكرفون ألم الناس دى كلها حول ورقة يوم الأربع (مطالب الطلاب.. هــل تذكرها؟).. جابولى ميكرفون بعد ما عرفوا إنى من كلية الهندسة، وظهر الســادات إلى جانبى فى الشباك وكان يدخن سجائر (فقد كان محتفظاً بالبايب لحدمــا يبقــى رئيس).. ولسه باتكلم، واحد قال "أنت واقف جنبه ليه؟!" وتصــايح الطــلاب فــى غضب، وفجأة قال طالب **لأنور السادات**.

ــ إنت بتشرب كنت والناس مش لا قيه تأكل؟!!.

أنور أسرع بإطفاء السيجارة فصاح فيه الطالب فى غضب:

ــ وبتطفيها من نصها كمان؟!!.

قفز **محمد فريد حسنين** من الشباك بينما **السادات**.. يطلب من الطلاب تكوين وفد منهم يمثل الكليات المختلفة لعرض مطالبهم أمام مجلس الأمة (كان السادات رئيس مجلس الأمة وقتها، والذى غير اسمه فيما بعد إلى مجلس الشعب) مقسماً بشرفه أن من سيدخلون إليه لن يصيبهم أى سوء.. (بالطبع قبض على أعضاء الوفد المنتخب، عند فجر اليوم التالى، وكان **السادات** إذا ما أقسم بشرفه بعد ذلك وقد غدا رئيساً للجمهورية، يتساءل الطلاب.. أى شرف؟! شرف ٦٨ ؟!).

يقول "**رماح أسعد**" وتشعب الحوار (داخل المجلس بين أعضائه ووفد الطلاب المنتخب) من أحكام الطيران إلى الهزيمة إلى الديموقراطية (خل بالك من الترتيب الذى وضع به "**رماح**" كلماته.. أحكام الطيران.. الهزيمة.. الديمقراطية.. (فأحكام الطيران كانت لحظة التفجر.. لكن لحظة التفجر هذه كان قد سبقها ــ كما وضحنا ــ غضب عرف الوسيلة، فأصبح وعياً متكاملاً.. والغضب هذا، هو الذى يحرك الجماهير، وإن احتاج تحركهم إلى شعلة للتفجر)، بعد التفجر، يعبر الغضب عن نفسه بالهزيمة وبالمطالبة بالديمقراطية.. هل غدت الأمور واضحة؟)، وانتهى الحوار بقيام رئيس المجلس بجمع أسماء وبيانات الطلاب!!، (تمهيداً للقبض عليهم تبعاً لشرف ٦٨ !!)".

ولم يكن حظ طلاب عين شمس أفضل من طلاب جامعة القاهرة الذين قابلوا **السادات** ــ يقول **معتز حفناوى** فى شهادته(*)، أن طلبة عين شمس كونوا وفداً، ذهب إلى بيت الرئيس **جمال عبد الناصر** "قابل الوفد السيد **محمد أحمد** سكرتير **عبد الناصر**، وسلمه مطالب الطلاب، فاستأذن السيد **محمد أحمد** خارجاً، ليعود بعد عشر

(*) راجع شهادة **معتز الحفناوى** فى الملاحق.

دقائق ويخبر الطلاب بأن **عبد الناصر**، سيرد على هـــذه المطــالب فــى خطبــة جماهيرية عامة، وأنه ــ الرئيس ــ يعرف أن وطنية الطلاب هى التى دفعتهم إلــى تقديم هذه المطالب له ، وهو بدوره يطلب منكم أن تعودوا إلى الجامعــة وتخــبروا الطلاب برأيه وتفضوا الاعتصام.. واستجاب الطلبـــة لمطلــب الرئيــس (كــانوا يصدقونه!)، وعادوا لمنازلهم ليقبض عليهم فى الفجر(!!)"، بعد أقل من ١٢ ســاعة من انتهاء لقائهم بسكرتير **الرئيس جمال عبد الناصر**!!!.

وكانت هذه المرة هى المرة الأخيرة التى يثق فيها الطلاب بالسلطة (أليــس لديهم حق؟).

- **وكانت النتيجة أن اشتدت المظاهرات:**

فى اليوم التالى كانت المظاهرات أعنف.

يقول **رماح أسعد**: فى مظاهرات عين شمس يســـقط أول شــهيد للحركــة (مضروباً بالرصاص.. ولم يكن طالباً..) فيحمله المتظاهرون مضرجاً بدمائه إلــى بيت **عبد الناصر**، رافعين شعارات الديموقراطية، وإقالة **شعراوى جمعـــة** وزيــر الداخلية (أعلن وزير الداخلية فى ٦٨/٢/٢٧ عن عدم سقوط قتلى فــى الأحــداث الطلابية (منتهى الصدق!!)، بينما أثبت التحقيق الذى أجراه **فريد الديب** وكيل نيابــة شرق القاهرة وقتئذ أن الشهيد قُتل نتيجة إصابته بمقذوف نارى من عيار "٣٠٣" لى أمفيلد، وأن المقذوف استخرج من رقبته، أى أن الطلقات لم تكـــن موجهــة إلــى الأقدام، كما أثبتت التحقيقات أن قوات الأمن أطلقت النار فى المليان وأحدثت العديد من الاصابات بجموع المتظاهرين..).

لكنه برغم استئساد السلطة هذا، اضطر **جمال عبد الناصر** إلى التراجع لأول مرة منذ انتخابه رئيساً للجمهورية فى عام ١٩٥٤، وخضع لمطلب الجماهير، وقرر إعادة محاكمة ضباط الطيران.. فى محاولة لإثبات أن اعتراض الطلاب منصــب فقط على موضوع الطيران، وأن الديمقراطية ــ التى لايقلبها ــ لم تكن الدافع وراء حركتهم! لكن الأمر لم يكن أمر محاكمة ضباط الطيران، كان أكبر من هذا (هــل

تتذكرون ردنا على المحللين حسنى النية!!) فلم يؤد رضوخ **جمال عبد الناصر** إلى توقف الحركة (لو كان الأمر أمر طيران "وخلاص" لتوقفت المظاهرات بعد أن وصلت إلى غرضها، وتحقق لها ما تريده).

ولأن الأمر لم يكن أمر أحكام طيران و"بس"، استمر اعتصام الطلاب المحاصرين داخل هندسة القاهرة برغم تراجع عبد الناصر وما أدراك ما تراجع عبد الناصر، معلنين أن اعتصامهم لن ينتهى حتى تحقيق مطالب الطلاب.. وكانت المطالب:

١ـ الإفراج الفورى عن الطلاب المعتقلين.

٢ـ حرية الرأى والصحافة.

٣ـ مجلس حر يمارس حياة نيابية سليمة.. (المقصود مجلس أمة حر!!).

٤ـ إبعاد المخابرات والمباحث عن الطلاب فى الجامعة.

٥ـ إلغاء القوانين المقيدة للحريات ووقف العمل بها.

٦ـ التحقيق الجدى فى حادث العمال فى حلوان.

٧ـ توضيح حقيقة المسألة فى قضية الطيران.

٨ـ التحقيق فى انتهاك حرمة الجامعات واعتداء الشرطة على الطلبة.

- **والآن ملاحظة فى غاية الذكاء:**

ويلاحظ د. **أحمد عبدالله** (**أحمد عبدالله رزة** كما كان ينطق **السادات** اسمه كاملاً، وكان قائد اعتصام جامعة القاهرة المنتخب عام ١٩٧٢م) إنه يتضح من المطالب أن ثلاثة منها تدور حول المسألة الديموقراطية، بينما تشير ثلاثة أخرى منها إلى غياب الديموقراطية فى الجامعة بوجه خاص، ويركز مطلبان فقط على قضية الطيران والأحداث التى أدت (قضية الطيران) إليها (الطلبة والسياسة فى مصر د.**أحمد عبدالله**. دار سينا للنشر ص١٨٦).

برغم هذا أخذ المحللون حسنو النية المطلب السابع (!!) وجعلوا الحركة كلها

رد فعل له.. مجرد رد فعل!!!!.

ولنعد إلى الاعتصام فى كلية الهندسة، فقد استمر، وتبادل فيه الطلبة وقوات الأمن الحوار تارة وإلقاء الطوب والقنابل المسيلة للدموع مرات، وزار المسئولون الاعتصام لإقناع الطلبة بفضه، لكن الحوارات انتهت بالفشل فلم تكن لدى المسئولين حجج قوية تبرر ما يحدث.. ولم تكن لديهم نية فى إذعان أكبر وقبول كل مطالب الطلاب التى تدور حول تعميق الديمقراطية، ورفض استفراد جمال عبد الناصر بالسلطة (وسعى الطلبة الجاد إلى المشاركة التى يجب أن تتاح لكل مصرى يريد أن يخدم بلاده برأيه وبفعله الذى يحول الرأى إلى حقيقة، على أن يكون قادراً بمؤسساته ومنظمات المجتمع المدنى على أن يضغط ضغطاً مستمراً "سلميا" حتى تتحقق هذه المطالب).

(٧)

غلطة عُمر جمال عبدالناصر

الديموقراطية . . هل هى ـ بالنسبة لنا ـ بيضة الديك ؟!!

فيما يبدو ـ وحتى إشعار آخر ـ هى كذلك !!

هل صارت المستحيلات – فى زماننا – هى الغول والعنقاء والخل الوفى .. والديموقراطية؟!!

فيما يبدوا – وحتى إشعار آخر – صارت كذلك .

لقد غدت الديموقراطية (ليمونة المحاياة ، التى فيها الدواء والنجاة ، والتى هى أيضاً – بعيدة المنال ، بيننا وبينها دروب – وضروب – من التيه والانتظار والأهوال) بيضة الديك ورابعة المستحيلات... غدت كذلك ، ليس لأن السلطة الحاكمة لا تقبلها ـ كاملة ـ لنفسها (عيب فى حقها !!) ولكن (وهذا ما يؤسف له، وما لايمكن تبريره) لأن المثقفين أيضاً – كالسلطة – لا يقبلونها لنا !!!! (وهذا هو السر فى أن أحداً لا يدافع عنها الدفاع المرجو لا يضغط من أجلها الضغط المطلوب !!) .

قد يصدمكم هذا الرأى . . لكنه للأسف – ليس بعيداً عن الحقيقة !!

مثقفوا اليسار . . (بكافة اتجاهاتهم ودرجات ألوانهم) يرى أغلبهم (وليس كل من يرى يعلن ما يراه) إن ظروفاً ما لم تنضج ! وعلاقات ما لم تفرض نفسها – بعد – علي الواقع الاجتماعى ـ الاقتصادى ، لذا فنحن غير مؤهلين لممارسة ديموقراطية سليمة (كاملة) فى مصر، (الأمر الذى يجعلنا نصيح صيحة قيصر فى المسرحية الشكسبيرية الشهيرة، وهو يتلقى طعنات رجاله وأصدقائه ومحبيه"... حتى أنت يا **هيكل** !!!! حتى أنت يا **أحمد بهاء الدين** يرحمك الله !!!! ")

مثقفوا اليمين . . (إذا كانوا غير متطرفين دينياً ، غير سلفيين اتجاهاً) يرون أنهم يجب أن يمارسوا الديموقراطية بالنيابة عنا، فهم العارفون، ونحن الشعب – الجاهل سياسياً، الأمى فى نسبة محيرة من أبنائه أصحاب المصلحة .

مثقفوا اليمين . . (إذا كانوا متطرفين دينياً غير سلفيين اتجاهاً) يرون أن

الديموقراطية لا تشبه الشورى القرآنية شبهاً يطابق الأصل ، كما يرون أن الشورى الإسلامية نفسها غير ملزمة للحاكم، ولكنها قضية "ائتناس" برأى العارفين، وهم بهذا ــ أيضاً ــ فى أفضل أحوالهم يريدون أن يمارسوها بالنيابة عنا (متلاقين مع غيرهم من اليمينيين) بزعم أنهم أهل الحل والعقد .

مثقفوا اليمين . . (إذا كانوا متطرفين دينياً . . . سلفيين اتجاهاً) فإنهم يقررون فى عجالة مذهلة فى حسمها!! ألا ديموقراطية فى الإسلام ، فهى بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار !!

مثقفوا الوسط . . (وهى تسمية خاصة فى مصر وحدها، فليس فى العالم من يمكن أن يتصف بهذه الصفة إلا هؤلاء الذين لايملكون فكراً محدداً، أصحاب نظرية التجربة والخطأ ــ علنا ــ، المصلحة والمصلحة سراً، وهم مثقفوا الحزب الوطنى الديموقراطى . اعتادوا واعتدنا منهم (منذ كانوا مثقفى حزب مصر ، ومن قبله الإتحاد الاشتراكى العربى وتنظيمه الطليعى، ومن قبلهما الاتحاد القومى وقبلهم هيئة التحرير) أن يتكلموا فى كل عصر عن تلك الإنفراجة الديموقراطية التى لم تحدث من قبل !! والتى لا ينكرها إلا حاقد، والتى تضطرنا – إذا ما كنا منصفين – إلى تقبيل أيدينا وجهاً وظهراً، فليس فى الديمقراطية أفضل مما كان(!!) ويكون(!!) وسيكون (!!) عندما يرى سيادة الرئيس أن الوقت مناسب لها...

أما السلطة ــ بجلال قدرها ــ فتكتفى بأن تقول : " عندنا ديموقراطية "

۞ " ياعينى على الديمقراطية !!"

هكذا أصبحت الديموقراطية (الحقة ، غير الصورية) الحسناء التى لا يطلب يدها أحد . . وأين ؟! فى مصر !!، مصر صاحبة أول برلمان فى الشرق كله (١٨٦٦م) وأول تجربة حزبية حديثة (تعددية) فى الشرق الأوسط عام (١٩٠٧م)، وأول دستور عربى (١٩٢٣) ، وأول محليات ديموقراطية أيضاً ، وأول جمعيات أهلية وفئوية ومهنية ، وأول حركة نقابية، وأول انتباهة إلى حقوق الإنسان فى المنطقة ، وكل ما سبق (وما سبقت إليه مصر الجميع)، هو دعامة حياة

ديموقراطية حقه (إذا أردنا) لكن المشكلة أن أحداً لن يريد.

۞ مأساة جيلنا .. الفاجعة!!:

وهكذا - أيضاً - تعلم جيلنا الكلام فى ظل قانون الطوارئ الذى سنّه الوفد بعد حريق القاهرة، وحبا، وعاش طفولته واستقبل الصبا والشباب فى ظل قانون الطوارئ الثورىّ (!!) وعاش شبابه وتسللت إليه الكهولة فى ظل قانون الطوارئ الديموقراطى (!!) (فى عصرى الرئيس السادات، والرئيس مبارك). . فهل سيموت جيلنا فى ظلّه أيضاً.. (لعل هذه هى قضية الجيل التى كانت.. وهى بعد قضيته المُلحَّة..)

فى مصر (وكم ذا بمصر . . . .) بعد أن أكد عرابى (وكيل الأمة الذى كان يستفيها فى كل أمورها . . وخل بالك من هذه الجملة) أن الأمة مصدر السلطات كلها، وأكد **عبدالله نديم**، وليس كما يظن الكثيرون، أن المصريين جميعاً متساوون أمام السلطان ، وأن الدين لله والوطن للجميع (قولة **عبدالله نديم** وليست استحداث لثورة ١٩١٩) فى مصر هذه حارب **مصطفى كامل** (الديموقراطى) **العرابيين** لأنهم ضد الباب العالى (الخلافة) والباب الواطئ (الخديوية)!!، وحارب وفد **سعد زغلول** الحركة العمالية المستقلة (غير الوفدية) الوليدة، ومؤسساتها الجنينية إذ كان يقودها البلاشفة (الماركسيون)، حاربهم حرباً غير ديمقراطية، فاستطاع الإنجليز والسراى أن يحاربوا وفد **سعد زغلول ومصطفى النحاس حرباً** هى الأخرى غير ديمقراطية (أنظروا كم من السنين استطاع أن يحكم فيها الوفد — ست سنوات من ٣٠ سنة، وتعجبوا).

وفى مصر أيضاً ظل **جمال عبد الناصر** يخشى أن تتسلل الثورة المضادة والرجعية المتنمرة - إليه - من ثقب الديموقراطية (وهو الذى حرم قواهم من العمل السياسى، وطاردهم !!). وخشى **السادات** (الديموقراطى!!) أن يتسلل أصحاب الأفكار المستوردة بعيونهم إلى جيوب أسرته الانفتاحية والانفتاحيين الاسرة!، فيخيفون رؤوس الأموال المصرية والأجنبية!! (كان السادات يخشى

الأفكار المستوردة، فى عهد كان الاستيراد فيه على ودنه!) وأن يتسلل من يلبسون قميص عبد الناصر من نفس الثقب.. والآن فى عهد الرئيس مبارك يخشى الجميع (فيما يبدو) من تسرب الإسلام السياسى من الثقب عينه (هذه هى الحجج المعلنة طبعاً).

فهل الحقيقة، أن الديموقراطية هى الباب الذى تأتينا منه الريح والذى يجب أن نسده ونستريح ؟!

هل حقيقة أن الشعب الأمى فى أغلبه لا يستطيع أن يمارس الديمقراطية ؟! وهل حقيقة سيأتينا الإسلام السياسى المتطرف من ثقب الديمقراطية ؟!!.

أم أن الحقيقة هى أن على المثقفين (أصحاب المصلحة) وعلى الحزب الحاكم أيضاً أن يراجعوا أنفسهم فى هذا الصدد ، ذلك أن الخطر يتهدد الجميع . . الجميع بلا استثناء .

إن الريح ستأتى من سد الثقب وليس من خلاله .

أقول : راجعوا أنفسكم قبل أن تأتينا الريح . .

۞ محاولة متواضعة لمراجعة النفس:

منذ تعقدَ الوضع، بالنمو الهائل للاسلام السياسى السلفى المتطرف، زاد خوف جميع الاتجاهات الفكرية (بما فيهم التيار الإسلامى السلفى المتطرف من الديمقراطية)، أصبح الجميع واثقين (عدا التيار الإسلامى السلفى المتطرف!) من أن الديمقراطية ستأتى بأصحاب هذا الاتجاه إلى رأس السلطة، ظانين ــ وبعض الظن إثم ــ أن حجب الديمقراطية سوف يحجب هنا الاتجاه، الذى إذا ما تملك لن يبقى ولن يذر (وهذه حقيقة)، ولم يخطر فى بال أحد (إلا القلة القليلة) أن الواقع يؤكد أن حجب الديمقراطية، يؤجج سطوة السلفيين، فمن ناحية يوجد لهم من الغاضبين من الاستبداد (فى شباب لم يتفتح بعد على أمور الحياة، وأصول الثقافة الحقيقية) جنوداً، يلقون بها فى فوهة العنف مشتعلة الأتون، ويجعل لهم من الناس، الذين يعانون

اليأس من تغير الأحوال إلى الأحسن فى ظل احتكار شرس للسلطة، مدداً يفرح بما يفعلونه، ويؤيده سراً، على أساس مقولة شمسون الجبار" علىّ وعلى أعدائى"، وهو من ناحية ثانية، يعطيهم ــ السلفيين المتطرفين ــ ما يبرر لجوءهم إلى العنف، فى ظل سلطات لا تسمح لأى أحد بحرية التعبير، مستعدة دوماً لمصادرة الرأى (المغلول) إذا اقترب من المنطقة الخطرة التى يستطيع فيها أن يفضح حقيقة الفساد وتشابكاته التى تطول أفرادها، لاجئة فى كل الأوقات إلى قانون طوارئ استمرأ اعتقال المعارضين إذا ما وجدت لمعارضتهم تأثيراً، سلطة لا تقبل فى التفاهم إلا الخضوع، ولا تتورع "داخليتها" عن ممارسة القتل، فإن لم يكن فالتعذيب المهين المدمر (لهذا يحاولون ألا يقعوا فى إيديها، ولو أدى الأمر إلى قتل محاولى اعتقالهم إذا ما حاولوا، أو قتل أنفسهم إذا لم يستطيعوا قتل الذين سيعتقلونهم) سلطة تصنع معهم ثأراً لايخمد أواره بإهانة الأهل (وخاصة النساء منهم) وتعذيبهم .. سلطة تتورط ــ أبداً ــ فى دائرة العنف والعنف المضاد المغلقة، ومن ناحية ثالثة، فإن حجب الديمقراطية يعطى مرتعاً خصباً، بل شديد الخصوبة للفساد، فلا يجد المتضررون، المتضورون ملجأ فى مواجهته العنف، مستندين على الله أعدل الحاكمين!!.

الحقيقة أن معارضى فتح باب الديمقراطية على مصراعيه، لم يفهموا درس الجزائر ولم يعوا درس " الأردن" ، ولم يستوعبوا درس إيران، ولم يقرأوا تاريخ الديمقراطية البرجوازية فى المملكة المتحدة، وفى الولايات المتحدة الأمريكية.

إن تراجع السلطة العسكرية عن الديمقراطية فى الجزائر (والسلطة العسكرية فى أى مكان تفعلها دائماً) أعفى السلفيين من خطورة الفرصة المتاحة لاختلافهم مع الناس ومع مصالحهم، بل مع أخص أمور حياتهم، ومقدرات مستقبلهم، وأظهرهم بمظهر الموتورين المظلومين، وأظن ــ وليس كل الظن اثماً ــ أن السلطة العسكرية مدت فى أعمار الاتجاه، حينما حجبت فرصة أن يرفضهم الناس ــ بعد حين ــ الذين لم يقبلوا بتصوراتهم الغائمة إلا هروبا من فساد السلطة

العسكرية، وإفسادها، وشراستها، وتكسبها على حساب الجماهير المطحونة. إن ما فعلته السلطة العسكرية خلط أوراق الحرب، فأصبح الكل يحاربون الكل، واستشرت القبلية "العسكرية" الدموية، وقد كان الوقت كفيلاً بأن يجعل الحرب تأخذ منحاها الصحيح ضد كل أعداء السواد الأعظم من الشعب ..

ألم يحدث ذلك فى إيران، إن الناس فى إيران يراجعون أنفسهم علنا وفى غضب، فى مواجهة سلطة لم تحقق وعودها "الربانية"، والسلطة ــ هناك ــ اضطرت إلى أن تتراجع نحو الديمقراطية (وكان من الممكن أن تتراجع قبل ذلك، لكن الخطر الخارجى، الذى قدمه لها صدام حسين على طبق من فضة، أطال عمر ثيوقراطيتها)

إن الشعوب كحكامها تخطئ، لكن أخطاء الشعوب (عكس أخطاء الحكام) يمكن تداركها.

وهناك تجربة أخرى فى الاتجاه المخالف تمت فى الأردن، لقد أعطى الملك " الداهية" فرصته ضئيلة للاتجاهات السلفية لكى تعبر عن نفسها، وحين عبرت عن نفسها، اكتشف المخدعون " ضحالة" ما تملكه، وها هو ذا نورها يخبو بالتدريج، حتى لم يعد نوراً، (الاتجاه السلفى لا يملك فكراً، إن السلفية هى اللافكر المعتمد على نجاحات سابقة، مشكوك فى بعضها، وعندما تحتك بالواقع ــ وتخرج من كهف التحريض ــ تصبح قليلة الحيلة، مثيرة للرثاء: ويصبح غضبها لله ــ الغنى عن غضبها ــ شيئاً آخر غير قيادة الشعوب فى صالح السواد الأعظم .. فلم يحدث أن قدمت هذه الاتجاهات ــ غير شعاراتها البراقة ــ حلولاً علمية لمشاكل أوطانها، بل للأمور التى يحرضون الناس ضدها، ولاأظنهم يستطيعون إلا إذا تخلصوا من أساس وجودهم، من السلفية نفسها، وأيقنوا أن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان تعانى التجديد الذى لا يخالف الإسلام الصحيح.. ليس فى القرآن والسنة إلا توجيهات وخطوط عريضية تستلزم دوماً أن تطابقها نحن على متطلبات كل عصر).

ثم هناك درس الديمقراطيات البيرجوازية، ومن يقرأ تاريخها يعلم أن الديمقراطية ما أن تبدأ، حتى تبدأ ـ أيضاً ـ فى اصلاح عيوبها بشرط أن يتم تدعيم المؤسسات التى لا تقوم على غير أساسها للديمقراطية قائمة، وبشرط التراضى حول قوانين تدفع الديمقراطية دفعاً إلى الأمام مصلحةً عيوبها، مكلملة ما فيها من نقص. أيضاً فإن تجربة الديمقراطيات البرجوازية (التى تتضمن العيب المرتضى فى أن تكون الديمقراطية برجوازية أى لصالح البرجوازية، وضد أقلية ـ دوماً ـ هى الايرلندية فى انجلترا والسود فى أمريكا)، لم تشترط أبداً أفراداً شديدى الثقافة لممارستها، فليس المطلوب من الناس فى ظل الديمقراطية أن يفهموا فى الاقتصاد مثلما يفهم العلماء، لكن المطلوب (وهولابد متحقق) أن يكون الناس عارفين لمصلحتهم وأن يُترك للعارفين فرصه ابداء آرائهم لإعلام الناس بالكيفية المثلى لتحقق مصالحهم، ثم يترك بعد ذلك الخيار للناس. فإن اختاروا خطأ، لابد سيتراجعون عن اختياراتهم التى لم تحقق المصلحة المنشودة.

دعوا الشعوب تخطئ وتتعلم من أخطائها، إن خطأ الشعوب ظاهر، أما أخطاء الديكتاتورية . فهى تخفيه وإن ظهرت يتم تبريرها، بل أن الديكتاتورية تعتبر نفسها فى خصومة لا تسامح فيها مع من يظهر أخطاءها، فليست على استعداد لأن يقتص أحد من احتكارها للنظرة الصادقة، فهو أساس احتكارها للسلطة.

المطلوب فى بلادنا ألا نخاف من فتح باب الديمقراطية على مصراعيه.

الأن وليس غداً !!

مطلوب أن نفتح الفرصة أمام مجتمعات ومنظمات المجتمع المدنى، النقابات، الروابط، الجمعيات، والمنظمات غير الحكومية، أن نكف يد المباحث عنها لتستطيع أن تقوم بدورها فى إعلام أصحاب المصلحة بما يحقق مصالحهم، دون التفاف مباحثى مخابراتى، تحبه الديكتاتوريات ظاهراً ـ لتدعيم سلطاتها ـ فى الأغلب الأعم.

مطلوب ارساء دعائم " العلمانية" فى المجتمع (مع اعتبار أن العلمانية لا

تتعارض مع الإسلام، فأمور الناس دينوية، وأصحاب التفسيرات الخاصة للإسلام، فى ظل العلمانية الديمقراطية، يصبحون أصحاب رأى وأصحاب فتاوى، تدخل جميعاً ضمن السياق الديمقراطى ومن خلال آلياته، فالرأى الخاص رؤية بشرية وليس حكم الله أو حاكميته(التى لها أصول يهودية وليست إسلامية)، فرأى الله لا يستطيع أحد أن يزعم امتلاكه (إلا فى الأصول وحدها) حاكمية الله لا يستطيع أحد اسلامياً أن يزعم أنه يمثلها. أما بالنسبة للأصول فكل المجتمعات تتراضى أشياء، حين تتراضى الديمقراطية ولا أظن أن تراضى الأصول الإسلامية الحقة (وهى قليلة وعامة، ولمصلحة الناس مما بما لاشك فيه بما فيهم الأقلية غير المسلمة والتى لا يجب أن تلوح فى وجهها تطبيق قانون الأحوال الشخصية الإسلامى عليهم) سوف يشكل أى عبء على الديمقراطية.

أيضاً مطلوب عزل السلطة التنفيذية عن إدارة الانتخابات، واعتبار التزوير جريمة مغلظة العقوبة.

مطلوب السماح للأحزاب بالعمل الجماهيرى (خارج مقارها) وعدم اعتبار العمل الحزبى تآمراً "وتجاوزاً، أن العمل الحزبى فى أخص خصائصه مؤامرة مقبولة ضد السلطة المطلقة.

مطلوب تحرير الصحافة من البيروقراطية (سطوة الصحفيين الموظفين) ومن الملكية الغامضة (التى يمثلها مجلس الشورى). تلك الملكية التى تقف حجر عثرة بتسلطها كواجهة للسلطة، فى تعيين رؤساء التحرير وفى رفتهم، وفى التقييد على الصحافة المملوكة للأفراد، الأمر الذى جعل رؤساء التحرير رقباء أشد صعوبة من الرقباء فى العصر الناصرى، إن دولة تخصخص حتى قوت الشعب الضرورى، ومستقبل صناعته الثقيلة، تحيرك حين لاتريد خصخصة الصحافة وقنوات التليفزيون والإذاعة.

مطلوب إلغاء القوانين والمساءلة فى الدستور، فنحن منذ دستور ١٩٥٦ المؤقت نعطى كل السلطة لرئيس الجمهورية، بينما لاتوجد هيئة رقابية قضائية

تستطيع حتى محاسبة الوزراء.

مطلوب الفصل بين السلطات، فصلاً واضحاً.

ومطلوب ــ أيضاً ــ أشياء أخرى يعرفها آخرون ولا أعرفها أنا.

مطلوب كل ذلك وأكثر لنسد بالديمقراطية الباب الذى تأتينا منه رياح الغضب والعنف والضياع واللامبالاة.

مطلوب كل ذلك وأكثر حتى لايطل علينا القرن القادم ليرانا ويدنا على ثقب الديمقراطية نسده ولا نستريح.

لقد كانت الديمقراطية هى قضيتنا مع جمال عبد الناصر ، الذى كنا نحبه ، . . (وهى بعد قضيتنا) إذ لم يكن من الممكن ألا يحب عبد الناصر جزءٌ غائر فينا . . إنه نفس الجزء الذى يحب فينا **مصطفى النحاس وسعد زغلول وأحمد عرابى ونديمنا وعمر مكرم والشيخ همام** . . الجزء فينا الذى يحب من يستمسكون بالثوابت المصرية ، ولقد استمسك **جمال عبد الناصر** بيد قوية على الثوابت المصرية، استمسك بحرية الوطن كأبدع ما يكون إذ ما استثنينا الفترة من ١٢ مايو ــ ٥ يونيو ١٩٦٧، التى أخطأ فيها أخطاء قاتله متوالية هددت حرية الوطن، إلى أن أضاعت حرية جزء عزيز كبير منه، ثم كلفت الوطن، وأحلام البسطاء غالياً، إذ اضطر الوطن إلى إعادة بناء قواته المسلحة من الصفر مرة ثالثة على حساب التنمية.، واستمسك جمال عبد الناصر وبأعلى درجات العدل الاجتماعى.. الاشتراكية (كما تصورها)، واستمسك بانتمائنا العربى ، ثم أخطا خطا عمره، عندما خاف من الديموقراطية .. أخطأ لأنه لم يعرف أن الديموقراطية....، حتى وإن جاءت متأخرة، كانت هى عمره... (عمره المادى وليس المجازى ــ فقط ــ الذى يعنى الخلود، فلولا غياب الديمقراطية، ماكان السادات ليأتى وما كان إذا ما أتى يستطيع أن يمشى على طريق عبد الناصر عكس الإتجاه ماحياً مكاسب أصحاب المصلحة التى نالوها ولم تترك لهم الفرصة ليدافعوا عنها ديمقراطياً).

ونعود إلى المظاهرات التى انفلتت :

قلنا فى الفصول السابقة : أن المظاهرات انفلتت بعد أن صممت السلطة على ألا تتفاهم مع الشباب بحجة أن الآلاف الذين رأتهم السلطة يتظاهرون ويتصايحو ويعتصمون لا يمثلون الشباب . . . وهكذا خرج الألوف فى الشوارع منددين بالديكتاتورية والحكم العسكرى . . " عايزين حكومة حرة.. العيشة بقت مرة.. و.. لا شرعية بدون ديمقراطية "، وقلنا إن عبد الناصر اضطر للتراجع أمام المتظاهرين ، وأعلن مستسلماً ، إعادة محاكمة قادة الطيران . . مصوراً – مثله مثل المحللين حسنى النية (هل تذكرون كلامنا عنهم) أن القضية لا تعدو كونها غضبة ضد الأحكام الهزيلة . . لكن برغم تصويره ذلك . . استمر الاعتصام فى كلية الهندسة . . (الكلية المحسودة على دورها العظيم، فى كل الحركات الطلابية ابتداء من ١٩٦٨م) .

وهنا نترك المهندس وائل عثمان (طالب بكلية الهندسة جامعة القاهرة – وقتها – وأحد زعماء التيار الدينى فيما بعد عام ١٩٦٨م) يتكلم (أسرار الحركة الطلابية ٦٨ – ١٩٧٥،ص ٢٦ – وما بعدها) .

"استعانت قوات الأمن بسيارات المطافئ، لتفريق المظاهرات، التى كانت تنطلق من الجامعة بين الحين والحين . . وكانت إحدى السيارات تقف أمام باب الكلية (الهندسة) الجانبى، موجهة خراطيمها نحو فناء الكلية، ولاحت لنا فكرة سرعان ما خططنا لها وقمنا بتنفيذها ، بدأنا بتجميع كمية وفيرة من الأحجار ، وأخذنا نلقى بها بكثافة صوب رجال الإطفاء . وكنا نتألم إذا ما أصاب أحدهم (يقصد أصيب أحدهم) لكن ما باليد حيلة !! وفتحنا باب الكلية واتجهنا بقوة صوب السيارة فما كان من رجالها إلا أن فروا وتركوها غنيمة لنا ، امتطت مجموعة من الطلبة جوانب السيارة، وساروا بها داخل الكلية مهللين هاتفين وشعرنا بلذة الانتصار.

حاول عميد الكلية – وكان إدارياً ممتازاً – لكنه يفتقد حب الطلبة له – إن

يهدئ من ثورة الطلبة وانفعالاتهم وأذكر أنه فى إحدى حلقات المناقشة صاح فى الطلبة بتعال وعنجهية مؤكداً حقه فى السيطرة السياسية (على الكلية !!!!) كحقه فى إدارة الكلية (يسيطر سياسياً ــ بلا ديمقراطية ــ مادام يحسن الإدارة . . أليس ذلك العميد عبد الناصر آخرعلى قده ؟!!) . . واستنكر الحاضرون منه ذلك ، ورفضوا حديثه وتركوه وحده . .

استقر الرأى – وبموافقة اتحاد الطلبة على الاعتصام داخل الكلية (...) كان عددنا يزيد على خمسمائة طالب ، واجهنا حرباً نفسية عنيفة من قبل أجهزة الدولة والأهالى (يقصد بعض أهالى الطلبة، فلم يكن حاجز الخوف قد كسر بعد ، وأقول بعضهم لأنه كتب فى صفحة تالية عن إصرار الأهالى على دخول الكلية بسيارتهم" حاملين معهم ما نحتاجه من الطعام") . . . ونشطت حركة سريعة لتنظيم الاعتصام (...) وتم شراء كمية من القماش كتبنا عليها الشعارات التى تعبر عن مطالبنا وملأنا بها سور الكلية [أذكر الآن وبعد مرور ثلاثين عاماً، منظر سور كلية الهندسة، لم يكن بعضنا من طلابها وكنا نمر عليه راكبين الأتوبيسات يدب الخوف بداخلنا، مما نحن مقدمون عليه، فيختلط خوفنا ببهجة عارمة لما نسمعه من كلمات الركاب المتعاطفة مع شعارات الحركة كان ذلك يحدث قبل أن نغادر الاتوبيسات لنتسلل الى الاعتصام المحاصر من قوات الأمن بالقفز على أحد أسوار حديقة الحيوان الداخلية، إذ كنا نبقى فى الاعتصام حتى الليل ثم نغادره حتى لا يقبض علينا داخل الكلية ليلاً ولسنا طلبة بها!!] (....) ..كانت تتحدث عن الحرية المسلوبة وضرورة الإفراج عن المعتقلين ، كما تضمنت الهجوم على الديكتاتور وصاحبه هيكل (....) ، وفى الساعة الثانية ظهراً تم طبع بيان هندسة القاهرة ، وقمنا بتوزيعه على المارة فى الشوارع ، وكانت وسائل المواصلات تقف أمام باب الكلية ليقرأ ركابها اللافتات ، وكنا نسرع بإعطائهم نسخاً من البيان إلى أن تنبهت السلطات (.....) فصدرت الأوامر بتغيير خط سير المواصلات بعيداً عن شارع الجامعة.

وقد تضمن البيان " أننا جميعاً نقدر أهمية المطالب الحقة التى نطالب بها ،

وثقة منا فى أنفسنا وفى قدرتنا على التغيير فإننا نهيب بكم جميعاً أن تتبينوا ما تريدونه بالضبط (منتهى الديمقراطية)، ويجب أن يعلم كل حر فيكم أن الحرية تؤخذ ولا تعطى وأنها تغتصب ولا تمنح (.....) ولقد وجدنا ووجدتم معنا وخصوصاً بعد ما حدث اليوم بأن السبيل الوحيد إلى أن يسمع الشعب صوتنا، حتى يستطيع كل منا أن يأمن على نفسه فى بيته ، فى ظل دولة المخابرات هذه (....) ويجبر السلطة الحاكمة على احترام الحريات واحترامكم أنتم بالذات بصتكم قمة الطبقة الواعية فى هذا البلد (....) " إن طريقنا الوحيد فى تحقيق أهدافنا هو المقاومة السلبية فى صورة اعتصام كامل قد يدوم مدة من الوقت ".. (ثم كتبت مطالب الجامعة الثمانية التى ذكرناها فى الفصل الماضى).

والحقيقة أن دوراً عظيماً للأساتذة قد نشأ ولا يمكن إغفاله ، وكان على رأسهم الدكتور إبراهيم جعفر – أكرمه الله – أستاذ مادة الخرسانة بقسم مدنى بكلية الهندسة.. وتطوع بإمدادنا بكل ما يلزمنا ، غير مبال بما قد يصيبه من غضب وانتقام السلطة ".. (إن دور هذا الرجل لا يمكن تسجيله إلا بحروف من نور ليس فى ١٩٦٨م وحدها، ولكن فى ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ أيضاً، وسوف نذكر للرجل فضله فى حينه.. ونحن نتمنى أن نكون قادرين على ذلك). لقد اقترح الرجل العظيم صباح الأربعاء ١٩٦٨/٢/٢٨م على الطلبة اقتراحاً بإنهاء الاعتصام بأسلوب يضمن به الطلاب قوة دفع ضاغطة تحقق أهدافهم فى الأيام التالية : " ولم يكن أمامنا من سبيل – غير الموافقة على اقتراحه بالانتقال إلى مجلس الأمة لمناقشة ممثلى الشعب.

الطلاب يواجهون السادات فى عصر عبد الناصر :

احتدت المواجهة بيننا وبين رئيس المجلس (**أنور السادات**) ومن حوله مجموعة من وزراء سموا فيما بعد " بمراكز القوى . . . " وقد انهال علينا " المصورون يلتقطون لنا الصور وكنا نعتقد أنها للصحافة ، إلا أنها فى الواقع التقطت بهدف تقديمها للمباحث (.....) وقدمت لنا المشروبات والسجائر

الأمريكية !! (من يومها!) وتحدث الرئيس (رئيس المجلس أنور السادات) والوزراء عن الحرية التى يعيشها الشعب ، وعن المكاسب التى حققتها " الثورة " وقدموا لنا دروساً في تاريخ مصر ما قبل ١٩٥٢م وكيف أنقذتنا الثورة من ديكتاتورية تعدد الأحزاب (تصوروا !!!!) ، وأسهبوا فى شرح الاشتراكية (.....).

وختم الرئيس حديثه قائلاً : " هذا البيان مرفوض شكلاً وموضوعاً " .

وكان ردنا أن ما سمعناه لا يعدو أن يكون سوى " كلام فارغ " .

ولم يجبن المتحدثي باسمنا عن تنفيذ كلامهم والرد عليهم بكبرياء وعزة .

"ولا أذكر أن مجموعة من الوزراء قد استهزئ بها مثلما حدث فى تلك الجلسة وكان أن برز لنا أحد الأعضاء . . لا شك أنه من مجموعة الراقصين (يقصد **وائل عثمان** بالراقصين هؤلاء الذين رقصوا على أعضاء مجلس الشعب عندم أعلن عن تراجع **جمال عبد الناصر** عن تنحيه يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، رقصوا فرحاً بينما النكسة تمسك بخناق الوطن !!) تحدث عن الحاكم وتمادى فى مديحه وكان هذا العضو هو **ضياء الدين داود**[*] الذى عين فيما بعد عضوا فى اللجنة

---

[*] ❃ حكاية ضياء الدين داوود :

ولعله من المفيد هنا أن نركز على قصة صعود ضياء الدين داوود التى كانت مظاهرات ١٩٦٨ أول خيطها الممتد، ولعله من المفيد أيضاً أن نترك لشعراوى جمعة نفسه الفرصة لكى يحكيها لنا.

قال شعراوى جمعة أثناء مرافعته فى محاكمات قضية ١٥ مايو (رجال عبد الناصر ... والسادات، كمال خالد المحامى، الطبعة الثانية. دار الاعتصام ١٩٨٦ ص١٤٠) : بالنسبة لضياء الدين داوود فكان أول مرة فيها لفت الرئيس جمال عبد الناصر إليه فى إحدى اجتماعات مجلس الأمة خلال مظاهرات فبراير ١٩٦٨ وكان مؤيداً للحكومة ضد هذه المظاهرات، وكان شجاعاً وجريئاً وكان الرئيس يستمع إلى هذه الجلسة فى الخط المباشر بين المجلس ومكتب الرئيس (خل بالك من الخط المباشر بين مكتب الرئيس جمال عبد الناصر وقاعة الجلسات بمجلس الأمة!!) والرئيس قدره منذ هذه اللحظة واختير وزيراً للشئون الإجتماعية.

أما ما قاله ضياء الدين داوود بالضبط فى مجلس الشعب : (الهجرة إلى العنف ، التطرف الدينى من هزيمة يوليو إلى اغتيال اكتوبر ، عادل حمودة ، دار سيناء للنشر ص ١١٥) "إن الطلبة يحتاجون فعلاً إلى وعى سياسى حقيقى، إذا كانوا يطالبون بالحرية فإننى أقول لهم إن وجودهم فى الجامعة هو مظهر من مظاهر الحرية، وإذا كانوا ينادون بالديمقراطية فأى ديمقراطية يطلبون وقد رأيتهم يناقشون آبائهم=

التنفيذية العليا".

"وقبل انصرافنا التف حولنا لفيف من أعضاء المجلس مرحبين مهنئين وكنت ألحظ الأسى فى عيونهم ، وكأنهم يقولون لنا : " أنتم على حق ونأسف لأننا لا نملك لكم شيئاً " (لا يملكون شيئاً للمعارضين وهم أعضاء مجلس الأمة!!).

هكذا انتهت حركة فبراير ٦٨ الصاخبة . . لكن أثرها لم ينته كما تمنت السلطة !!!! لقد أحدثت شرخاً فى جدار الخوف . . . وشرخاً أكبر فى شرعية النظام . . وكان على النظام أن يعالج الشرخين (لكن عبد الناصر قرر أن يضيع الفرصة وألا يعالج أياً من الشرخين وهذا خطأ عبد الناصر الفادح الذى كلفه عمره القادم).

كان ... وكأن الثورة لم تقم :

لكننا قبل أن نتابع معاً كيفية معالجة سلطة **عبد الناصر** لآثار الحركة.. لابد أن نتوقف قليلاً عند الكيفية التى عولجت بها آثار حركة ١٩٤٦م (حركة العمال والطلبة أيضاً) فى ظل الاحتلال ووجود الملكية فى مصر.. لم ؟!.. سنرى فيما بعد!!

بعد أن فتح **النقراشى** كوبرى عباس ليوقف زحف المظاهرات الطلابية ولو بإلقاء الطلاب فى الماء طعاماً للسمك.. لم تتوقف المظاهرات ، فكان أن جاءت السراى بالرجل القوى إسماعيل صدقى (رئيس اتحاد الصناعات وقتها وعضو مجلس إدارة شركة القناة وصاحب الدور المنشق على الوفد وعلى دستور ١٩٢٣م والرجل الذى جاء بدستور ١٩٣١ هذا الدستور الذى قامت فى مواجهته انتفاضة ١٩٣٥، وإن كانت قد قامت فى عهد وزارة **نسيم باشا** . . إلا أن الهتافات كانت تسب **صدقى** و"**هور ابن التور**" **وهو السيد صموئيل هور وزير خارجية بريطانيا** الذى رفض عودة دستور ١٩٢٣م ، كما رفض بقاء دستور ١٩٣١أيضاً بحجة أن

= ومديرى الجامعات ووزير الداخلية ووزير التعليم العالى أليست هذه هى الديمقراطية، لقد كنا طلبة قبل الثورة وفُتح علينا كوبرى عباس فهل هذه الديمقراطية التى يريدونها"، وكان أن قدم للطلاب درساً محترماً فى أهمية تفويض السلطة الثورية لتسيير المجتمع.

الشعب لا يريده !! وهكذا قضى على الدستورين معاً فكان أن تصدى الشعب لمؤامرته بانتفاضة ١٩٣٥ الشهيرة التى دفعت بريطانيا ثمنها فى معاهدة ١٩٣٦م) . . ولقد اعتبر الشعب أن السراى تتحداه بمجئ **صدقى**، فكان أن اشتعلت المقاومة وتعاظمت المظاهرات، ونما دور لجنة الطلبة والعمال الذى يقود حركة الجماهير الغاضبة ليس فى القاهرة وحدها ولكن فى أقاليم مصر.

خرج صدقى وقتها على الشعب ببيان قال فيه (واصفاً المظاهرات) : " إن المظاهرات السلمية التى قامت صباح اليوم ، قد تحولت بفعل الأيدى التى لم تعد خافية ، واندست عناصر من الدهماء فى صفوف الطلبة الأبرياء (.....) كل هذا حولها إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر ، إن المظاهرات السلمية البريئة كان عمادها عنصر الطلبة والمتعلمين . . . "

هذا ما قاله **صدقى** " عدو الشعب " عن مظاهرات الطلبة والعمال فى ١٩٤٦م فماذا قال **جمال عبد الناصر** (حبيب الشعب) عام ١٩٦٨م عن مظاهرات شبيهة . . قال **جمال عبد الناصر** فى خطابه التاريخى فى حلوان :

" احنا نعرف حتى فى الماضى يمكن العمال ضللوا بواسطة الرجعية، والطلبة أيضاً ضللوا بواسطة الرجعية . . أنا باقول إن العملية بدأت عملية تلقائية هنا فى حلوان، وبدأت عملية تلقائية فى الجامعة، لكن بعد كده العملية ماأصبحتش عملية تلقائية " أنا برضه با أقول لإخواننا الطلبة فى الجامعة : قبل ما تتقاد وراء أى شعار شوف مين اللى بيردد هذا الشعار ، ما كل واحد ليه أوضاع طبقية ، طبعاً فيه ناس اتاخدت أملاكهم ، وفيه ناس اتاخدت أراضيهم ، وفيه ناس اتأممت مصانعهم ، ودول أولادهم موجودين فى أوساطنا " . . ثم قال : "الرجعية اتحركت إزاى ؟! حاولوا استغلال مظاهرات الطلبة ورفعوا شعارات"

الآن . . ألا ترون مطابقة غريبة فى ما قاله عدو الشعب صدقى وحبيب الشعب **جمال عبد الناصر** !!

لقد ارتضى **عبد الناصر** وقتها أن يقف من المظاهرات موقفاً سلطوياً لا يرى

للجماهير (غير المغرضة) حقا فى انتقاده، وفى فرض ما يريدون، (رفض أن يكون معهم إلا بالكلام والخطب، وليس بالفعل) . . وكانت هذه غلطة عمره .

ولقد قادت سلطة **جمال عبد الناصر** حملتها فى مواجهة المظاهرات التلقائية الوطنية ، فى الحقيقة ، فى أربع محاور غير ثورية :

أولها : **رفض التفاهم** بحجة أن من يواجهون **عبد الناصر** فى الجامعة لا يمثلون الطلاب . . ولقد عزف **جمال عبد الناصر** هذه المعزوفة بنفسه فى نفس الخطاب (٣ مارس ١٩٦٨) حين أوضح أن العناصر التى أخرجت الحركة إلى الشارع كانت فحسب ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ شخص ، وليس كل الـ ١٤٠ – ١٥٠ ألف طالب فى جامعات البلد . . ولقد رأينا أيضاً فى **استعراضنا** كيف لعب المسئولون فى النظام وأنصاره (**لبيب شقير – د. طعيمة الجرف**) على نفس الوتر . . " إنتم لا تمثلون الطلاب "

ثانيها : **الترويع** : رأينا كيف بادرت الحكومة الناصرية بإلقاء القبض المسبق على من اعتبرتهم من المحرضين . . حدث هذا فى حلوان مع العمال فخرجت المظاهرات . وحدث هذا مع الطلاب الذين اتجهوا بمطالبهم إلى مجلس الأمة وإلى بيت عبد الناصر شخصياً . . وكانت النتيجة أيضاً أن خرجت المظاهرات . . واشتعلت. [ويدخل فى باب الترويع اعلان عزم وزارة الداخلية على تكوين. الأمن المركزى الذى سوف يستطيع مواجهة المظاهرات بعد أن فشلت بلوكات الأمن فى هذا الأمر ... وأن الأمن المركزى سيكون أكثر تدريباً، وأقوى تسليحاً، وأكثر فعالية].

ثالثها : **التشويه** : لم تدع السلطة الناصرية بمسئوليها وبعبد الناصر نفسه، وبكتابها فى الصحافة فرصة إلا وعمدت إلى تشويه الحركة . . مثلاً حاولوا تشويهها بأنها حركة رد فعل لأحكام الطيران وليست حركة مطالبة بالديموقراطية والتغيير وقد أشارت الأهرام فى تحقيق لها حول مظاهرات القاهرة إلى مظاهرة وقعت أمام مبنى الجريدة . . وإلى أن أربعة من الطلبة (تصوروا أربعة !!) . .

دخلوا المبنى وعبروا عن مطالب المتظاهرين كالتالى :

" إن شباب الجامعات يسجلون اعتراضهم على الأحكام الصادرة فى قضية الطيران وهم إذ يجددون العهد والبيعة للمناضل جمال عبد الناصر ليتوجهوا له باسم الشعب الجامعى أن ينظر فى هذه الأحكام تلبية لرغبة الجماهير الشعبية" . . وكتب هيكل الذى كان وما يزال يغضب عندما يهاجمه الطلبة أو من كانوا طلبة!!)، مقالاً مطولاً تحت عنوان (وخل بالك من العنوان) : " عن الأحكام والمظاهرات ، وإعادة المحاكمة " متى .. فى أول مارس " لأن عبد الناصر سيخطب يوم ٣ مارس وسيردد نفس النغمة (وكان هيكل يزعل عندما نهاجمه !!) وفى ٣ مارس قال جمال عبد الناصر : إن الطلبة كانوا يريدون منه أن يعدم قادة الطيران " وكأن الحركة لم تخرج إلا من أجل الدم !! .

ومن يعد إلى صحف تلك الفترة ومجلاتها . . سيجد خطة كاملة للتشويه تبدأ من أن عناصر رجعية وأعداء ثورة أندسوا فى المظاهرات وحركوها إلى كون الحركة " إساءة إلى النضال القومى فى وقت تتعرض فيه الأمة العربية لمؤامرة واسعة النطاق من قوى الاستعمار وإسرائيل " . . إلى أن " سلامة الجبهة الداخلية أمر حيوى لحماية الجبهة العسكرية ، ومن واجب كل فرد فى هذه الأمة الضرب على أيدى العناصر المغرضة " (هكذا قال السيد **شعراوى جمعة** الذى عينه جمال عبد الناصر أميناً للتنظيم الشعبى ووزيراً للداخلية فى نفس الآن !!!! ثم بعد هذا اتحفنا بمذكراته الثورية للغاية) إلى أن " قوة الانتاج وتدفقها هى الدعامة التى تعتمد عليها الجبهة الداخلية والقوات المسلحة ، وبالتالى أى تعطيل للإنتاج لا يفيد ولا شك أن تعطل الدراسة هو تعطيل للإنتاج " . . . إلى قول هيكل " مشاركة الشباب فى عملية التفاعل الديموقراطى ليست مجرد أمر مرغوب فيه ولكنها مطلب ضرورى ولسبب شرعى أساسى هو أنهم أصحاب الغد الذى نحاول أن نبنيه ولا تملك أى سلطة أن تعترض هذا الحق أو تعطله " . . . (لحد كده ، حلو قوى . . . ولكن وآه من لكن هذه) . . . والمظاهرات قد تعطى انطباعاً خاطئاً عن سلامة الجبهة الداخلية ولابد أن ندرك أن سلامة الجبهة الداخلية باطناً وظاهراً هى الأرض

الوحيدة للصمود . . (ألم أقل وآه من لكن هذه . . .) . . إلى قول جمال عبد الناصر أننا طالبنا بإلغاء نسبة العمال والفلاحين . . لأن طالباً ربما قالها وكان يقصد الإيقاع بيننا وبين العمل والفلاحين !!.

رابعاً : **الاحتواء** : إما احتواء الحركة ، وكان عبد الناصر مهيئاً نفسياً وتاريخياً لهذا الاحتواء .. نفسياً: ، إذ كان خلاف بين الثورة وشباب الثورة (على حد تعبيره) هو النهاية التراجيدية للبطل الأسطورى جمال عبد الناصر !!، وتاريخياً: لأن عبد الناصر كان قابضاً على الثوابت المصرية ، كما أوضحنا من قبل ، وإن رفض أن يقبض بيده الثورية على الديموقراطية ، أحد الثوابت التى خرجنا من أجلها.. ولقد اتخذ احتواء الحركة أشكالاً منها اتخاذ النظام شعارات الحركة (التى تناسوها وهم يهاجمونها ، ولم يركزوا إلا على المطلب السابع كما أوضحنا من قبل) شعارات له شخصياً فى بيان ٣٠ مارس الشهير . . الشعب يريد التغيير وأنا معه"، تكوين لجان المواطنين من أجل المعركة ، إعادة انتخاب الاتحاد الاشتراكى من القاعدة إلى القمة ، إدخال عدد من الطلاب غير المناوئين جداً إلى المؤتمر القومى العام ، تجنيد الطلاب فى التنظيم الطليعى بعد أن وجه عبد الناصر ضربته لمنظمة الشباب التى اعتبرها مسئولة عما حدث ، وهكذا فقد الشباب تنظيمه المستقل (لم يعرف عبد الناصر أنه كان يضرب ميتاً ، وأن الضرب فى منظمة ميتة حرام !!! ولم يعرف أيضاً أن الشباب شباب المنظمة لم يعد فى حاجة إلى أطره التنظيمية ، لأنه كان قد تجاوزها فعلياً) تصعيد عبد الحميد حسن تصعيداً مريباً فلم يكن أحد معجباً به إلا جمال عبد الناصر . . [يقول حلمى نهنوش ممثل جامعة عين شمس فى اجتماع الجامعات بعبد الناصر، فى مقابلة شخصية مع د. أحمد عبدالله مؤلف كتاب " الطلبة والسياسة فى مصر": إن عبد الحميد حسن هو الوحيد الذى استطاع الوصول إلى قلب عبد الناصر، وحدث بينهما تفاهم مشترك] ... ويقول وائل عثمان: [بينما كانت الجماهير الطلابية كلها تسطر صفحة مشرقة فى تاريخ مصر، والحركة بمختلف اتجاهات من شاركوا فيها، تعزف سيمفونية البطولة والشرف، كان موقف رئيس اتحاد الجامعة (يقصد عبد الحميد حسن)

نشازاً، يعزف بمفرده مقطوعة النفاق الأكبر (أسرار الحركة الطلابية ، وائل عثمان ص ٣٥).. ويقول مصدر صحفى كبير رفض أن أذكر اسمه أن كـــانت لســامى شرف طريقته فى تجنيد الناس للنظام وهى السعى إلى تغيير واقعهم الاقتصـــادى . .. بما لا يجعلهم قادرين على الاستغناء عن تعاملهم مع النظام فيما بعد ذلك .

والحقيقة أن خطة نظام جمال عبد الناصر هذه لم تفلح ، ذلك أن الشباب الذى خرج له (وكان يستثنيه فى فبراير ١٩٦٨ من الاتهامات) خرج عليه ولم يســتثنه فى نوفمبر ١٩٦٨.

وهكذا أخطأ عبد الناصر خطأ عمره . .فقد كان الشباب المصرى ، شـــباب الثورة هم عمر جمال عبد الناصر . . عمره الذى كان سيضاف إلى سنوات حياتــه حين يحاول الموت إيقافها . . كان الشباب سيكونون امتداده الطبيعى . . لكنه سعى إلى ضربهم . . فضُرب فيما بعد معهم . . إن السادات (غاوى الدراما) الذى أكـــد للطلاب قوله: "أنتم شجعتم بالمظاهرات عناصر كانت قد انتـــهت، كـــانت دخلــت الشقوق . . انهارده الضهر عربية كانت بتلف المدارس فى مصر الجديدة علشـــان يضربوا (يدعون للإضراب) واتمسكت العربية واللى فيها أولاد الاقطاعيين بتـــوع زمان "... السادات " غاوى الدراما " هذا استخدم الدراما التى لم يعـــترض عليـــها جمال عبد الناصر فى حينه فى ضرب الشباب . . . وفى ضرب عبد النــاصر "الله يرحمه" شخصياً بعد ذلك . .

ألم نقل أن **جمال عبد الناصر** أخطأ فى ١٩٦٨ خطأ عمره ؟؟

(٨)

عنـدمـا بكـى جـمـال عـبـدالناصـر !!!

تزامن التلاشى التدريجى لمظاهرات فبراير ١٩٦٨ من الشارع المصـــرى ، مع نمو حيرة شديدة ــ أخطبوطية الأذرع ــ داخلنا !.

كانت الحيرة – داخلنا – تكبر بنفس القدر الذى تتضاءل به المظـــاهرات ، وعندما وصلت المظاهرات إلى نقطة الصفر – وصلت حيرتنا – أو أحسسنا بـــها تصل – إلى ما لا نهاية . .

كانت حيرتنا تعبر عن نفسها بسؤالين . .

ماذا الآن ؟!! وماذا بعد ؟!

كانت الأغلبية منا يراهنون على أن **عبد الناصر** هـــو بطـــل التغيـــير القـــادم والضرورى، الآن وبعد المظاهرات وما حدث فيها ولها لابد أحسّوا بأنهم لا يمكـــن أن يكونوا – وأن يكون عبد الناصر – مثلما كانوا – وكان – قبل بداية المظاهرات.

لقد تعامل عبد الناصر معنا – وأغلبنا خرج له ولم يخرج عليه – بقسوة شديدة.

صحيح أنها كانت قسوة محسوبة. لكنـــها وهـــى محســـوبة كـــانت شـــديدة وصارمة . . ومحيرة!! . . لقد حسب جمال عبد الناصر قســـوته فـــى مواجـــهتنا بميزان شديد الحساسية . . وإذا كان " **هيكل** " قد كتب أن عبـــد النـــاصر، اهـــتز لمظاهرات الطلبة كما لم يهتز لشيء من قبل . . وأنه بكى . . لأن الثورة بدت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ــ ، وقد اختلفت مع شبابها . . اختلفت مع مســـتقبلها، إذ كـــان **هيكل** قد كتب ذلك فإن معناه . . أن عبد الناصر انفعل نفسياً بلا حـــدود، وانفعـــل

سلطوياً بعدها بحسابات شديدة التعقيد !! .

انفعال .. وليس تفاعلاً ديمقراطياً!.

وانفعال عبد الناصر نفسياً بلا حـــدود، وتفاعلـــه الســلطوى (أفضـــل مـــن الانفعال!) بحسابات شديدة التعقيد ظل هو الأسلوب الذى لم يعرف عبـــد النـــاصر غيره طلية حياته وهو أسلوب رافض تماما للديمقراطية، وما كان رفضـــه لـــها إلا لطبيعته العسكرية التى لم تتبدل، فإذا كان قد استبدل ملابسه العســـكرية بملابـــس مدنية، فى أعقاب مؤتمر باندويج الشهير عام ١٩٥٥، وذلك بعد أن أبدى نـــهرو ــ الزعيم المفكر فى حركة الحياد الإيجابى ــ لعبد النـــاصر تخوفـــه مـــن الـــروح العسكرية فى إدارة الأوطان .. وقال لجمال عبد الناصر إن غـــاندى صـــام حتـــى الموت، ليؤكد للهنود أن الموت أفضل من وصول العسكريين إلى كراسى الحكم فى الهند كان أن غيّر عبد الناصر نبرته (بذلته) العسكرية، ولم يعد لارتدائها أبداً فيمـــا بعد، لكنه عجز عن تغيير روحه، فالعسكريون ــ ولعل عبد الناصر أفضلهم علـــى الإطلاق (إذا ماغضضنا الطرف عن سوار الذهبى العظيـــم فـــى الســـودان) ــ إذا ماغيروا ملابسهم يفشلون فى تغيير جلودهم "الكاكى" روحهم "الكاكى"، (وجلودهـــم وأرواحهم لا تقبل من الآخرين إلا الولاء الشخصى، والطاعة العمياء) وهـــم حينمـــا يتجملون بالديمقراطية فانهم يكذبون، أو على الأقل يقولون كلاماً من وراء قلوبـــهم، ولعل لرفضهم للديمقراطية " الحقيقية" سبباً لا يمكن إغفاله، فالعسكريون المخلصون رأوا حجم الإنجاز الهائل والسريع الذى توفره الروح العسكرية بـــالأوامر الفوقيـــة التى لا راد لها..، وهم ــ المخلصون منهم ــ عندما يرون عيوب الروح العسكرية" فى تسيير المجتمعات، يحاولون دائماً أن ينسبوا تلك العيوب لأمور أخـــرى غـــير السبب الحقيقى، (عبد الناصر كان ينسب كل عيـــوب نظامـــه لنشـــاطات الثـــورة المضادة، والرجعية المكلومـــــة المتنمـــرة المتـــآمرة). أمـــا أســـوأ العســـكريين، فكراهيتهمللديمقراطية تبقى أسيرة ذلك المجال الضيق فى نفوسهم الاضيق فى آفـــاق تفكيرهم الذى لم يعتدها ولم يحفل بها فى يوم من الأيـــام . ولـــم يحترمـــها علـــى

الأطلاق !!!

حديث صحفى يفضح ديمقراطية جمال عبد الناصر:

ولعله من المثير للانتباه.. ذلك الحديث الصحفى الذى أدلى به جمال عبد الناصر فى مقابلة مع رئيس تحرير جريدة هندية (خل بالك من "هندية" هذه) فى مارس ١٩٥٧، وقد قال فيه " كان يفترض وجود نظام ديمقراطى فى مصر فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٣، (خل بالك من التواريخ ومن مغزاها) ولكن ما الذى قدمته هذه الديمقراطية لشعبنا؟ (...) كان ملاك الأراضى والباشوات يحكمون شعبنا، لقد استخدموا هذا النمط الديمقراطى كأداة سهلة لتحقيق مصالح نظامهم الاقطاعى، لقد رأيت الاقطاعيين يجمعون الفلاحين ويسوقونهم إلى غرف الاقتراع، حيث كان الفلاحون يدلون بأصواتهم طبقاً لتعليمات سادتهم، أننى أبغى تحرير الفلاحين والعمال سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الاقتصادية، بحيث يمتلكون القدرة على أن يقولوا " نعم" "ولا" دون أن يؤثر ذلك على سبل رزقهم وقوتهم اليومى، وهذا من وجهة نظرى هو أساس الحرية والديموقراطية" (صـ ٣٧ ـ ٣٨ من " الديمقراطية فى الشرق الأوسط، تحرير د. أحمد عبد الله ـ مركز الجيل ١٩٩٥ القاهرة) ، كان عبد الناصر قد أدلى بحديثه هذا بعد أن ضرب طبقة ملاك الأراضى اقتصادياً بقانون الاصلاح الزراعى، وسياسياً بحرمان أعضائها من العمل السياسى!! فكيف يخشى استغلالهم للديمقراطية، ولقد جاء الميثاق الوطنى ١٩٦٢ ليؤكد ما قاله عبد الناصر للصحافة الهندية ١٩٥٧، فرفع شعار "إن حرية رغيف الخبز هى الضمان الأكيد لحرية تذكرة الانتخاب"، وعاش عبد الناصر ومات ولم يثبت أن أحداً فى عصره استطاع أن يقول " لا" و" نعم" دون أن يخشى على رزقه، إن حديث جمال عبد الناصر " هذا" إن لم يعكس كفره بالديمقراطية، فإنه على الأقل يعكس كراهيته لها الى حد التأجيل المستمر..

لقطة لابد من التمعن فيها!:

فى مذكراته (٢٣ يوليو وعبد الناصر، شهادتى، مركز الأهرام للترجمة

والنشر ١٩٩٠) يرسم لنا الاستاذ عصام حسونة (كان وزيراً للعدل عام ١٩٦٨) ملامح لقطة فى غاية الاهمية، وكانت اللقطة فى اجتماع مجلس الوزراء جلسة ١٩٦٨/٢/٢٥، وهى الجلسة التالية للمظاهرات.

يقول الأستاذ عصام حسونة (ص ١٨٢ وما بعدها)

انعقد مجلس الوزراء يوم الأحد الموافق ١٩٦٨/٢/٢٥، وهو موعد الانعقاد الاسبوعى، برئاسة جمال عبد الناصر (لعلك تذكر أن عبد الناصر جمع بعد النكسة بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة) وكان جدول أعماله ـ المعلن من قبل ـ هو مناقشة تقرير لجنة للحظة عن المواصلات. بيد أن الأحداث الجديدة فى الأحكام للصادرة ضد الفريق صدقى محمود، وبعض قادة الطيران، وما اعقب ذلك من تفجر مظاهرات الطلبة فى القاهرة، كان هو الموضوع الرئيسى الذى شغل المجلس.

فى أول الجلسة دعا الرئيس وزير الحربية إلى الكلام

الفريق فوزى: ثبت الإهمال ضد قادة الطيران، حكم المحكمة سليم، وأبعد عقدة الذنب عن سلاح الطيران، وقع الحكم طيب فى القوات المسلحة، ولهذا صدقت على الحكم.

الرئيس: نأخذ رأى المجلس

د. لبيب شقير: (وكان وزير التعليم العالى كما تعلم) عقد تحركت مظاهرات الطلبة عقب صدور الحكم. الذين حركوها عناصر يمنية رجعية (أعداء الثورة يعنى)، تتبعنا زعماءهم وجدناهم من الجمعية الشرعية ومن الاخوان المسلمين (ياعينى عليهم، البسهم الجريمة بمنتهى البساطة). موقف الشرطة موقف سليم (الضرب بالرصاص فى المليان)، رأيى إعادة محاكمة صدقى محمود أمام محكمة ثورة أو محكمة شعبية (المحكمة العسكرية لا تكفى) لأن العقوبة الصادرة ضده لا تكفى.

د. النبوى المهندس: (وكان وزير الصحة) يجب تعليــق صدقــى محمــود وزملائه على المشنقة فى ميدان عام، الطلبة المصابون فى المظاهرات اعربوا لــى عن ولائهم للرئيس وقد حملونى رساله .. إنهم يقبلون يد الرئيس (!!!)، وقد زرتهم فى المستشفى مع الأخ سامى شرف.

ويقول السيد عصام حسونة إنه تكلم فى الجلسة (وأنا ألخص هنا من كلامه)، عن استحالة الاعتراض على الحكم (قانونياً) واستحالة إعادة المحاكمة، ثم قال "على أية حال أننى أرى أمد يركز المجلس مناقشته على مظاهرات الطلبة التى اعقبــت صدور حكم الطيران، وأن نستخرج منها كساسة، لا كسلطة أمن (خل بــالك مــن هذه) الدلالات السياسية الصحيحة"، وإنه طلب أن يوضح شعراوى جمعة "حوافزهـا .. اتجاهاتها .. مؤشراتها" (وكان يقصد المظاهرات)، وأن يلقى السيد الأمين العــام للاتحاد الاشتراكى". كل الأضواء الممكنة على هذه المظاهرات"، وقال إن "هذه أول مظاهرات يمكن أن تسمى "انتفاضة" سواء من حيــــث "النــوع" أو "الأهــداف" أو "الشعارات" وقد أورد من تقرير النيابة العامة عن هذه المظاهرات هتافات تــرددت فى المظاهرات كانت كالتالى." تسقط دولة المخابرات (أى علاقة لذلــك بــالطيران وقضيته؟!) تسقط دولة العسكريين (هل هناك علاقة؟)، تسقط صحافة هيكل الكاذبــة (هل هناك علاقة؟)، لا حياة مع الإرهاب (السلطوى)، ولا علم بدون حرية، بإجمال للعشب هوّه هوه (أظنها كانت "أهوّه") اضرب الخونة بقوة (ألم نقل أن كان الجيل لم يتخلص من استثنائه جمال عبد الناصر من فساد، وتجبر، وإرهاب حاشيته حتى تلك اللحظة؟)، ياسادات ياسادات، فين قانون الحريات (لقد بَعُد الشأو ولم نــــر علاقــة للشعارات بأحكام الطيران)، ياشعراوى يا جبان راحو فين عمال حلوان.

تحليل لتقرير النيابة العامة :

وقال السيد عصام حسونة "اسمحوا لى أن ألخص أمامكم أهم ما جـــاء بــه (تقرير النيابة العامة):

أولاً: إن المظاهرات بدأت فى حلوان تحت إشراف الاتحاد الاشتراكى (تذكر

الآن ما جاء فى مذكرات أحمد شرف عما حدث له مع منظمة الشباب، فوق تجد تطابقاً مذهلاً .. يغيظ!!) فالذى يؤخذ من مجموع أقوال عبد اللطيف مليجى بلطية (زعم عمالى وعضو بارز فى الاتحاد الاشتراكى العربى) وآخرين من مسئولى الاتحاد الاشتراكى (..) "بأنه عقب إجتماع السيد عبد اللطيف بلطية مع السيد عبد المجيد فريد (كان أمين العاصمة) فى مساء يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ بمناسبة ما كان قد وصل العم به من إحتجاجاً منهم على الأحكام الصادرة فى قضايا الطران (لحظة التفجر.. هل تذكر تحليليا) فقد كلفت قيادات قيادات الاتحاد الاشتراكى (الكلام لبلطية) بالحضور إلى مقر المكتب التنفيذه فى الصباح لمنع خروج المظاهرة (قال بعصبة العباقرة (!!) المعارضين لكل ما جاء به جمال عبد الناصر، وما فعله إن الاتحاد الاشتراكى هو الذى أخرج كل المظاهرات فى عصره!!) أو مواجهة التعبير الجماهيرى بأسلوب سياسى ديمقراطى (إذا كنت مندهشاً من الكلمة انتظر إلى أن تقرأ الباب المعنون "تنظيم عبد الناصر الطبيعى" أو تنظيم حركة الجماهير (حسب أقوال السيد محمد وهدان) ولكن رجال الاتحاد الاشتراكى فشلوا فى السيطرة على المتظاهرين (كانت دوما مهما مهم مستحيلة، تتلخص فى أن يكونوا مع الجماهير وضدهم فى نفس الآن لهذا لم نرهم إلا يفشلون!) وتصدى رجال الشرطة لهم واطلقوا النار عليهم فأصيب ٩ أشخاص من أعيدة نارية، من بينهم أربعة كانوا ماربين بالصدفة (راجع دفاع محمد حسنين هيكل عن جمال عبد الناصر فى الباب قبل الأخير، والذى قال فيه إنه لم يكن هناك إطلاق رصاص على الأطلاق !!!!)

ويقول من تقرير النيابة العامة

ثانياً: إن المظاهرات ما لبثت أن انتشرت فى دائرة عدد من أقسام القاهرة والجيزة والأسكندرية وفى كلية الهندسة بجامعة القاهرة بالذات (ألم نقل أن كان للهندسة موقف تحسد عليه، ويحسد عليه أبناؤها).

ثالثا: إن الشرطة قد أطلقت الأعيرة النارية بعض المظاهرات وقد سقط اثنان من القتلى (مرة أخرى راجع دفاع الأستاذ هيكل!!) كما أصيب ـ من غير الأعيرة

النارية ــ من رجال الشرطة ٢٢ ضابطاً، ٦٥ شرطياً ، ٤٠ من الطلبة والأهالى، كما حدثت تلفيات فى سيارات الشرطة وغيرها من الممتلكات الحكومية والأهلية.

رابعاً: (وهذه نهريها للسادة المحللين حسنة النية وسيئيها، قبل أن نوجه لهم الضربة القاضية) إن هتافات المتظاهرين وطلباتهم قد تجاوزت حدود قضية الطيران، وتناولت النظام ذاته (وأورد مطالب الطلاب التى ذكرناها من قبل).

ويشهد شاهد من أهلها:

وقال السيد عصام حسونة فى اجتماع مجلس الوزراء المذكور "لقد قضت على هزيمة يونيو ثمانية أشهر، فهل ينبغى أن نعاود مناقشتنا ــ كمجلس وزراء ــ فى اسباب الهزيمة والتزامات النظام فى تصحيح ما حدث؟ (الدعوة الشعبية العارمة بضرورة التغيير) أن نتحدث مرة أخرى عن أسلوب الحكم (هذا هو الأساس) ... عن نظام الحكم (وهذا هو مربط الفرس).

لقد قلنا من قبل إن نظامنا اشتراكى (ناصرى) ديمقراطى (!!)، يقوم على سيادة الشعب، وقيادة جماعية منتخبة، وسيادة القانون (!!)، وقلنا إن الانحرافات التى شابتة عندما ناقشنا أسباب النكسة .. هى انعدام القيادة الجماعية، الافتئات على سيادة القانون، الهوة الشديدة بين الشعار والسلوك .. ضعف النقاء فى بعض القادة.

إن الشعب بعد ثمانية أشهر من الهزيمة، لا يزال يطرح هذه الأسئلة .. هذه المرة بصوت أعلى (...) لابد من تغيير جذرى (...).

شئ واحد يشغل جمال عبد الناصر:

بعد هذه الشهادة المطولة من وزير العدل "الاستاذ عصام حسونة" (والتى اختصرتها) لم يشغل جمال عبد الناصر إلا شئ واحد:

الرئيس: نعود إلى قضية الطيران ــ لقد اطلعت على أقوال الشهود .. الغريب أن قائد القوات الجوية الجديد مدكور أبو الغر شهد لصالحه (للتاريخ يحتسب هذا الموقف الرجولى للرجل الشريف مدكور أبو العز، فقد ترك القوات

المسلحة والطكيران قبل النكسة لخلافات حادة عميقة مع صدقى محمود، وهاهو ذا يشهد لصالحه، ولصالح الحقيقة عندما جاءته الفرصة للانتقام .. إن فى مصبر رجال).

الفريق فوزى: يبدو لى أن الحكم كان سيئ الوقع على القوات المسلحة (لم يكن ذلك كلامه فى أول الجلسة ... كان العكس تماما!!!) إننى أرى تحوير الحكم والغاءه وإعادة المحاكمة.

الآن وقد كان وصف الأستاذ عصام حسونة لجلسة مجلس الوزراء التاريخية تلك، برئاسة جمال عبد الناصر ـ أن ينتهى (فلم تبق إلا قنبلة واحدة، لابد ستنفجر فى قناعات المحللين حسنى النية وسيئها) .. يستطيع القارئ بنفسه أن يحكم على وزير التعليم العالى، د. لبيب شقير (هنا، وأيضا فى استئساك المكشوف على الطلبة، عندما قابل لجنتهم المكونة من اثنى عشر طالبا والتى وعدوها بمقابلة جمال عبد الناصر) ويستطيع أن يحكم على الفريق (أول) محمد فوزى، ووزير الصحى د. النبوى المهندس، ويستطيع إذا عاد للأصل إلى اختصرته أن يحكم على وزير الداخلية شعراوى جمعة ووزير الثقافة ثروت عكاشة، وعلى مجلس الوزراء بالكامل.

لكن شيئاً وحيداً أريد أن أشارك القارئ حكمه عليه. هو إصرار جمال عبد الناصر على أن الأمر لم تبعد كونه اعتراض عمالى طلابى شعبى على أحكام قضية الطيران، حتى بعد أن تلا أمامه وزير العدل المطالب الطلابية كاملة (هذا الاصرار أصبح إصرار الأستاذ هيكل أيضا وحتى إعلام آخر)، لقد كان إصرار جمال عبد الناصر هذا دليلا إن لم يكن على قبوله مبدأ "التغيير"، فهو دليل أكيد على أن تكون دعوى التغيير مبادرة جماهيرية (تعود عبد الناصر على تكون المبادرة دائما فى يده حتى وهو يعمل لمصلحة الجماهير، ولم يقبل أبداً أن تحته الجماهير على تحقيق مصالحها ..) وأقول "دليل أكيد" لأن بيان (٣٠ مارس) الذى حللناه فى جاب لاحق، هو اثباتى لهذا الدليل الأكيد، لكن جمال عبد الناصر ـ الذى لم يتغير ـ لم يكن

يعرف بأن قنبلة شديدة الانفجار فى طريقها إليه فى تلك الساعة ـ التى أراد ألا ينشغل فيها عن اتخاذ قرار بإعادة محاكمة قادة الطيران (وهو ماحدث بالفعل)، ظاناً أن هذا التراجع سيجعل اعتراض الطلاب على نظام حكمه، كأن لم يكن.

ضربة قاضية لآراء السادة المحلين حسنى النية .. وسيئيها:

يقول الاستاذ عصام حسونة، إنه خلال إصرار عبد الناصر على حصر الكلام فى موضوع إعادة الحاكمة "اقترب السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام مجلس الوزراء وقدم له المنشور الصادر من طلبة كلية هندسة القاهرة والمتضمن لطلباتهم (وثيقة طلاب الجامعات فبراير ١٩٦٨) وقد كان خالد عبد الناصر ابن الرئيس موجوداً بينهم".

قرأ الرئيس الوثيقة ثم قال:

الرئيس: يبدو أن حكم صدقى محمود ليس له أولوية لدى الطلبة (خل بالك من معنى كل كلمة) إنهم يطلبون حل الاتحاد الاشتراكى، وإطلاق الحريات، وإعادة تحقيق المسئولية عن النكسة ... أظن هذا يكفينا الليلة ..

ويقرر الاستاذ عصام حسونة أن (نهض الرئيس مبتئساً بعد أن فض الاجتماع).

أليست هذه بحق ضربة قاضية لآراء ساجة المحللين حسنى النية وسيئيها، هاهو ذا جمال عبد الناصر يقترف بنفسه فى جلسة مجلس الوزراء وما زالت بعد المظاهرات صاحبة فى الشارع المصرى، بأن الأمر لم يكن مجرد اعتراض على أحكام الطيران بل، أن الأمر كان ما هو أكبر، دعوة للتغيير، وللديمقراطية، وضمانا لألا يتكرر كابوس النكسة.

ولنعد لما كنا فيه.

أراد عبد الناصر، وأحد على رفض التفاهم مع القضية الشبابية، إلا بأسلوب قائد الوحدة العسكرية (مصر) الذى يحب جنوده (شعبها) ولايحب اعتراضهم على

تصرفاته (أى لا يحب الديمقراطية)، فى الوقت الذى انهمرت دموعه فيه لأن عفريت اختلاف ثورته مع مستقبلها (الشباب) خرج من القمقم ولن يعود إليه إلا بتنازلات لابد رأى جمال عبد الناصر أن من الصعوبة، بل من الاستحالة، أن يقدم عليها ... (حتى وإن كانت لمصلحة ثورته العظيمة (الجاحدون وحدهم ينكرون هذا الأمر) ولمصلحة الشعب الذى أحبه كثيرا وبذل عمرة واستشهد من أجله (أيضا الجاحدون وحدهم ينكرون هذه الحقيقة). .

أراد جمال عبد الناصر أن يروعنا إلى حد يخيف آباءنا . . ولا يسوغ لهم أو يحركهم للثورة ضده . . فاتخذ ونظامه سمت الحكماء .. الذين يستطيعون ممارسة عنف أشد ضدنا . . لكنهم برغم هذا لا يفعلون!، ذلك أنهم يواجهون فلذات أكباد . . (راحوا أو جاءوا شوية عيال)، تم التغرير بهم !

ولقد كان آباؤنا وقتها مستعدين لفهم رسالة **عبد الناصر** . . ذلك أنهم اعتادوا أن يروا من **جمال عبد الناصر** قبل النكسة منتهى الشراسة فى مواجهة معارضيه من الشيوعيين والأخوان وعملاء الرجعية المصرية والعربية (اعتاد **عبد الناصر** ألا يخرج معارضيه من دائرة التوصيفات الثلاثة هذه !!) .

كان آباؤنا يعلمون أننا لا نندرج تحت واحدة من هذه التوصيفات . . لكنهم ـ أباءنا ـ كانوا يعرفون النكتة التى سرت فى عصر عبد الناصر سريان النار فى الهشيم.. (ومن الضحك ماله مرارة البكاء!) تلك النكتة التى تحكى عن أن قرداتياً كان يلاعب قرده فى مقهى .. وفجأة هاجمت المباحث العامة المقهى للقبض على الشيوعيين .. (قيلت النكتة ايضاً فى الاخوان المسلمين)، وما أن دخل رجال المباحث المقهى، حتى سارع القرد بالاختباء، وبعد أن قبضت المباحث العامة على من جاءت من أجلهم إتجه القرداتى إلى قرده متسائلاً : طب المباحث عايزين الشيوعيين، أنت بسلامتك استخبيت ليه؟"، فرد القرد ـ مرتعداً ـ :

ياعم حد ضامن .. حلّنى على ما أقدر أثبت إنى قرد ؟؟. والحقيقة أن آباءنا

اضطربوا ، واضطربنا نحن باضطرابهم ، كانوا موافقين على ما نقوله ، وكـــانوا خائفين علينا . . وخائفين من أن يعلنوا أنهم كانوا يرون ضرورة أن يحدث تغيـــير فى ممارسات السلطة وفى إدارة البلاد (الأمر الذى طالبنا به فى مظاهراتنا)..

لكنهم كانوا أيضاً غير متأكدين من أن ــ فى تلك الأيام ــ الوقت المناســـب لهذا التغيير ، وغير متأكدين كذلك من أن الوقت غير مناسب . . فلو لـــم يحـــدث تغيير ، فأى مصير ينتظر البلد ؟!! (إن من بدأ المأساة ،لا يستطيع إنهاءها إلا فـــى قصائد نزار القبانى العاطفية !)

الالوان الطبيعية تشاركنا الهمّ .. والتساؤل :

ولقد غدت القاهرة ــ التى كانت مظلمة فى الليالى بفعل تقييد الإضاءة فـــى زمن الحرب ــ وقد انسحبت منها المظاهرات، مظلمة أيضاً فى النهارات (بشـــكل واقعى لا مجاز فيه)، لها رائحة الشياطة، وأسفلت شوارعها الذى كنا نراه رماديـــاً داكناً ، ها نحن ــ فى تلك الأيام ــ نراه شديد السواد . . أما الأسوار حول مبانيها فقد صارت أعلى!! . .

ماذا الآن ؟ وماذا بعد ؟!!

ما الذى استطعنا تحقيقه ؟!!

وماذا يجب أن نفعل بعد ذلك وقد خرج جمال عبد الناصر من حساباتنا؟.

كنا نرى القاهرة والأشياء والمستقبل (ونشمهم أيضاً) بعيون الحيرة . .

وكنا قد أصبحنا مطاردين بخوفنا من الغد . . وبخوف آباءنا علينا وترقبـــهم الحذر لما سيأتى به الأيام القادمة.

أذكر أننى كنت أقضى وقتى كله ــ فى تلك الأيام ــ خارج البيت ، فقد كنت

أخشى من مواجهة أبى . . لكنى فوجئت بأبى . . (أبى الـــذى كنـــت وأنـــا فـــى المظاهرات أهتف بسقوط جمال عبد الناصر غير هايب من سطوته (أقصد ســـطوة جمال عبد الناصر) ومن الاعتقال، ومن مصيبة سوداء لم أكن أعـــرف حدودهـــا . .أخفى وجهى حين أصبح فى مرمى بصره (أبى) إذا ما حدث وأطل مـــن شـــرفة مكتبه فى شقتنا على المظاهرات فى شارع القصر العينى، خوفاً مـــن أن يرانـــى) فوجئت بأبى يتعمد الكلام عن المظاهرات وكان آخرين يقومون بها – واصفـــاً إياها بأنها مظاهرات عظيمة !! وأنها لابد أن تستمر لكى تثمر نتائج جيدة !!.

فى المرة الأولى التى قال فيها أبى هذا الكلام . . كدت أقوم وأحتضنـــه . . لكنى وقتها خفت أن يكون احتضانى له بمثابة اعتراف صريح منى بأننى أشـــارك فى المظاهرات، لقد فهمت لحظتها أن أبى يعرف أننى أشارك ويوافق . . لكنـــه لا يريد أن يعلن أنه يعرف أو أنه يوافق . . فهمت أن أبى يريد أن يترك القرار لـــى، مع أن النتائج سوف نتحملها نحن الاثنين . .

لم أقم لأحتضنه وقد خلصنى من ازدواجية كانت تؤرقنـــى بالإضافـــة إلـــى حيرتنا الكبيرة ، يومها صممت على أن أنفذ مشيئة أبى . . وأن أتكلم أنـــا الآخـــر وكأن الآخرين يقومون بها . . وهكذا غدونا نتفاهم ونتناقش بحيادية مصطنعة أجدنا حبك خيوطها الأمر الذى لم يمارسه أبى الجازم القاطع معى قبلها ولا بعدها أبداً).

وأذكر – كذلك – أن أبى قال بينما كنت أحمل القهوة إليه فى مكتبه صبـــاح يوم جمعة تالٍ للمظاهرات ، وكان ساعتها يقرأ مقال الأستاذ **محمد حسنين هيكـــل**، عن الأحكام والمظاهرات وإعادة المحاكمة (١٩٦٨/٣/١).

- الطلبة موش لازم يخافوا من الكلام ده (كان يقصد التهديدات الخفية التى امتلأت بها مقاله الأستاذ هيكل الذى صور نفسه ـــ بعدهـــا ويرغمـــها كان يحلو للأستاذ هيكل أن يصور نفسه وكأنه كان مدافعاً عنا ..) الطلبة موش لازم تخاف وإلا زمايلهم المقبوض عليهم ممكن يضيعوا . .

ساعتها رددت فى براءة :

– حاضر يا بابا .

وضحك أبى . . لكنه سرعان ما عاد إلى تجهمه وقال :

– إيه حاضر دى ؟! انت إيه علاقتك بالمظاهرات دى؟.

أصابنى ارتباك شديد . . لقد خرجت على اتفاقنا الضمنى !!

ـــ قصدى فعلاً . . مش لازم يخافوا .

و قال أبى فى حزم حنون ؟

– خلى رأيك ده لبعدين . . لما تقرأ المقالة الأول.

كان أبى يقرأ الجرنال أولنا . . ثم بعد ذلك نتخاطفه نحن ، يومها خطفت الجرنال ورحت ألتهم المقالة . . وفهمت ـــ برغم محاولات الاستاذ هيكل لا يصالنا إلى عكس هذا الفهم ـــ أن تركيز هيكل على أن صورة الجبهة الداخلية يجب ألا تهتز فى مواجهة عدو صار قريباً منا على الشاطئ الشرقى لقناة السويس (والتى كان يطالبنا من أجلها بالهدوء)، يجب ألا تخيفنا من التحرك لإنقاذ زملائنا، تحركاً صاجناً إذا لزم الأمر وإلا لن يجرؤ آخرون على الاعتراض، بعد ذلك أبداً .

وأذكر أيضاً أن كان العيد الكبير (عيد الأضحى المبارك) على الأبواب وقتها ، وكانت أيام الأعياد فى ذلك الوقت هى أجمل أيام السنة بالفعل (تلك التى لم يعد لها طعم الآن !) كنا ، أولاد الخالات والأخوال ، نذهب جميعاً لنقيم فى البيت الكبير، بيت جدى، بالحلمية الجديدة، نقضى الوقت فى ضحك ولعب وصخب جميل باختلاف أعمارنا (كان الاختلاف يمتد لأكثر من عشرين سنة بين الأصغر والأكبر) وهناك تذبح أضحيات العائلة جميعاً، ويفعل كل منا ما يريده، ويفعل الكبار أيضاً

لكل منا ما يريده . . كانت أيام حرية وسعادة، لكننى ــ وكنت أصغر واحد فى جيل الأقارب هذا ــ، فوجئت بأن الجميع فى بيت جدى، قد بيتوا النية على أن يتخذو العيد فى هذه السنة فرصة لكى يعيدوا عقلى إلى رأسى . . كنت قد ذهبت بإحساس غائر بالذنب . . زملائى فى السجن . . فهل يحق لى أن أفرح وسط أقاربى؟ ولما هجم الأقارب (تحت قيادة أمى ــ حبيبتى ــ التى آثرت أن تبدو صامته مادام الجميع يتكلمون بلسانها) على ليبينوا لى خطورة ما ارتكبه من جرم فى حق نفسى ومستقبلى والعائلة التى سيذهب أفرادها وراء الشمس، إذا ما أصررت على مشاركة الأولاد المنفلتين فى الجامعة فيما يفعلونه .. عندما هجم على أقاربى ــ أحبائى ــ بهذه الكلمات (العاقلة !!) فوجئت بنفسى منفعلاً لأول مرة فى مواجهة من هم أكبر منى سناً.

- زملائى أحسن الناس .. وأشرف الناس . . والبلد بلدنا . . ليست بلد **جمال عبد الناصر** . . ولن يفعل بها وفيها ما يشاء.

كانت الدموع تخنقنى، ووجدتنى أجرى ناحية الباب، منفلتاً إلى الشارع . . متخلصاً من إحساسى بالذنب . . (ها أنا ذا يا أصدقائى ــ مثلكم ــ لن استمتع بالعيد)

وقفت فى الشارع . . كدت أصيح وإحساس الندم على ما بدر منى فى مواجهة كبار يحبوننى ويخافون على، يحاول إفساد فرحتى، فرحتى المجنونة بأننى لن أفرح فى العيد وزملائى فى السجن !!

كدت أصيح فى الشارع:

- غضب اقاربى مقدور عليه .. سأسترضيهم فيما بعد لكننى يا زملائى الأعزاء . . لا أقبل أن أفرح وأنتم سجناء.

فجأة ، وجدت من يربت على كتفى . . كان ــ الذى ربت علىَّ بحنان ــ زوج ابنة خالتى وكان عقيداً فى القوات المسلحة (مدفعية) ، كان جميل الصورة

وجميل المخبر أيضاً . . (العقيد **عادل حافظ عبد المجيد**) ، ارتبكت فى مواجهة وجهه الملائكى ، شدنى من يدى فى حنان وفتح باب سيارته . . وقال : اركب.

ركبت . . قال لى أنه منع الجميع من أن يخرجوا ورائى بعد أن وعدهم بأنه سيعود بى إلى البيت الكبير . . وفاجأنى قائلاً وهو يدير موتور السيارة :

- إنت عايز تروّح . . مش كده ؟

- أيوه .

- لازم تروح .. إنت مش لازم تقعد وزمايلك فى السجن . . ما تقلقش من ناحية العيلة . . أنا ح تصرف .

كان يقرأ ما فى قلبى فى مهارة اكتسبها قلبه الكبير من ممارسات كثيرة قاسية . . قال :

ـ اللى انتوا عملتوه صح . . الفساد أكبر مما تتصوروا . . الفساد هو اللى هزمنا مش إسرائيل . . الجهل مش جيش الدفاع الإسرائيلي . . البلد لازم تتغير، علشان نقدر ننتصر .

امتلأت عينى لحظتها بصورة عادل ـ زوج ابنة خالتى ـ عائداً من الحرب، ممزق الملابس ، ممزق الجسد والروح . . تلك الصورة التى لم يتحملها حموه (زوج خالتى) فغادر بيت ابنته لا يرى ما أمامه لتصدمه عربة تحت منزل الابنة ، ويقضى شهوراً تحت العلاج ، وتذكرت صوته ـ أيضاً ـ يقول لى وقتها..

ـ كنا قد أقلتنا بالفرقة الرابعة (أقوى فرق الجيش المصرى آنذاك) وتمركزنا عند قناة السويس فى انتظار - وصول الإسرائيليين الذين اخترقوا الجيش المصرى . . كنا نستطيع أن نفعل شيئاً إذا ما وصلوا إلينا ونحن متمركزين فى

وضع ممتاز، لكن شمس بدران أصدر لنا أوامره بأن نتجه إلـى العريـش . . أن نعود إليها !!! كان يقول أى كلام . . بل كان يقول كلاماً بعيداً عن أى تعقل، بعيـداً عن العلوم العسكرية وفن القتال، وتحركنا بعد أن فشل قادتنا فى اقناعه بالعدول عن فكرته، فصمموا على تنفيذ أوامره عملاً بمبدأ الطاعة، لنقع فى مصيدة إسرائيلية . . تمكنت من تدميرنا بالنابالم ، بينما كنا نتحرك عرايا من أى غطاء جوى .. بل مـن أى غطاء أرضى أيضاً، وفقدنا قوتنا الضاربة التى كانت تستطيع أن تمنعـهم مـن السيطرة السهلة على شاطئ قناة السويس الشرقى على الأقل!!.

كانت دموعى فى عينى وأنا أتذكر وكانت دموعه فى عينيه الملائكيتين فـهل كان هو الآخر يتذكر ؟!!

أوصلنى عادل إلى بتنا.

فى البيت لم يسألنى أبى لماذا عدت . . لماذا تركت بيـت العائلـة . .ولـم يشاركنى فى الاستماع إلى خطبة **جمال عبد الناصر** فى حلـوان ١٩٦٨/١/١م . . تلك الخطبة التى أنهاها **جمال عبد الناصر** بقوله عن زملائنا المقبوض عليهم (بمـا معناه) أنه برغم كل شيء فسوف يعيّدون (يقضون العيد) وسط أهاليهم .

فرحت بالطبع للإفراج عن زملائنا . . لكن حيرتى لم تهدأ . . لقد تزايـدت فقد نزع عبد الناصر الفتيل الذى كان من الممكن يعيدنا إلى الحركـة الصاخبـة . المطالبة بالإفراج عن زملائنا المعتقلين . . واتخذ فى نفس الوقـت صـورة الأب الذى يعفو عن أبناء تطاولوا عليه . . فهل كان هذا هو ما سعيناه من أجلـه . . أو هل يمكن أن يصبح ذلك نهاية ما خرجنا فى متاهات الخوف والضياع لكى نحققه.

والذى لن يفهم حيرتنا فى هذا الوقت . . لن يفهم لماذا خرجت مظـاهرات نوفمبر ١٩٦٨م (التى ظلمت كثيراً حتى داخل الحركة الطلابية نفسها!) . بـهذه القسوة . . وبهذا العنف فى الإسكندرية ولن يفهم أيضاً لماذا لم يكـن لـها نفـس الصدى العنيف فى القاهرة .

لقد خرجنا فى فبراير نطالب بالتغيير وحدث تغيير بالفعل . . انكسرت حلقة الصمت الخانقة ، وتلقى الحكم العسكرى هزيمة علنية حين شكل عبد الناصر وزارة مدنية (هى الأولى فى تاريخ ثورته) من أساتذة الجامعات ، أيضاً، قطعت اليد الطولى للمباحث العامة، التى كانت تتصرف من قبل وكأنها المتحكمة فى رقاب خلق الله (أو لنكن أكثر صراحة ولنقل أنها كانت المتحكمة فى رقاب "العباد") إذ أنه بعد المظاهرات وما جاء فيها على لسان الغاضبين من هتافات تندد بنظام فاسد وحريات مفتقدة، وما جاء فى بيانات الطلاب أيضاً عن " دولة المباحث، بدأ التحقيق فى قضايا التعذيب ، ذلك التحقيق الذى أسقط هيبتها وسحب منها " شيكاً " قدم لها من قبل على بياض . . ثم كان أن تشكلت لجنة من مجلس الأمة لدراسة قانون الحريات العامة ، ولم يمض طويل وقت (شهر على نهاية المظاهرات) حتى أصبحت شعاراتنا هى شعارات المرحلة فى بيان ٣٠ مارس . . وعلى مستوى العمل الطلابى داخل الجامعة أصبح الحرس الجامعى مقيداً لا يتدخل فى النشاط السياسي ، ولا يراقب مجلات الحائط (الصحافة الحرة الوحيدة فى مصر وقتها، حسب تعبير وائل عثمان ــ الدقيق للغاية ــ فى كتابه أسرار الحركة الطلابية).

أكثر من هذا صدرت لائحة جديدة لاتحاد الطلاب بالجامعة نزعت عنه وصاية أعضاء هيئة التدريس الذين عمدوا فى كل الأوقات، إلى إخماد حماس الشباب، فإخماد الحماس كان. ولم يزل ــ هو الأمن المطلوب، الذى يكافأ عليه عضو هيئة لتدريس (إذا ما مارسه بذكاء)، أما المكافأة فكانت تتدرج من المزايا العينية الصغيرة، والتسهيلات الاقتصادية، والأمان الشخصى والتمتع بالسيارة. (السادية) على الزملاء، صاعدة ــ المكافأة ــ إلى كرسى الوزارة، وميراث الوزارةمن المكاسب التى يتلقاها الوزراء وتصبح من حقهم بعد ذلك وهم وزراء سابقون، تلك المكاسب التى يعرفها الوزراء ويجهلها الشعب، وصدرت صحيفة مركزية للطلاب يعبرون فيها عن آرائهم السياسية فى حرية، لم تكن الصحافة المفروضة علينا تتمتع بها.. (أقصد بالطبع الصحافة القومية المملوكة للنظام فعليا .. وللشعب بالاسم، بل زوراً وبهتاناً).

حدث تغيير (طالب اجراءاته، وأستمرت، ولم ينته إلى نتائج كبيرة) . . ولكن . . وسط هذا التغيير تنامت محاولات الاحتواء . . (أصبح للحركة قيادات متصلون مباشرة **بشعراوى جمعة** وزير الداخلية، وأمين التنظيم الشعبى فى نفس الآن !! واخرون يسيطر عليهم بسامى شرف، سكرتير الرئيس، والشخصية الكبرى فى التنظيم الطليعى، وكانت هذه القيادات الطلابية (فى نظر النظام وحده فلم نكن نرى فى معظمهم أية مزية أو أية صفة تؤهلانهم للقيادة إلا قدرة البعض منهم على خداع بعض الطلاب بعض الوقت) تسعى. أرادت أو لم ترد ـ إلى تهدئة غضبة الطلاب، وإشاعة وعود وتصورات تفوق كثيراً حجم ما أنجز . . أو ما يمكن إنجازه (فى نظر الطلاب) بواسطة سلطة لم تتغير التغير المطلوب ، (أو هى تمارس التغيير بأسلوبها هى .. أسلوب التأجيل المستمر بدعوى أن الفترة التاريخية دقيقة ولا تسمح)، وفى نفس الوقت الذى سعت فيه السلطات للاحتواء (احتواء الحركة عن طريق السيطرة على بعض قيادتها بكل ما تملك من قوة ومن مكر ومن ذهب المعز أيضاً الذى صار بزات وقمصان وربطات عنق فخمة لدى البعض. وسجائر أمريكية فى جيوب البزّات الفخمة !!

وسط محاولات الاحتواء هذه تسربت فى الصحافة ، وعلى لسان المسئولين نغمة لم تكن صريحة ، ولكنها كانت محسوسة ، تؤكد أن ما فات (مرة وعدت) ، وأن الويل والثبور وعظائم الأمور سوف ينتظرون من يحاول أن يعيد الكرة . . وحدث تضخيم أيضاً للشعار " لا صوت يعلو فوق صوت المعركة " ، بينما الجيش المصرى (الذى ظلمته حرب ١٩٦٧م أو ظلمته قيادتها) يبدأ فى تنفيذ معارك المدفعية التى كانت بداية مباشرة لحرب الاستنزاف العظيمة.

التغيير على طريقة السلطة ومحاولات الاحتواء والتهديدات الخفية (وتفتّق ذهن السيد شعراوى جمعة عن تكوين "الأمن المركزى" المدرب تدريباً جيداً على مواجهة الطلاب بدلاً من بلوكات الأمن التى لم تفلح فى مواجهتهم والتى زاد النشر عنها لإرهاب الطلاب بالإداة الجديدة التى أعدها وزير الداخلية وأمين التنظيم

السياسى العلنى والسرى!!)، وبداية حرب الاستنزاف . . كل ذلك أربكنا .. هل نكتفى بهذا القدر من التغيير حتى لا نشوش على المعركة؟، أم نستمر حتى نحصل على كل ما نريده.. ولنعترف الآن . . لنعترف بأننا وقتها ما كنا لنستطيع أن نتخذ قراراً . . ولعلى الآن أذكر تلك المقابلة التى كادت أن تضيع مستقبلى .

- **مقابلة مع رجل يستحق كل تقدير :**

الأسماء تفر من ذاكرتى !! لكن ماذكره جيداً أن حدث وجاءنى زميل أعتز به (ممن كانوا رفاق منظمة الشباب فى المدرسة الابراهيمية الثانوية وهو الآن الدكتور عبد الحميد الجزار الطبيب النابه فى أمريكا والذى تستعين به دولة الكويت على فترات) . . كنا قد أصبحنا – هو وأنا – طلبة فى كلية الطب جامعة القاهرة (حولت من طب المنصورة إلى طب القصر العينى منذ بداية العام الدراسى ٦٨-٦٩) ليخبرنى أن أحد أعضاء هيئة التدريس يريد أن يقابلنى فى كافيتريا "هيئة التدريس" فى الكلية . . كان الموعد غريباً.. ولما رأى زميلى وصديقى الحيرة فى وجهى، قال فى طيبة معهودة فيه ، وفى لهجة أشعرتنى أنه مضطر لسبب ما لإخبارى بالموعد :

– ضرورى تروح يا هشام فى الميعاد .

وذهبت . .

وجدت عضو هيئة التدريس (أظنه كان مدرساً فى ذلك الوقت) فى انتظارى، وبادرنى بإصراره على أن أطلب شيئاً طلبت " كابتشينو " وجلست متوجساً فى انتظار الكابتشينو (كنت اريده أن يأتى ليبدأ الرجل الكلام المهم الذى استدعانى من أجله)... جاء الكابتشينو.. ثم بدأ الدكتور ـ أستاذى ـ حديثه بالديباجة المعهودة (كنا قد تعودنا عليها فى منظمة الشباب) قال أن شباباً مثلى (فى ظنه) هم شباب الثورة ، وشباب **جمال عبد الناصر**.. ، وأن الثورة تمر

بانعطافة تاريخية (كل انعطافات الثورة كانت تاريخية !!) وأن على شباب **عبد الناصر** أن يبادروا بالوقوف وراء **عبد الناصر** .

قطعت استرساله سائلاً في سذاجة مصطنعة :

– ضد من ؟!.

– ضد أعداء الثورة .

– من هم أعداء الثورة ؟!

– معروفون .

قلت محاولاً بشدة أن أخفى ضيقى الشديد متكلماً فى "حيادية" تغيظ .

– أنا لا أعرفهم .

أحسست بالضيق يتسلل إلى وجه عضو هيئة التدريس الذى لا أذكر اسمه . قلت لكى أنهى المحاورة والمداورة :

– حضرتك تقصد معارضى **جمال عبد الناصر** ؟!!

الحقيقة كان الرجل شديد الذكاء فبادرنى بحدة حاول أن يخفيها :

– لا أقصد أعداء **جمال عبد الناصر** .

وتنهد فى ضيق ليسترسل .

– أقصد الرجعيين . . وأعداء **جمال عبد الناصر** فى النظام .

– والمطلوب ؟!

- أن نقف مع **جمال عبد الناصر** .

- أين ؟!

- فى التنظيم الطليعى .

- ولماذا لا يقف **جمال عبد الناصر** معنا ؟!!

- مع من !!

- مع أعداء الرجعية، وأعداء أعداء **جمال عبد الناصر** فى النظام . .

- هل تشك فى أن **جمال عبد الناصر** وتنظيمه الطليعى ضد هؤلاء ؟!

- الحكاية ليست أننى أشك أو لا أشك.. ولكن صرحاء... عبد الناصر لا يحتاج إلى تنظيم سرى ليقف ضد أعداء ثورته من الرجعيين، وبعض البيروقراطيين والانتهازيين فى نظامه، عبد الناصر يحتاج إلى أن يدعو علنياً لمحاربة أعداء ثورته بنوعيهما . . وساعتها سيكون معظم الشعب المصرى معه ضدهم ، مشكلة الشعب الآن أنه متأكد من أن **عبد الناصر** سلْطة . . تخفى أخطاءها . . لقد تعبنا من حكاية تنقية الثورة هذه من أعدائنا، وتعبنا لأننا فى كل مرة كنا فيها نأخذها جداً، أن نفاجأ بأننا نحن هؤلاء الأعداء الذين لا يتحملنا عبد الناصر " السلطة " لأننا نفضح تكوينات إن لم يكن جمال عبد الناصر يؤيد أقوالهما فهو يرتاح لها لأنها تدافع عنه عمال على بطال فى الظاهر وتمارس فسادها فى السر، محتمية برضاء النظام عنها.. أن الانتهازيين ــ يا سيدى ــ الذين يقولون كلاماً يريحه ليفعلوا أفعالاً تريحهم، وهم دائماً الذين ينجحون فى ضربنا . . بصراحة لن أنضم إلى تنظيم لا يحتاج إلى أن يكون سرياً.. إن سرية هذا التنظيم هى ما

تريبنى*.. كنا فى منظمة الشباب علنيا نستطيع أن نحقق ما يريده **جمال عبد الناصر** الآن . . ومنعنا وضربنا، لأن **عبد الناصر** لم يأخذ صفنا . . ترك الآخرين يفصلون بينه وبيننا لأنهم فى ظنه عناصر مأمونة، يحافظون على الثورة.. وبهذا مكنهم من تصفيتنا أكثر من مرة، ولا أظن إلا أن الآخرين هؤلاء هم نجوم التنظيم السرى الآن.

– لقد حدث تغيير شامل .

– لا أظن . . نفس الوجوه موجودة بقوة . . وإذا ما كانوا هم الذين سيحددون من هم أعداء عبد الناصر وثورته ، فأنا أضمن لك من الآن أننى عدو **جمال عبد الناصر** وثورته . أضمن لك.. بل واتجاسر وأحذرك من أن المخلصين سيكونون بقدرة قادر هم اعداء الثورة لأنهم اعداء الانتهازيين الذين يرتاح جمال عبد الناصر لكلامهم المعلن لستار دخانهم الذين يمارسون من ورائه كل الفظاعات ... إن للرئيس بحسن نية يعادى من يعاديهم! (أقصد يعادى من يعادى الانتهازيين!!!)

– لا تقل هذا الكلام .

– لكننى أقوله . . وأقول بشكل أوضح . . لأن هؤلاء هم رجاله ورجال ثورته . . أنا ضد **عبد الناصر** وضد ثورته .

سكت الرجل . . وبعد لحظة فوجئت به يقول لى فى حنان آخاذ

– اعتبر إن إحنا ما تكلمناش مع بعض .

أذكر الآن لهذا الرجل الشريف . . الذى أجهدت ذهنى لأذكر اسمه . . إنه

* ستقرأ تحليلاً لتنظيم عبد الناصر الطليعى والديمقراطية التى لم يكن يعرف غيرها جمال عبد الناصر ــ وهى لا تشبه الديمقراطية إلا فى الأسم ــ فى باب "تنظيم عبد الناصر الطليعى".

حمانى من نتيجة انفلاتى العصبى . . وقول ما لا يقال .

كان رجلاً ....

بهذا الانفلات العصبى إذا كنت قد أحسنت تصويــــره . . خرجـت حركــة نوفمبر ١٩٦٨م غاضبة حتى درجة الانفلات ، عنيفة حتى درجة الغليان ، وضـــد **جمال عبد الناصر**.

ولعلنا نتوقف مدققين فى أمرين أراهما قادرين على أن يشرحا لمـــاذا كـــان الغضب؟ ولماذا كان الانفلات الجامح فى مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨.

أول الأمرين هو بيان ٣٠ مارس (نفسه)

وثانى الأمرين هو تنظيم جمال عبد الناصر الطليعى.

(٩)

بيان تأجيل الأحلام الجماهيرية إلى أجل غير مسمى

أعلن الرئيس جمال عبدالناصر بيان ٣٠ مارس* ليمتص غضب الطلاب، وغضب الحركة الشعبية بفصائلها المختلفة، بزعم أنه سوف ينفذ طلباتهم، ولكى يتخذ الأمر فرصة، بعد أن هزت المظاهرات شرعيته، وشرعية نظامه، لتدعيم شرعيته وشرعية نظامه باستفتاء عام طالب به فى نهاية البيان، وتم تنفيذه بالفعل (وجاء بنتائج مبهرة !!!)

ضم البيان كلاماً جميلاً وسُمّاً زعافاً .

الكلام الجميل أراح النفوس لوقت قصير .. لكن السم الزعاف عندما سرى فى أوصال "الموافقين" بعد ذلك، أحال راحتهم غضباً وهدأتهم انفلاتا.

لقد وصف جمال عبد الناصر بيانه (فى بيانه) بأنه "برنامج للتغيير يستجيب للأمال العريضة التى حركت جماهير شعبنا إلى وقفتها الخالدة يومى ٩، ١٠ يونيو" وقال " إن التغيير المطلوب لابد وأن يكون تغييراً فى الظروف وفى المناخ ( ) يجب أن يكون فكراً أوضح وتخطيطا أدق" .

كلام جميل !!! فأين السم الناقع فيه ؟

كان السم هو تجاهل عبدالناصر لمظاهرات فبراير (التى جاء البرنامج رداً عليها، لتهدئتها) وحديثه عن وقفة الجماهير الخالدة فى ٩، ١٠ يونيو، ولقد كان عبدالناصر يعرف أن الوقفة الخالدة فى ٩، ١٠ يونيو (وكان هيكل صائغ البيان أيضا يعلم) لم تكن دعوة للتغيير، بل كانت دعوة للاستمرار، الاستمرار فى طريق الثورة لتفويت الفرصة على الاستعمار العالمى وطليعته فى المنطقة (إسرائيل)، فى أن يجنوا ثمار انتصارهم العسكرى الدوى على نظام عبد الناصر ...، عبد الناصر

* نص البيان فى ملاحق الكتاب.

كان يفهم (وهيكل أيضا) أن وقفه الشعب لم تكن من أجل عبدالناصر شخصياً، ولكن كانت من أجل ثورة نادت بأمال الشعب المصرى، وحققت بعض الأمال، كانا يفهمان ذلك بدليل أن البيان نفسه وصف الوقفة الخالدة فى ٩، ١٠ يونيو (وهى حقيقة خالدة) بأنها اظهرت تصميما "يرفض الهزيمة ويثق فى النصر" ولم يكن هذا الوصف تواضعا من جمال عبدالناصر، الذى نادت المظاهرات فى ٩، ١٠ يونيو بعودته وبقائه، فالحقيقة أن المظاهرات نادت بعودته رفضا للهزيمة، ورفضا لأن يحقق الأمريكيون رغباتهم ضد أمانى هذا الشعب .. (ناهيك عن أن حجم المأساة التى قادتنا للهزيمة المرة لم يكن قد اتضح بعد).

والحقيقة أن رجال عبدالناصر (فهموا مغزى الوقفة أو لم يفهموه) كانوا يصورون الأمر دائما على أن ما حدث فى ٩، ١٠ يونيو، كان تمسكا بعبدالناصر (شخصيا) وتفويضا له بأن يفعل كما يشاء، ولم يكن الأمر كذلك أبدا، بدليل أن صيحات الجماهير والمثقفين من أجل التغيير، بدأت مباشرة بعد أن حقق الشعب رغبته فى الاستمرار، وكانت صيحات التغيير هذه رفضا للتفويض، وقبولا لعبد الناصر، ليس كما كان، ولكن قبولا لعبدالناصر "بشروطهم" .

أذن لماذا اختار جمال عبدالناصر تلك الوقفة الخالدة (التى كان يفهم مغزاها جيدا، وكان يفهم مغزاها هيكل أيضا) ليكون بيان ٣٠ مارس استجابه لها ؟!.

هذا هو السم الزعاف بعينه !.

إنهما (عبدالناصر، وصائغ أفكاره وناصحه محمد حسنين هيكل) أرادا بهذا الاختيار أن يقولا للناس شيئين

أولهما : أن المقبول هو التفويض الكامل أما "الاعتراض والمطالبة " فهما غير مقبولين على الإطلاق (العسكريون يتعاملون مع مطالب الناس) على أنها "لوى ذراع" غير مقبول، وبالتالى يرون الديمقراطية هى الأخرى لى ذراع، ويرونها لهذا مرفوضة، لقد أحب البيان أن يقول للناس (دسا للسم الزعاف) ٩، ١٠ يونيو مقبولة، أما التظاهر والضغط على الحاكم فمرفوض ولن يأتى بأية نتائج).

ثانيهما : تصوير أن مطالب الناس، هى ما كان يريد أن يحققه جمال

عبدالناصر وما سوف يحققه، فلماذا التظاهر و"شغل العيال" . بدون "شغل العيال" هذا، كان جمال عبدالناصر سيحقق لكم ما تريدون، فناموا واستريحوا وانتظروا .

لقد كان كل ما يريده جمال عبدالناصر هو أن ينتظر الناس، وأن ينتظروا هادئين ،... (سواء استطاع عبدالناصر تنفيذ ما يريدونه، أو خذلته الظروف التاريخية الصعبة والمنعطفات الحرجة و..و.. سلسلة الحجج الجاهزة .. وبعضها كان حقيقياً فلم يستطع أن ينفذ شيئا، إلا ما تقبله "دماغه").

لهذا حرص البيان على أن يقول "وإنى لأرجو أن يكون اتفاقنا كاملاً (خل بالك من "كاملاً" هذه) على أنه ليس هناك الآن، ولا ينبغى أن يكون (خل بالك من "لاينبغى" هذه) صوت أعلى من صوت المعركة ولانداء أقدس من ندائها".

كان المعنى المراد من هذه الكلمات "انتظروا .. انتظروا .. لا تطالبوا بالتغيير لأن وراءنا معركة.."، بل كان معناه "أن من يطالب بالتغيير خائن لأنه يعطل المعركة، ولأن صوته يعلو على صوتها !!!" .

لقد كنا نطالب ــ والحركة الشعبية الأم ــ بالتغيير، لبناء دولة عصرية قادرة على الانتصار فى كل معاركها، سواء معاركها العسكرية، أو معركتها الكبرى فى التنمية لصالح الشعب وقدراته الفعالة، وكنا نرى أن "دولتنا" بدون التغيير المطلوب، بل التغيير الذى كان قضية حياة أو موت .. لن تقوم لها قائمة (القائمة التى نريدها، وليست القائمة التى يجيد العسكريون توصيلنا إليها بأخطائهم الفادحة)

كنا نريد ذلك .. وجاء بيان ٣٠ مارس ليقول لنا انتظروا، سوف يحقق جمال عبدالناصر لكم ما تريدون عندما يستطيع !! [نفس اللعبة التى مارسها معنا السادات فيما بعد، لكنه كان يقصد "انتظروا حتى النهاية"، نهاية أحلامنا بالطبع فى التحرر الوطنى الذى هو العزة القومية التى ترفض التبعية، نهاية حلمنا فى العدل الاجتماعى، فى الديمقراطية الحقيقية (التى هى بالطبع شيء آخر غير ديمقراطية "ابقى هبهب فى الجرايد" على رأى بيرم التونسى رحمه الله) وفى تكوين كيان عربى موحد يستطيع الوقوف فى وجه التكتلات الكبرى فى عالمنا *** وهذه هى

خطورة اللعبة .. فنتائج الانتظار والتفويض تعتمد على شخص الحاكم ومراميه الخفية، لهذا كنا نرفضها مع عبدالناصر الذى نثق فى وطنيته ونزاهته، ونرفضها مع غيره ممن لانثق فيهم، فما الذى يضمن لنا"، لقد خذل عبدالناصر الوطنى الشريف أمالنا وجاءنا بالنكسة.. وخذل "السادات " ومدرسته، أمالنا .. وجاءنا بالنكسة الكبرى .]

مادام الأمر كذلك... فلماذا التأخير ...

ولكى يبرر جمال عبدالناصر أن بيان ٣٠ مارس (للاسباب للتى وضحتها) كان استجابة لوقفة الشعب فى ٩، ١٠ يونيو (ولم يكن استجابة لأى شىء آخر!) كان عليه أن يبرر تأخر البيان عشرة شهور كاملة بعد الوقفة الخالدة ولم يكن الأمر ليستعصى عليه (المشكلة أن الأمر لا يستعصى على العسكريين أبدا، ولا على ناصحيهم .. ولا على "المطبلين" لهم وهم غير الناصحين بالفعل)

برر عبدالناصر تأجيل البيان (كما احب أن يظهر لنا الأمر) بأن كان عليه أن ينجز إنجازات تاريخية قبله .. حتى نستطيع أن نتطلع إلى المستقبل (بالبيان !!)

أولها : اعادة بناء القوات المسلحة.

ثانيها : تحقيق الصمود الاقتصادى.

ثالثها : تصفية مراكز القوى (بالطبع كان قر أزاح بعضها، ليستشرى فينا البعض الآخر).

رابعها : فضح انحرافات واخطاء المرحلة السابقة عن طريق المحاكمات العلنية (هكذا قال فى بيانه !).

خامسا : القيام بجهد سياسى على جهات عربية وجبهات دولية .

كانت النقاط الخمس هذه هى تبرير جمال عبدالناصر لتأخر البيان بعد وقفة تسعه وعشرة يونيو، كانت التبرير الذى اجهد عبدالناصر نفسه، ليقوله، حتى لا يعترف بأن المظاهرات استطاعت أن تلوى ذراعه

ولكن عبدالناصر، كان يعلم أننا كنا نطالب بالديمقراطية .. (التى كان فهمنا

لها قاصراً، ليس بسبب أعمارنا الصغيرة وحدها، ولكن أيضـــا بسـبب التجـهيل المستمر بماهيتها، لقد كنا نفهمها فقط على أنها حرية الرأى والفكر وحرية الاعلان عنها (وهما يشملان حرية الصحافة) ووصول ممثلين حقيقيين لنـا ولأمالنـا إلـى مجلس الأمة .. وحرية العمل الثقافى، هذا كل ما كنا نفهمه عن الديمقراطية، كـان فهمنا قاصراً، يتجاهل أو يجهل أسس الديمقراطية الراسخة فى المجتمعات .. لـهذا كنا نطالب الحاكم بالديمقراطية، ولا نطالب بترسيخ أسسها فى مجتمعنـا!!) وكـان يعلم أيضا أننا لن نسكت حتى تتحقق (ولو على أساس فهمنا القاصر) لـهذا قـرر جمال عبدالناصر أن يتكلم عن الديمقراطية التى نريدها، ولكن بالشكل الذى يرديـه هو !!!

نعم للديمقراطية ... المؤجلة !!.

قال البيان "إن المسئولية التاريخية (كل مسئوليات الثورة تاريخية !!) للأيـام العصيبة (وكل أيامها عصيبة !!)، والمجيدة (وكل أيامها مجيدة، حتى تلـك الأيـام التى تلت نكسة يونو ١٩٦٧ !!!!) التى نعيش فيها، ونعيش لها، تطرح علينا برنامج عمل له جانبان .

الجانب الأول : حشد كل قوانا العسـكرية والاقتصاديـة والفكريـة، علـى خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر .

الجانب الثانى : تعبئة كل جماهيرنا (..) من أجـل واجبـات التحريـر .. والنصر ومن أجل آمال ما بعد النصر (خل بالك من أن "الآمال" بعد النصر .. إنها اشارة واضحة لفلسفة "انتظروا")

هذا هو البرنامج، وهذان هما جانباه . فإين الديمقراطية ؟!!

قال البيان "إنه من الضرورى والحيوى حشد كل القوى الشـعبية وبوسـيلة الديمقراطية وعلى أساسها وراء أهداف نضالنا القريبة والبعيدة .."

الديمقراطية التى ارادها جمال عبدالناصر اذن كانت وسيلة حشد ولـم تكـن وسيلة تصحيح مسار (يريدها حشداً وراء مساره هو).

وقال البيان "إن صيغة الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب أكثر الصيغ ملائمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية.. بعد تجديد الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب بدلاً من التعيين

أى أن الأمر سيبقى على ما كان عليه.. الديمقراطية وسيله حشد، والاتحاد الاشتراكى، وسيلة وسيلة الحشد !!!

هكذا ابتلع البيان الديمقراطية التى تلكم عنها .. البيان .. كثيراً جداً !!!

وبالطبع كان لابد وأن يجيىء الدور على بقية مطالب الطلبة (مطالب الحركة الشعبية الأم، التى اعلنها الطلاب إعلانا صاخبا مدوياً)

تصورات جمال عبد الناصر ... لا مطالبنا !!!.

قال البيان "لكى يكون هناك ضوء كاف على طريقنا فإننى اريد من الأن أن أضع أمامكم تصورى لبعض المهام الرئيسية فى المرحلة القادمة من نضالنا ".

انها ليست مطالب الشعب .. إنها تصورات الرئيس جمال عبدالناصر .. (حتى لا يعترف بأن من الممكن الضغط عليه ***) أما تصوراته (!!!) فهى :

١-تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقيادتها فى تحقيق سيطرتها بالديمقراطية (إياها) على العمل الوطنى فى كافة مجالاته ..

٢-تدعيم عملية بناء الدولة الحديثة فى مصر (التى تقوم على الديمقراطية "إياها" وعلى العلم والتكنولوجيا)

٣-إعطاء التنمية الشاملة دفعة اكبر فى الصناعة والزراعة (...) مع الضغط على أهمية إدارة المشروعات إدارة اقتصادية وعلمية .

٤-العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب إتاحة الفرصة أمامه للتجربة .

٥-اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية (...).

٦-تعميق التلاحم بين جماهير الشعب والقوات المسلحة .

٧-توجيه جهد مركز نحو عمليات البحث عن البترول لما أكدته الشواهد العملية من احتمالات بترولية واسعة فى مصر (..).

٨-توفير الحافز الفردى تكريماً لقيمة لعمل

٩-وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

١٠- ضمان حماية الثورة فى ظل سيادة القانون

ولابد الآن أن أقول للقارئ، إن التصورات (!!!) (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٨) ، (٩) كانت بعض مطالبنا ... .

أما التصورات (!!!) (٦)،(١٠) فقد كانت بعض مطالب جمال عبدالناصر.

يبقى التصور (!!) رقم (٧) وهو الخاص بالبترول .. فهل وضع هنا "حلاوة" لمن سينتظر هادئاً فتنفرج الأمور من حوله، ويطلع لها حل من تحت الأرض ؟!!!

ولعل القارئ قد لاحظ، مثلما لاحظنا أن التصور (!!) رقم (٤) يضم عنصرين، وكان الأولى (والأمر الذى لم يكن ليفوت فصاحة الأستاذ هيكل) أن يصبح تصورين هما العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية .... والاهتمام بالشباب، فهل لنا أن نتساءل لماذا دمجا فى تصور واحد ؟!!! هل كان المقصود أن الاهتمام بالشباب لن يكون إلا إذا تمسكوا بالقيم الخلقية ولم يتظاهروا ضد جمال عبدالناصر ؟

المستعجل ينتظر الدستور الدائم !!

كانت هذه بعض مطالبنا كما قلنا .. فأين بقية المطالب ؟

الاجابة تأتينا من البيان .. بقية المطالب مؤجلة (انتظروا) حتى يتم اعداد دستور دائم بدلاً من الدستور المؤقت الصادر فى ١٩٦٤ .. وكانت أهم هذه المطالب المؤجلة (وخل بالك كويس)

- أن تتوفر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين وفى كل الظروف (مؤجلة !)

- أن تتوفر كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمى والصحافة (لاحظ تأخر الصحافة إلى أخر الصف، ولاحظ أن كل الضمانات بما فيها ضمان حرية الصحافة مؤجل !)
- أن ينص الدستور على تحديد واضح لمؤسسات الدولة واختصاصاتها بما فى ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية (الفصل بين السلطات أولى مبادئ الديمقراطية .. .. مؤجلة !!)
- أن ينص فى الدستور على حصانة القضاء وأن يكفل حق التقاضى ولا ينص فى أى إجراء للسلطة على عدم جواز الطعن فيه أمام القضاء، ذلك أن القضاء هو الميزان الذى يحقق العدل ويعطى لكل ذى حق حقه ويرد أى اعتداء على الحقوق أو الحريات (مؤجلة !!)
- أن ينص الدستور على حد زمنى معين لتولى الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى وذلك ضمانا للتجديد وللتجدد باستمرار (طبعاً مؤجلة .. ونص !)

كل هذا من مطالبنا غدا مؤجلاً إلى حين اعلان الدستور الدائم (دساتير الثورة كانت مؤقتة !!)، وغدا الدستور الدائم نفسه مؤجلاً فيما بعد.

بمرور الوقت رأت الحركة الشعبية أن القليل الذى نص عليه بيان ٣٠ مارس كان كلاما جميلاً (لكنه وضع على الرف)، وبدأوا يشعرون فيه بآثار السم الزعاف .. سم الديكتاتورية التى ترى الخضوع لمطالب الشعب ضعفاً، والتى حين تضعف , تناور وتسوّف وتؤجل .. وتفتح علينا أبواق دعايتها التى تصم آذاننا ليلاً ونهاراً بأن ليس فى الامكان أحسن مما كان .. فانتظروا هادئين .

بمرور الوقت أيضا رأت الحركة الشعبية، أن الدستور الدائم (الذى يضم بقية أمانيها فى تلك الفترة) سيبقى مؤجلاً إلى أجل لن يحين، فهو فيما يبدو كان يمتلك صوتاً أعلى من صوت المعركة !!!.

أكثر من ذلك ارتدت السلطة الناصرية قفازا من قطيفة ناعمة، وراحت تكيل الضربات الموجعة، والمرعبة للمعارضين بحجة أن المعارضين بمعارضتهم العلنية

يفسحون المجال للثورة المضادة وأعداء الثورة مـن الرجعيين لضـرب الثـورة وإنجازاتها الشعبية ..

كان الواضح (للاسباب السابقة) أن سلطة جمال عبدالناصر، كانت قد قررت ألا تستسلم للضغط الشعبى (لوى الذراع) وأنها ستظل سادرة فيما هى فيه والـذى جلب علينا نكسة لا تحتمل ولكن تحت شعارات جديدة، براقة كسابقاتها !! ...

لقد بدأ البيان بسحب المبادرة من الجماهير.

وانتهى بتأجيل الأحلام.

(١٠)

تنظيم جمال عبدالناصر "الطليعى" !!

التنظيم الطليعى كما عرف الناس اسمه . أو تنظيم "طليعة الاشـــــتراكيين" كما سماه جمال عبدالناصر، كان هو المحاولة الرابعة لجمال بعدالناصر لكى يجعـل للثورة تنظيماً، كانت هيئة التحرير تنظيم الثورة الأول، وتلاها الاتحاد القومى، أمـــا الثالث فكان الاتحاد الاشتراكى العربى .. ثم كان التنظيم الطليعى آخر المحـــاولات كان رابعهم ..

وبرغم أن عبدالناصر أجهد نفسه، وأجهد فلاسفته، كثيراً، لكى يؤكد فى أكثر من مناسبة أن كل تنظيم من هؤلاء، كان يخدم مرحلة ثورية معينة، مـــن مراحـــل الثورة العديدة . أى أن واحداً من الثلاثة الأول، لم يكن يشبه الآخر، لا فى عنـــاصر تكوينه ولا فى أهدافه، برغـــم ذلـــك أراد عبدالنـــاصر تنظيمـــه الرابـــع "طليعـــة الاشتراكيين" أن يكون تنظيما مختلفا عن التنظيمات السابقة جميعاً .. إذ كـــان قـــد وعى الدرس . (أو هو ظن ذلك) فى صعوبة بل استحالة تكوين تنظيم ثورى من موقع السلطة .

قرر جمال عبدالناصر أن يقيم تنظيمه الرابع بشكل ســـــرى، أى أن يكـــون تنظيمه الطليعى سرياً ، وكان لتلك السرية غرض فى نفس جمال عبدالناصر.

فى الاجتماع التمهيدى الأول (*) الذى عقده جمال عبدالنــــاصر، لإنشـــاء تنظيمه . وحضره السادة على صبرى، محمد حسنين هيكل، أحمد فـــؤاد، عبـــاس رضوان، وسامى شرف . قال جمال عبدالناصر إنه يحب أن يضع أمام المجتمعيـــن عدة نقاط .. أولها تقديره الكامل لصعوبة تكوين حزب من قمة السلطة أو بواسطتها

(*) اعتمد فى معظم ما جاء فى هذه الجزئية "تنظيم عبدالناصر الطليعى" على حوار فـــى كتـــاب، أجراه عبدالله أمام مع سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات والرجل الثانى فـــى التنظيـــم، سماه (عبدالناصر وكيف حكم مصر؟) مدبولى الصغير . القاهرة . الطبعة الأولى عام ١٩٩٦.

(كان عبدالناصر يظن أنه وعى الدرس ولم يكن الدرس شيئاً سوى) لما يترتب على ذلك من مصاعب، ومشاكل من بينها، محاولات تسلل العناصر الانتهازية إلى تنظيمات السلطة .

ثانية النقاط : الإصرار على السرية، سواء فى الاتصال بالكوادر أو فى الاجتماعات (التنظيمية) أو فى تداول المناقشات (بين الأفراد فى غير الاجتماعات التنظيمية) والتى تتم بين الأعضاء.

ثالثة النقاط : العمل بقدر الإمكان (خل بالك من قدر الإمكان هذه) على مراعاة الطبيعة البشرية، ونوعية العناصر التى تساهم فى هذا العمل (هؤلاء الذين سوف يتم اختيارهم وتجنيدهم سراً للعمل التنظيمى، فطبيعى أن لا يتقدم الأعضاء بطلب التحاق أو ضم لحزب سرى)، على أن تنطبق على الشخص المرشح الشروط والمواصفات، وألا تتم مفاتحة العضو فى أمر إختياره وتجنيده إلا بعد أن يوضع فترة كافية تحت الاختبار تكفى لأن تدرس القيادة السياسية موقفه بالدقة اللازمة .

رابعة النقاط : كانت الشروط الواجب توافرها فى العضو، مع الوضع فى الاعتبار العوامل الإنسانية والعوامل البشرية (محيرة تلك العوامل البشرية والإنسانية التى يرد ذكرها كثيراً فى الاختيار، ألم أقل لك من قبل خلّ بالك !) ومنها أن المرشح لابد أن يكون مؤمنا بثورة ٢٣ يوليو وقوانينها (مع أن القوانين قابلة للتغير !!) عن قناعه، مؤمنا بالنظام الاشتراكى، وقادراً على الالتزام بالسرية، وأن يكون عنصراً حركياً يستطيع أن يناقش وأن يقنع الجماهير (خل بالك بقوة من يقنع الجماهير هذه)، يقبل النقد، ويمارس النقد الذاتى . (هل هذه عوامل إنسانية وبشرية ؟)

خامسة النقاط : أن تتوافر فيه الطهارة الثورية (ألم يكن من الواجب ضم تلك النقطة على ما قبلها، أليست هذه وما سيتلوها شروطاً من الواجب توافرها فى العضو المختار ؟) مع الوضع فى الاعتبار العنصر البشرى (مرة ثالثة !!!)، كما أن يكون المرشح عنصراً مفيداً فى حركة التنظيم، بمعنى أن يكون جماهيريا،

خاصة فى المرحلة الأولى (!!!) فتُرشح العناصر التى لها القدرة علـــى التحـــرك، وسط الجماهير بشكل مقبول ومقنع (..) القادرين الذين يُعتمد عليهم فـــــى الدعـــوة والفكر وفى كل المهام السياسية (خل بالك أيضا وبقوة من الدعوة والفكر تلك).

هذا ما قاله جمال عبدالناصر فى الاجتماع التمهيدى الأول لإنشـــاء حزبـــه الرابع، حزب طليعة الاشتراكيين ولعل القارئ قد لاحظ أننى مؤخـــراً قـــد استبدلت صفة حزب بصفة تنظيم ... فالحقيقة .. التى ســـنوردها بعـــد قليـــل . أن عبدالناصر أراد تنظيمه الطليعى هذا حزباً، أيضا لغرض فى نفس جمال عبدالناصر . لكن ما يعنينا الآن أن نركز على :

- إصرار عبدالناصر على سرية تنظيمه الذى سيتحول إلى حزب .
- ورود لفظ "بقدر الإمكان" بعد أى جملة تتضمن العوامل البشرية .

وفى الاجتماع التمهيدى الثانى لإنشـــاء التنظيـــم الطليعـــى . قـــال جمـــال عبدالناصر "لابد من التعرف على الوسائل الإيجابية التى تمكن من التوصـــل إلـــى العمل السياسى بحيث يكون التنظيم موصلاً جيداً بين القيادة والقاعدة (بعـــد ثـــلاث محاولات لإقامة تنظيمات للثورة .. يرى جمال عبدالناصر ضرورة التعرف علـــى الوسائل الإيجابية التى تمكن من التوصل للعمل السياسى !! ، أيضا خل بالك مـــن الترتيب فى جملة "موصلاً جيداً بين القيادة والقاعدة ..) وأن يكون مستعداً للكفـــاح والنضال من أجل تحقيق الأهداف التى أعلنتها ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقال أيضا :

"نريد أن نغير الوضع، ونبتعد عن العمل بالكلام فقط (يقصد أن القول كـــان بديلاً للفعل) الناس شبعوا "كلام"، ونريد مزيداً من العمل، الناس يريـــدون معرفـــة (خل بالك من معرفة هذه) ماذا تم بالنسبة لأهدافنا بتحقيـــق المجتمـــع الاشـــتراكى (عبدالناصر فى كل عيد ثورة كان يكلمنا عن إنجازات الثورة منذ قامت عام ١٩٥٢ إلى تاريخ العيد الذى يتكلم فيه .. وما زال وهو ينشئ تنظيمه الطليعى حزب جمـــال عبدالناصر المستقبلى متصوراً أن الناس تحتاج أن تعرف ما تم !!) وهى أهـــداف

واسعة، والعملية ليست مرسومة فى تقارير، فليس هناك رسم معين للعملية (*) (هو هنا يقصد الخطة العملية لتنظيمه) (..) أتصور أن أمامنا عمليتين أساسيتين هما :

١- عملية التفسير (خل بالك !!) وتنشيط العمل السياسى القائم .

٢- عملية التنظيم السياسى الداخلى

ولكى نفهم جيداً ما قاله جمال عبدالناصر فى الاجتماعين التمهيديين ــ الأول والثانى ــ دعونا نفهم فكرة التنظيم أولاً.

اصطياد عصفورين ... بتنظيم واحد

لقد استفاد جمال عبدالناصر من أن فكرة وجود تنظيم داخل الاتحاد الاشتراكى كانت قد وردت فى الميثاق الوطنى، إذ ذكر الميثاق أنه "لابد أن يكون فى الاتحاد الاشتراكى جهاز يكون بمثابة القلب من الجسم أى أنه هو الذى يحرك الاتحاد الاشتراكى، التنظيم الكبير الواسعً، استفاد عبدالناصر مما جاء فى الميثاق ليضرب عصفورين بتنظيم واحد !.

الأول : أن يحرك الاتحاد الاشتراكى (وخل بالك من تحريك هذه) بجهازه الذى اسماه "طليعة الاشتراكيين"، مخططا لأن يعمل تنظيمه الجديد السرى فى كل مستويات الاتحاد الاشتراكى من القمة إلى القاعدة، لينشّط العمل بأساليب جديدة ويعطى دفعة قوية لعملية التفسير (!!) وفى ذلك قال "أنت تعمل خلال جماهير الاتحاد الاشتراكى والقاعدة قاعدة الاتحاد الاشتراكى، ومن خلالها تحدث مناقشات ولقاءات، والتعرف على مشاكل الجماهير والعمل على حلها"، ذلك لأن" التنظيم هو الذى يجعل القيادة متصلة بمشاكل الناس، ويعمل على حل مشاكل الناس، والمشاكل لن تنتهى، وهى ليست موجودة فى مجتمعنا فقط، فهى موجودة فى كل المجتمعات، ولاشك أن التنظيم (الطليعى) هو الذى يجعلنا قادرين على التحرك نحو حلها، وأن

(*) الاضطراب الحادث فى بعض الجمل، الذى يؤدى إلى صعوبة فى الهضم، ليس من عندى فأنا انقل عن الكتاب مباشرة . وأحاول التفسير قدر الإمكان .

نرد بصراحة ووضوح واقناع، حتى تتم التوعية السليمة فى المشاكل التى لا يمكن حلها" (خل بالك من كلمتى "يرد" و "التوعية") (*) .

الثانى : (ثانى العصفورين اللذين أراد عبدالناصر ضربهما بتنظيم واحد) أن يجعل من هذا الجهاز (التنظيم) حزبه (حزب جمال عبدالناصر) عندما يعلن تعدد الأحزاب، فى قول بعد تحرير الأرض العربية (عبد الناصر لم يكن يعنى أبداً بتحرير الأرض الأرض المصرية، كان يعنى دوماً ـ وهذه خقيقة نذكرها للرجل ـ بتحرير الأرض، تحرير الأرض العربية كله التى اغتصبها العدوان الصهيونى عام ١٩٦٧) وفى قول ثان، بعد إزالة آثار العدوان (أى بعد أن يحرر الأرض العربية ويزيل آثار العدوان!) وفى قول ثالث، أنه كان سيعلن تعدد الأحزاب بدلاً من حزبه الأوحد الحاكم، بعد اعادة البناء.. (أى بعد أن يحرر الأرض، وبعد أن يزيل من الأرض المحررة آثار العدوان، وبعد أن يعيد البناء الذى دمرته الحرب والذى توقف أيضا بسببها!).

يقول سامى شرف "فى أيامه الأخيرة ـ على نحو ما تثبت المحاضر ـ قرر عبد الناصر أن يكون هناك أكثر من حزب سياسى بعد تحرير الأرض (هذا هو القول الأول) ومن المفارقات أن الذى اعترض على ذلك، هو أنور السادات، الذى لم يكن عضواً فى تنظيم طليعة الاشتراكيين" ص ١٨٣.

ويقول أيضا "لم يكن غائباً عن فكر جمال عبد الناصر تعميق الديمقراطية بشكل عام، وقد تطور فى تفكيره عام ١٩٧٠ (فى أيامه الأخيرة بالفعل، فقد توفى فى نفس العام) إلى تقرير أنه لابد من وجود أكثر من حزب (...) وكان قد استقر

(*) اخبرنى المهندس أحمد الحمدى وكان من قيادات الطلبة البارزين فى جامعة عين شمس، ومن قيادات التنظيم الطليعى البارزين أيضا، والذين كان اتصالهم مباشراً بسامى شرف أن التنظيم كان له فرع داخل القوات المسلحة وكان يشرف عليه سامى شرف شخصياً، ذلك أن عبدالناصر كان قد لُسع من "شوربة" عبدالحكيم عامر، فكان لابد وأن ينفخ فى "زبادى" محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة بعد النكسة.

منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزبا ص ١٩٢.

ويقول سامى شرف أيضا "عبد الناصر كان قد قرر أن تأخذ مصر بنظام التعدد الحزبى بدءاً من عام ١٩٧٥، حيث نكون قد ازلنا العدوان من الأرض العربية تماما وأزلنا آثار العدوان ص ٢٠٥" (القول الثانى) وبعد "اعادة البناء ص ٢٢٧" (القول الثالث).

هذان إذن العصفوران اللذان أراد عبد الناصر ضربهما بتنظيمه. وإن كان من الواضح إذا ما دققنا فى جملة سامى شرف "وكان قد استقر ـ جمال عبد الناصر ـ منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزبـاً" أن العصفور الأول (تفعيل الاتحاد الاشتراكى وتنشيط عملية التفسير، أو شرح ما هو كائن للجماهير) كان هو العصفور الأهم لدى جمال عبد الناصر... من الواضح أن عبد الناصر اراد العصفور الأول، ثم بعد ذلك استقر على أن يضرب العصفور الثانى بتنظيمه الطليعى... على أن يضرب العصفور الثانى بعد تحرير الأرض العربية، وإزالة آثار العدوان عن الأرض المحررة، واعادة البناء (يعنى حِلّنى!!).

المهم الآن ـ بعد كل ما ذكرنا ـ أن نستطيع رسم صورة للديمقراطية كما كان يفهم جمال عبد الناصر معناها، وليس كما يجب أن تكون، والتى فى سياقها عمد جمال عبد الناصر ـ بعد النكسة ـ إلى إقامة تنظيمه الطبيعى (وهى صورة نستكمل بها الصورة التى استخرجناها عن بيان ٣٠ مارس).

صورة ... والفرشاة كلمات جمال عبد الناصر.

إن الملامح التى تستطيع أن ترسم لنا الصورة فيما سبق من كلمات ـ لابد وأن تكون:

أ ـ إصرار عبد الناصر على سرية تنظيمه.

ب ـ كلمات وجمل مثل "الدعوة والفكر"، "يناقش ـ التنظيمُ ـ ويقنع الجماهير"، أن يكون التنظيم "موصلاً جيداً بين القيادة والجماهير"، "الناس يريدون معرفة ما

تم..."، "ترشيح العناصر التى لها قدرة على التحرك، وسط الجماهير"، "عملية التفسير"، "تحريك الاتحاد الاشتراكى"، "من القمة إلى القاعدة"، "حتــى تتـم التوعية السليمة".

جـ ـ جملة "قدر الإمكان" التى ترد بعد كل ذكر للعوامل البشرية والطبائع البشرية (بشكل محير!!).

هذه هى الملامح... ولعل القارئ قد لاحظ أن كلها ملامح قديمة قدم الثـورة كلها، لم يضف عبد الناصر جديداً إليها ـ فى نهاية حياته "وقد تطور فى تفكـيره!" ـ غير "السرية". (إذا كانت تنظيمات الثورة ـ بعد قيامـها ـ تنظيمـات علنيـة، تسعى إلى حشد الجماهير ـ الشعب ـ المواطنين، حول مبادىء الثورة...

ولكن فلنتنه من السرية أولاً (تلك الجديد المضاف) حتى نخلص إلـى رسـم ملامح الديمقراطية (الناصرية) (بعد أن تطور فكر جمال عبد الناصر فـى أيامـه الأخيرة).

لماذا "السرية" ... ولماذا توقيتاتها الدقيقة !!

لقد أصبحت السرية مطلباً أساسياً مُلحاً لعبد الناصر فى آخر تنظيمات الثـورة، خصوصاً بعد نكسة يونيو ١٩٦٧(*). بل وبالتأكيد بعد مظاهرات الطلبـة فـى فـبراير ١٩٦٨، ولا أظن ـ كما يشاع ـ أن عبد الناصر قد قصد بالسرية تأمين النقاء الثـورى لعناصر تنظيمه، حقيقة أن السرية كانت ستمنع أعضـاء التنظيـم مـن إعـلان أنـهم "واصلون"، بما يفوق محاولاتهم للإنتفاع بـ "وصولهم" هذا، فلا يبقى لـهم إلا الجديـة

(*) التنظيم الطليعى بدأ قبل نكسة يونيو ١٩٦٧، وكان سرياً، لقد بدأ منذ ١٩٦٥، منذ الفترة التـى اظهرت المؤسسة العسكرية بقيادة عبد الحكيم عامر فيها انيابها لجمال عبد الناصر، وقـد أراد جمال عبد الناصر أن يكون تنظيمه السرى قوة له فى مواجهتها، مثلما كان الأمر مع الاتحـاد الاشتراكى، ومنظمة الشباب الأشتراكى، لكن التنظيم الطليعى توسع للغاية بعد النكسة مباشرة، وضم اعداداً كبيرة من الطلاب بعد مظاهرات فبراير ١٩٦٨، وهذا هو ما نقصده عندما نقـول "خصوصا".

الثورية والنقاء الثورى، لكن التوقيت الذى ألح على عبد الناصر بأحتياجه المُلِّح إلى السرية هذه ـ بعد النكسة ـ يظهر أن جمال عبد الناصر ـ فى المقام الأول ـ كان يشعر خوفاً من الثورة المضادة*، من الثورة عليه (عبد الناصر كان يسمى الثورة عليه فى أى اتجاه تقدمى أو رجعى ثورة مضادة!)، لقد أحس جمال عبد الناصر بعد النكسة بأن شرعيته قد اهتزت [قلنا من قبل أن عبد الناصر فهم وقفة ٩، ١٠ يونيو على حقيقتها، فهمها وقفة ضد أن يفرض أعداء الشعوب "الإمبرياليين" ـ بقيادة ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية ـ ما يريدون على هذا الشعب، لقد كانت دعوة للاستمرار، وللحفاظ على المكتسبات، ولم تكن تأييداً شخصياً له، فقد كان عبد الناصر أكثر ذكاء من أن يتصورها تأييداً شخصياً، فى الوقت الذى يصل إليه فيه انعكاسات النكسة على مؤيديه انفسهم، ومطالبة الجميع بالتغيير فى نفس الوقت الذى يعلنون فيه تمسكهم به كرمز فى مواجهة أعداء الشعب ـ أعدائه ـ، لقد فهم جمال عبد الناصر أن الناس الذين كانوا يفوضونه ـ قبلا ـ أصبحوا الأن يتمسكون به ولكن "بشروطهم"، أيضا فإن عبد الناصر كان يعلم أن وقفة ٩، ١٠ يونيو، تمت والجماهير لم تكن قد استوعبت بعد حجم النكسة، ولم تكن تدرى شيئاً من أسبابها، أو لم تكن تدرى اسبابها على وجه اليقين...، ولقد رأى عبد الناصر بأذنيه كيف كان انعكاس محاكمات عبد الحكيم عامر ومجموعته (حوكم المشير بعد وفاته علنا) ومحاكمات صلاح نصر واداراته، ومحاكمات الطيران على الجماهير، التى بدأت تستوعب فساد النظام الذى أدى إلى النكسة، وتفشى الجهل الذى تفاقم بحجمها. وكان عبد الناصر يدرى أن المسألة مسألة وقت، وقد صرح هو نفسه فى مجلس الوزراء أن الناس لن تحتمل أكثر من ثمانية شهور، وكأنه كان يقرأ فى الغيب ميعاد مظاهرات الطلبة فى فبراير ١٩٦٨].

تأكد عبد الناصر بعد النكسة مباشرة، أن شرعيته وشرعية نظامه قد اهتزت، وقد أوضح هذا الأمر الأستاذ محمد حسنين هيكل أحسن إيضاح، عندما أورد على

* منذ ١٩٦٥ وقبل للنكسة، كان يستشعر خوفاً من النمو الأسطونة لسلطة القوات المسلحة.

لسان "ديجول" تلك المقولة العظيمة "إن النظام الذى لايستطيع أن يحافظ على الأرض، يفقد شرعيته*، كان عبد الناصر وهيكل يعيان الأمر بكل أبعاده، ويعرفان أن المسألة مسألة وقت وأظن أن هذا ــ وليس كل الظن إثم ــ مبعث الحاح السرية على جمال عبد الناصر فى شأن توسيع تنظيمه الجديد ــ أراد عبد الناصر أن يتواجد فى كل مستويات الاتحاد الاشتراكى وبين الجماهير لمن لا تعرف الجماهير انتماءهم المباشر له، وبهذا يستطيع أن يتابع أعداء ثورته ــ أعداءه ــ وأعداء نظامه فى كل الاتجاهات الفكرية عن كثب دون أن يعرفوا هم أنه أقرب اليهم بأذنه مما يتصورون (راجع فيما قاله جمال عبد الناصر رغبته فيمن يؤمنون بالثورة وقوانينها، المستعدين للدفاع عنها، واقناع الجماهير، وتعريفهم بما تم ..و..و...و...).

أراد عبد الناصر تنظيما يدافع عن نظامه، ضد اعداء نظامه (لا أقول ثورته، فالرجعية والاخوان المسلمون، الذين طالما استعملهم عبد الناصر بعد النكسة، كخيال مآته وفزاعة، تهش العصافير عن قمحه السلطوى.. لم تكن لهم تلك القوة.. إذ كان عبد الناصر ومنظروه يعلمون جيداً أن الشعب الذى خرج فى ٩، ١٠ يونيو، خرج ضد الرجعية وضد أنصار الخضوع للغرب أيا كانت مواقعهم الفكرية)،.

لم يكن الأمر اذن أمراً للديمقراطية..

كان الأمر أمر حماية النظام، وتسكين ثورة الناس، حتى يستطيع النظام ــ فى رأى عبد الناصر ــ اصلاح الأخطاء.. (التجنيد للتنظيم الطليعى، كان يتم على اساس رغبة العضو المرتقب فى الدفاع عن ثورة ٢٣ يوليو ونظام جمال عبد الناصر).

لم يكن الأمر أمر ديمقراطية، ولو كان عبد الناصر ــ كما يدعى أنصاره ممن لا يرون اخطاءه، أو ممن لايرون أخطاءه بحجمها الحقيقى، وانعكاساتها المدمرة على حركة الجماهير الثورية، لو كان عبد الناصر يريد ديمقراطية حقيقية

* راجع الطريق إلى ١٠ رمضان للأستاذ هيكل.

وثوريين شرفاء أنقياء، لما لجأ إلى السرية، فليس أكثر مدعاة لفـرح الجمـاهير ــ أنصار ــ الثورة ــ من أن يروا ويعرفوا ــ علنا ــ رجالاً جداً لجمال عبد الناصر يتسمون بالديمقراطية الحقيقية وبالنقاء الثورى، والطهارة. ودليلى الواضح على هذا الأمور، أن بعض الديمقراطيين فى تنظيم عبد الناصر الطليعى، الشرفاء عن حـق، عندما أخذوا الأمور جداً، دفع بعضهم الثمن غاليا، بل ودخـل بعضـهم السـجون والمعتقلات كأعداء للثورة (لم يكونوا أعداءً للثورة بالطبع، لكن جمال عبد النـاصر كان يرى منتقدى نظامه اعداء للثورة).

كان الأمر أمر حماية النظام... وليس سراً أن التجنيد للتنظيم الطليعى كـان يرى تصاعداً جديداً ومكثفاً، بعد أى مظاهرات تنتقد النظام (حتى وإن كان بعضـها لم ينتقد جمال عبد الناصر شخصياً، ودليلى الآخر استخدام جمال عبـد النـاصر، اعضاء التنظيم الطليعى لتهدئة مظاهرات المنصورة والأسكندرية فى نوفمـبر، أو هكذا أراد منهم، وإن كان ــ كعادته ــ فى عدم الثقة حتى فى رجاله، أرسل معـهم إلى المنصورة نائبه أنور السادات الذى لم يكن عضواً بالتنظيم الطليعى (كما يؤكـد سامى شرف)، لإحداث التوازن بمجموعتين متنافرتين تكون الواحدة ــ دون قصـد ــ فيهما عين على الآخرى.

الأمر أكثر سهولة ... فلماذا كل هذا التعب ؟

ولكن لماذا نجهد أنفسنا إلى ها الحد لنثبت أن التنظيم الطليعى لم يكن بغرض الانتقال إلى ديمقراطية حقيقية أو اصلاح عيوب النظام. لماذا نجهد انفسنا، برغـم إننا مقتنعون أن الديمقراطية كما كان يفهمـها جمـال عبـد النـاصر، لا تشـبه الديمقراطية إلا فى خياله هو... لقد جاء الوقت لنرى فى الملمحين الآخرين دقـائق الصورة.. واقصد بهما (ارجع قليلا) الكلمات والجمل المعبرة عن فكر جمال عبـد الناصر، الخاصة بالشروط الواجب توافرها فى أعضاء التنظيم وإضافة جملة "قـدر الامكان"، إلى أى كلام عن الطبائع البشرية.

إن الكلمات والجمل التى اوردناها من قبل تظهر جميعا بقاء عبد الناصر (بعد تطوره) على مفهومه القديم للأمر.. هذا المفهوم الذى يؤكد أن جمال عبد الناصر هو الأدرى بمصلحة الجماهير وأن ما هو مطلوب من رجاله إقناع الناس بذلك. وأن عبد الناصر سيفعل كل شيء بالنيابة عن الجماهير، وليس على أعضاء تنظيمه الرابع إلا أن يكونوا موصلين جيدين بين القيادة والجماهير (لاحظ خط التوصيل المطلوب.. من فوق إلى تحت.. لكن من تحت إلى فوق يقابله دوماً الاقناع والدعوة والفكر)، وأن ليس فى الامكان أفضل مما كان وأن "نرد بصراحة ووضوح واقناع حتى تتم التوعية السليمة فى المشاكل التى لا يمكن حلها"، هذه كانت ــ حتى وفاة جمال عبد الناصر ــ رؤيته للديمقراطية. وهى تعنى التفويض بنسبة ١٠٠%، والثقة المطلقة.. بينما الديمقراطية الحقيقية تعنى أن الشعوب ادرى بمصالح أفرادها (المصالح تختلف بين الطبقات، وبين فئات وشرائح الطبقة الواحدة أيضا) وأنها قادرة بمبادراتها على حل مشاكلها.. (عبد الناصر اعتبر مبادرة الطلاب لرسم صورة التغيير الذى يريده الشعب، والوسائل الموصلة له، شغب وأن الرجعية وأعداء الثورة قد تلاعبوا بهم، وفى أحسن الأحوال نفاد صبر غير مطلوب والعدو يقف وقفته الشرسة على أبوابنا، وقد سيطر على بعض أراضينا بالفعل).

وتعالوا نر بعض مقولات الرجل الثانى فى تنظيم جمال عبد الانـاصر الطليعى المستمدة مباشرة من الزعيم..

يقول سامى شرف:

أى تقييم لتجربة الديمقراطية، يجب أن تنطلق من نوعية النظام، وهى ربط الديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية، منذ ٥٦ تستطيع أن تقول إنه كانت هناك خطوات لمشاركة الجماهير بتطبيق الأبعاد الاجتماعية لحرية المواطن، بمعنى توسيع التعليم ثم مجانيته الكاملة، ومجانية العلاج، وحق الانتخاب للمرأة، وتخفيض سن الإدلاء بالصوت (الانتخابى) إلى ١٨ سنة، سنة ١٩٦١ (...) انتقل ــ جمال عبد الناصر ــ إلى خطوة متقدمة أكثر وهى العمل على منع الاستغلال.

- بالنسبة للديمقراطية "الديمقراطية كلمة مطاطة جـــداً"، بالنســبة للديمقراطية المفروض أن تطبق فى مصر ذات المضمون الاجتمــاعى وفقــا لرؤية جمال عبد الناصر.
- وبالنسبة لمشاركة الجماهير فى صنع القرار يرى "سامى شــرف" أن الجماهير قد شاركت فى "أزمة مارس ١٩٥٤" وفى "٩ و١٠ يونيو" "وفــى ٢٨ سبتمبر، عندما مات الرجل خرج مليون يبكونه بالدم، بعد أن مــات مــاذا يخيفهم؟، لقد كانت هذه مشاركة (!!!)
- وعندما يتساءل عبد الله إمام قائلا:

ــ ولا الذى يعارض هو الذى يعطينى مؤشراً.. (!!!!).

- وعن المشاركة أيضا يقول (معبراً عن سلبياتها فى نظــره) فــى نهاية ٦٧، بداية سنة ٦٨، بدأنا نقوم بعمليات عسكرية وفدائية داخـــل الأرض المحتلة، نعبر قناة السويس بفصيلة عسكرية، ثم سرية، وبعد ذلك كتيبــة، فــى صمت (صمت على مَن؟!!)، لو كانت لديك أحزاب فى تلـــك الفــترة، فإنــها (كانت) سوف تزايد وتكشف الأمر. (تكشفه لمـــن؟! لإســرائيل التــى تقــوم بالعمليات ضد جنودها !!).
- لا نستطيع أن نعتبر خروج مظاهرات تؤيد أى رئيس أو زعيـــم هو رمز للديمقراطية (يقصد لا نستطيع اعتبـــار مظــاهرات التــأييد رمــزاً للديمقراطية.
- نفاجأ برد سامى شرف :
- ولتبرير موقف الثورة من الديمقراطية، ووعودها (الدائمة) بشــأنها بدءاً من بيان الثورة الأول الذى أعلن ضمن أهدافها "إقامة مجتمع ديمقراطـــى سليم"، تلك الوعود التى لم تعرف إلا التأجيل (بنجاح منقطـــع النظــير) يقــول سامى شرف "قبل سنة ٦٧ كنا نمر بظروف كان التوازن فيــها مختــلا (...) بمعنى أن المؤسسة العسكرية (يقصد القوات المسلحة بقيادة عبد الحكيم عــامر)

كان دورها فى الداخل أكبر من حجمها الذى كان من المفـــروض أن تكـــون عليه، وبذلت محاولات لخلق هذا التوازن وحدث تفكير فى الاتحاد الاشـــتراكى (ليعدل الميزان بين العسكريين والمجتمع المدنى، (لكن الاتحاد الاشتراكى كـــان يقوده العسكريون بطريقة غائرة فى غياهب العسكرتارية هو الأخر... لقد كانـــا ــ القوات المسلحة والإتحاد الإشتراكى ــ جناحين للعسكرية يتصارعان علـــى السلطة احدهما يستخدم القوات المسلحة والآخر يستخدم الجماهير التى فوضـــت جمال عبد الناصر، والتى لم يكن يتقبل منها عبد الناصر شيئاً أكثر من أو دون التفويض!).

- ويستطرد سامى شرف: "إن الظروف التى مرت بها مصر مـــن سنة ٦١ إلى ٦٧ غير طبيعية (بدءاً من إعلان القوانين الاشتراكية، وحـــدوث الانفصال بين مصر وسوريا ــ الجمهورية العربية المتحـــدة ــ بـــدأ صـــراع السلطة بين مؤسسة القوات المسلحة وجمال عبد الناصر بشـــكل فـــى غايـــة الشراسة، وإن كان الصراع ظل مخفياً عن الجماهير الحقيقية، وخصوصاً عـــن الطبقات الدنيا التى استفادت دون شك من الثورة، وقد كانت الجماهير قـــادرة على حسم الأمر لصالح جمال عبد الناصر دون خسائر، فقط لـــو أعلـــن لـــها الأمر، لكن جمال عبد الناصر، وهيكل اللذين روجا واقتنعا بأن الفئة الوحيـــدة القادرة على إحداث تغيير فى العالم الثالث هى القوات المسلحة، لم يقتنعا يومـــاً بقوة المارد الذى يتجاهلانه، حتى عندما رأى هيكل الثورة الإيرانيـــة، والتـــى كانت فيها السلطة والقوات المسلحة فى جانب دون انقسام، والجماهير الثـــائرة فى الجانب الآخر، ورأى الصراع يحُسم لصالح الجماهير العريضة. لم يستطع هيكل أن يغير نظريته.. ولم يكن صعباً عليه بالطبع أن يجد أسباباً تبدو منطقية لعدم تغيير وجهة نظره !!!).

والغريب أن لم تكن هذه رؤية جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل للأمر وحدهما، لقد بات الكثيرون مقتنعين أن القوات المسلحة هـــى القـــادرة وحدهـــا ــ

والفاعلة دون شريك ـــ فى تغيير أنظمة الحكم، بل واحداث التقدم، لقدرتها على إحداث الضبط والربط المطلوبين لنجاح كل الأعمال، أيضا لقدرة أفرادها على تشغيل من هم أكثر منهم علماً، والأخذ من كل حسب ما يستطيع، (طبعا نحن نتكلم عن الناجحين منهم، ولا نتكلم عن الكثيرين الذين فشلوا ـــ وأفشلونا ـــ فى ادارة القطاع العام، بعد بدايات ناجحة، لم يكتب لها قمعُها للآخرين ـــ الاستمرار)، لقد بات هذا الأمر قناعة عند الكثيرين، وكأن الضبط والربط خاصية لاتلتصق إلا بالقوات المسلحة وحدها، حتى أن كاتباً كبيراً مثل الدكتور عبد الملك عودة (وهو ماركسى وطنى كما يحب أن يسمى نفسه، وكأن بقية الماركسيين ليسوا وطنيين!!) وضع سيطرة القوات المسلحة، جزءاً من الموروث العام لمصر فى ادارة الأمة، تلك الأمة التى لم يكن لها فى تاريخها الطويل، أو فى أكثر فتراته طولاً، قوات مسلحة على الإطلاق، إلا إذا اعتبر المرتزقة الذين اضاعوا فترات مزدهرة من العصر الفرعونى، وجيوش الاحتلال التى اعتمدت على المرتزقة فى عهود كثيرة، كان المماليك الأكثر شهرة بينهم، تراثا يجب تكراره لهذا الشعب، إن هذا الشعب لم يعرف له قوات مسلحة إلا فى فترات قليلة فى عهد الاسرات، إذ لم يكن فى معظم الفترات مفهوم الجيش النظامى سائداً، ومنذ انتهاء عصر الاسرات الفعلى باحتلال قمبيز لمصر، وحتى المجموعة العرابية التى حاولت أن تجد لها مكانا فى جيش يعتمد على سيادة العنصرين التركى والشركسى، لم تعرف مصر لها قوات مسلحة، وسرعان ما خبا نجم القوات المسلحة المصرية بالاحتلال الانجليزى ٧٢ سنة كاملة إلى أن خروج آخر جندى بريطانى فى عام ١٩٥٦ (!!).

- لكننا مازلنا مع سامى شرف وهو يقول "إن الظروف التى مرت بها مصر من سنة ٦١ إلى سنة ٦٧ ـــ غير طبيعية (الانفصال، مساندة الثورة اليمنية، القوانين الاشتراكية الثانية، مشاكل التنمية، الحصار الاقتصادى، مؤامرة الإخوان الثانية سنة ٦٥، لجنة تصفية الاقطاع (بعد حادث كمشيش الشهير)، حرب ١٩٦٧ (وقد كان دور المؤسسة العسكرية فى الثلاثة الأخيرات

واضحاً وجليا، وهادفاً إلى إظهار سطوتها، وأنه لايوجد مالاتستطيع أن تتدخل فيه من أمور الوطن)، هناك معوقات ضخمة حالت دون أن نطبق ما نسعى إليه وما نتمناه (لا تنس أنه كان يتكلم عن التحول إلى الديمقراطية!!) (...) اللى ايده فى النار غير اللى ايده فى الميّة، انت مثلا يمكن أن تضع توقيتات معينة، إنه فى شهر كذا، سنة كذا، ستعلن كذا، (لا تنس أنه يتكلم عن الديمقراطية، وبصراحة لو نسيت فلك الحق كل الحق) وقبل الموعد بخمسة عشرة يوم مثلا تظهر مشكلة من تحت الأرض، لم تكن فى الحسبان، تأخذ جهدك وتلغى البرنامج (الديمقراطى؟!!) وتضطر إلى تأجيله (لعل القارىء لم ينس أن فى بيان ٣٠ مارس كان جمال عبد الناصر ــ من تحت لتحت ــ يؤجل الخطوات الديمقراطية ــ كما أوضحنا من قبل ــ ويحيلها كلها إلى الدستور الدائم، وقد توفى جمال عبد الناصر وليس لمصر دستور دائم، لقد كان ــ دوما ــ يختار من الدساتير "المؤقت"، ومن الديمقراطية "المؤجلة"!!).

- وبرغم اصرار سامى شرف على أن يؤكد لنا أن فكر عبد الناصر قد تطور إلى الديمقراطية فى أواخر أيامه، إلا أنه أجاب بتلقائية عندما سأله عبد الله إمام :

ــ من الذى يقدر المصلحة العامة؟!

ــ صاحب القرار (خل بالك)

ــ أنا كمواطن، لماذا لا أقدّر هذه المصلحة؟

ــ هل لديك الصورة الكاملة، كما هى عند رئيس الجمهورية؟! (صاحب القرار.. وحده).

ــ لا بالتأكيد، لكن من حقى أن أعرف.

ــ من حقك أن تعرف ما يخصك كمواطن(*)

(*) هذه فلسفة خطيرة حكمتنا ومازالت، اعتبار أمور كثيرة ــ (غير الأسرار العسكرية،=

هل رأينا تطور الفكر إلى الديمقراطية، هذا التطور الذى يوافق على أن من أمور الوطن مالا يخص المواطن !!.

- ومرة أخرى عن اخفاء المعلومات (ديمقراطياً) [ولابد أنها أيضا مما لا يخص المواطن!!]، يقول سامى شرف: "لا تستطيع أن تقول إن المسئول الغلانى منحرف اخلاقيا، فتفضحه أمام الناس، وأمام أسرته. (ما كل هذا الحنان مع المنحرفين؟، لماذا لم نر حناناً كهذا. لا نقول مع أعداء الثورة، بل نقول ــ مع أنصار الثورة الذين تخطوا الخط الأحمر، ذلك الخط الذى يفصل بين التفويض الكامل والرغبة فى المشاركة فى صنع القرار؟!).
- لكنه فيما يبدو لم يكن محرماً على المواطن العادى وحده المشاركة فى صنع القرار، لقد كانت محرمة أيضا على رجال النظام (فيما عدا جمال عبد الناصر ــ بالطبع ــ والمؤسسة العسكرية من موضع القوة) إذ يقول سامى شرف رداً على سؤال من عبد الله إمام عن وجود سيد مرعى (الاقطاعى) على رأس برنامج الاصلاح الزراعى (الثورى):

ــ لكنه نفذ أم لم ينفذ؟، ولقد كان جمال عبد الناصر يقيده، رجل فنى ومن أهل الخبرة، كما أنه لم يكن صاحب القرار....

- وعن أصحاب الرأى المخالف، ولو كانوا يريدون تعميق مسار

= الخاصة بكيفية استخدام، السلاح بطريقة خاصة بنا، وهى الأسرار الوحيدة التى لا يمكن أن يعرفها موردو الأسلحة وغير التقنيات الخاصة بأجهزة تخابرنا والتى يجب ألا يعرفها العدو)، أموراً تتعلق بالأمن القومى، ولعل الباحثين فى أى مجال، يقرون إذا ما سئلوا بأى صعوبة تواجههم إذا ما أرادوا الحصول على بيانات وأرقام موثقة عن أى شىء فى هذا البلد، والمثير للضحك الذى هو كالبكاء، أن باحثينا، كانوا ولا يزالون ــ يحصلون على البيانات والأرقام من مصادر أجنبية، أهمها التقرير السنوى للسفارة الامريكية لمصر، وتقارير البنك الدولى.. وقبلهما الكتب التى كانت تكتب عن مصر بواسطة الخبراء الأجانب، على من تخفى ؟الأمور إذن وندعى أنها تمس الأمن القومى، إن السلطات فى العالم الثالث، وإن أدعت الثورية أو أدعت العقلانية لاتمارس الإخفاء القسرى إلا على شعوبها.

الثورة الإشتراكى، يقول سامى شرف "الاعتقال بالنسبة للعناصر الماركسية، كان للحد من نشاطات تؤدى إلى إحداث بلبلة فى اوساط عمالية أو طلابية، أو تطغى عليها شكل المطالبات (تصوروا !!) لا يستحقها من يطالب بها (تصوروا!) فى حين أن النظام يعطى من الحقوق ما هو أكثر من المطلوب (تصوروا!) فى حدود الامكانات المتاحة.

- ويقول سامى شرف: "موضوع التعذيب لابد من الكلام فيه بمنتهى الصراحة والأمانة، وهو أن أى واقعة تعذيب وصلت إلى الرئيس، اتخذت فيها اجراءات عنيفة اتخذت ضد التعذيب الذى كان يتم من وراء ظهر جمال عبد الناصر!!" فعبد الناصر لم يكن يقبل أن يهان أى انسان (والاعتقال ألم يكن إهانة، وتشريد الأسر بعد القبض على عائلها، وإرهاب كل من يمد لها يد المعاونة، ومعاقبة الأقارب حتى الدرجة الثالثة والرابعة والخامسة، ألم تكن فيهما مهانة؟!! إن منتهى المهانة أن تقضى على حرية انسان وكبريائه فقط لأن مطالباته التى لا يستحقها!!، تحدث بلبلة).

- أما تزوير الانتخابات. فيقول عنه إذ سأله عبد الله إمام:

ـ "ثم ما يقال عن تزوير الانتخابات لأشخاص معينين، ليكونوا أعضاء فى مجلس الأمة؟"

ـ "لايوجد تزوير ومن لديه تزوير يثبته، يقول فى هذا المكان حدث تزوير وهذه هى العلامات (حد كان يقدر؟!)، لم يحدث، لا النائب العام قال أن هناك تزويرا ولا قاضى من رؤساء اللجان الانتخابية (قبل أم بعد مذبحة القضاة؟) تحدث عن تزوير، ولا تقرير من الأجهزة تحدث عن ذلك، إنه كلام على علاته أُطلق فى مرحلة حول الانتخابات وفى اعتقادى أن المفروض كان تشويه الصورة، ثم إذا افترضنا جدلاً أن هناك تزويراً، لمصلحة من يتم؟، وقد كنا ومازلنا رجال عبد الناصر (انت فاهم أيها القارىء؟!!)، على كل، فكل من كان يقطن فى دائرة قصر النيل، وفى جاردن سيتى منها بالذات، كان يعرف أن مجدى حسنين ـ من الصف

الثانى للضباط الأحرار، وكان وقتها مسئولاً عن مديرية التحرير ــ كان قد جـــاء بكل أسماء العاملين فى مديريته، وسجلهم فى دائرتنا، وفى كل موعـــد للانتخـــاب كانوا يجيئون بالاتوبيسات يهتفون للمسئول، وكان مجدى حسنين ينجح دائمـــا فـــى دائرتنا، ولا أذكر اننى قابلت أبداً من يؤيده، بل إن الدائرة كلها كباراً وصغاراً قادت حملة شرسة لإنجاح عبد العزيز الشوربجى ــ نقيب المحامين فى فترة من الفترات. ولكن نجح رغم أنف الناخبين السيد مجدى حسنين، وحينما غضب عليه جمال عبــد الناصر، أصبح ينجح عندنا عبد اللطيف بلطية الذى ــ وإن كان مشهوراً فى نقابـــة العمال وفى حلوان ــ لم يكن يعرفه أحد فى دائرتنا.. ولكن يبدو أن هذا ما يقصـــده سامى شرف عندما قال " إذا افترضنا جدلاً أن هناك تزويراً، لمصلحة مـــن يتـــم؟، وقد كنا ــ ومازلنا ــ رجال عبد الناصر"، أى أن تزوير رجال عبد الناصر لانجاح رجال عبد الناصر، لايستثير غرابة، إذا ما افترضه جدلاً وشاهدناه نحـــن واقعـــاً!. وإذا ظللنا نعانى من محترفيه (اصدقاء النظام القديم والأحدث والأكثر حداثة، هـــم هم، حتى الأن)!.

الأن نقدم تعريفاً لديمقراطية جمال عبد الناصر :

والأن لنلخص الديمقراطية كما كان يعرفها جمال عبد النـــاصر (وضمنـــها المؤجلة بالقطع) كانت الديمقراطية تعنى لديه:

١ــ النظام يقوم بكل ما هو ممكن لتحقيق مصالح الناس (الشعب، الجماهير، الأمة، الوطن)، ومالا يقوم به النظام غير ممكن، وليس التقصير أمـــراً وارداً فيـــه، والذى يطالب بشىء ــ لم يحققه النظام بعد ــ يحدث بلبلـــة يســـتحق عليـــها الاعتقال.

٢ــ المشاركة فى صنع القرار، تعنى التأييد [ديمقراطية الموافقة، التعبير السياســـى الذى نحته محمد حسنين هيكل] ولا تعنى ما هو أكثر من هذا.

٣ــ المطلوب من أنصار النظام، "التفسير"، أى يفسرون للجماهير ما تقوم به الثورة

من أعمال حسنة أو سيئة (من نوع لماذا قُبض على فلان، لأنه يحدث بلبلة لاتحتملها المرحلة التاريخية الدقيقة، والمنعطف الخطير للثورية في العالم الثالث...و... ولا يظننى القارئ أتفاكه)، ومطلوب أيضا من أنصار النظام التوعية بأن الثورة لا تستطيع الأن أن تحقق كذا وسوف تحققه في الوقت المناسب، أيضا المطلوب منهم، حماية النظام برصد التحركات المريبة (أى تحرك كانت تراه الثورة مريباً، وكان يراه السلطويون موجها ضد جمال عبد الناصر شخصياً، حتى لو كان هذا التحرك ضد سرقاتهم هم وتجاوزاتهم هم، فلوجه الحقيقة لم يكن جمال عبد الناصر بالشخصية التى تسرق، وإن كان يمكن أن يتجاوز عن بعض السارقين فيما يراه مصلحة نظامه) وللابلاغ عنها، وأن ينقلوا نبض الناس وطلباتهم المسالمة فى تقارير رأى عام إلى السلطة ولا ينتظرون رداً لأن لا أحد يلوى ذراع السلطة العسكرية).

٤ـ عدو النظام. كل من ينتقد تصرفات السلطة علناً (أما الذى ينتقدها سراً مع آخرين فيستحق الاعتقال لأنه متآمر). وكل من يتساءل عن أمر لا يعجبه وينتظر رداً. (وبهذا توسع مفهوم العداء للنظام ليضم الانصار الذين لا يجيدون بلع لسانهم).

٥ـ التنظيم السياسى: موصل جيد بين القمة والقاعدة (عد إلى مواضيع التفسير والتوعية والدعوة التى لابد وأن تلازم الفكر... (فليس فكراً وانما بلبلة مالا يدعو للنظام ويحمل وجهة نظره) وليس موصلا جيداً بين القاعدة والقمة (ارجع إلى موضوع أن انتظار الرد تآمر واضح). ولعله ـ أيضاً ـ من سخرية القدر أن عبد الله إمام يحاول بعد مرور ستة وعشرين عاما على وفاة جمال عبد الناصر أن يتساءل عن مصير التقارير التى كان يقوم بكتابتها اعضاء التنظيم الطليعى وكان هو واحداً منهم، وهل كان يقرأها جمال عبد الناصر، فتكون الاجابة "كانت المحاضر (محاضر اجتماعات التنظيم فى مستوياته المختلفة)، تجمع وتُصعّد حتى أمانة التنظيم، التى تعد تقريراً اسبوعياً، وتقريراً شهريا، تشمل اهم النقاط

الواردة فى محاضر اجتماعات لجان التنظيم... مع هذا أو متوازيا معه، كـــانت تقارير شفوية، وبلاغات فى مسائل ذات طبيعة هامة، ومســائل حيويــة تمــس الجماهير، أو أوضاعاً عامة بالنسبة للعمل ولا تنتظر محضر الاجتماع فتصعدها فوراً (...) ومع مرور الزمن كان يستطيع ـ جمال عبد الناصر ـ أن يميز هذه المحاضر من نظرة واحدة (!!!)، هناك محاضر يهتم بها جداً" ، إن إجابة سـلمى شرف هذه تعنى أن كان المطلوب، كل المطلوب، إعلام الرئيس بكل شىء بمـــا فيه نبض الناس ولم يكن المطلوب ـ ويوحى بهذا السؤال المتأخر لعبد الله إمـــام ـ أن تتلقى رداً.

هذه هى الديمقراطية التى كان يفهمها جمال عبد الناصر حتى آخر أيامه.

ولعل ما قاله سامى شرف عن المؤسسة العسكرية (بقيادة عبد الحكيم عـامر) وتعويقها للديمقراطية، ينطبق أيضا على جمال عبد الناصر "العسكرى جداً"، قـــال سامى شرف "نعم كانت تقيد الحركة ـ المؤسسة العسكرية ـ لأنها لم تكن حسيّسة، فمن الصعب أن تقبل الديمقراطية لأن العسكرى بطبيعته يأمر فيطاع".

والآن وقد كدنا أن ننتهى.. لابد وأن ننتهى بـــهذه الأســئلة لعبـد الله إمـــام واجباتها لسامى شرف، وتعقيب منا..

ـ هل تعتقد أن أمراض الإتحاد الاشتراكى تسللت للتنظيم (الطليعى)؟.

ـ نعم.

ـ ولماذا؟

ـ لا يرجع ذلك إلى عدم دقة الاختيار فقط (خل بالك... بعد هـــذا كلـــه!!)، وانما ترجع أيضا إلى اختلاف اسلوب الثواب والعقاب (...) كان يتم التغاضى عــن أخطاء تنظيمية على حساب العمل العلنى، فى حين المستهدف كان أن تحافظ علـــى الانضباط والثواب والعقاب فى العمل الحزبى بصورة أكثر دقة وأكثر حزماً (خـــل بالك أيضا).

ـ ما هى من وجهة نظرك أخطاء التنظيم الطليعى؟

١ــ لم يكن يضم أحيانا الاشتراكيين الحقيقيين (!).

٢ــ كانت بعض قياداته تمثل البيروقراطية من القيادات الادارية والتنفيذية (هذا الأمر ليس مستغرباً فى تنظيم يحاول أن يقبض على الأمور من فوق) (...) فى حين أن القواعد ذات المصلحة الحقيقية كانوا محجوبين (خل بالك.. جداً).

٣ــ كانت أمانة التنظيم فى بعض المحافظات توكل إلى المحافظ (شخصية تنفيذية) الذى كان غريبا عن الأقليم، ولا يعرف قياداته، ويحيط نفسه بهالة من السكرتارية ورؤساء المدن والمصالح (تنظيم فوقى.. وفى التنظيمات الفوقية يعزل أصحاب المصالح الحقيقية، إذ كيف يجرى الماء فى العالى؟!).

٤ــ البناء كان يتم من موقع السلطة، ولم يتعرض لمواقف نضالية للفرد، وكان الصوت العالى (المؤيد بالطبع، ولا يخطرن ببالك غير هذا!) هو جواز المرور للعضوية فى بعض القطاعات.

٥ــ لم يراع الانتماء الطبقى (فى تنظيم طليعة "الاشتراكيين" !!!!) بالدرجة الكافية للعضوية".

إن كل ما قاله سامى شرف ينطبق على موضوع واحد، أو يدور حول محور واحد هو "سوء اختيار الأعضاء"، الذى أدى إلى تسلسل العناصر الانتهازية إلى التنظيم.

ولكن هل كان الأمر مجرد سوء اختيار وقع فيه النظام ــ بحُسن نية ــ فى محاولته لانشاء تنظيم سياسى شعبى (!!).

لا أظن ذلك.

لقد جاء الأن الوقت الذى يجب أن نتكلم فيه عن "قدر الامكان" التى كانت تتلازم فى مقولات جمال عبد الناصر، مع "العوامل البشرية". و"العوامل الانسانية" (ولعل القارىء يذكر أننا وضعناها ملمحاً ثالثا يرسم صورة الديمقراطية كما كان يفهمها ويريدها جمال عبد الناصر).

لقد كان سوء الاختيار ـ سواء بإرادة جمال عبد الناصر أو بدونها ـ متعمداً فى تنظيمات الثورة . فعندما كان يفاضل جمال عبد الناصر بين "من تشوبه شائبة، وبين أحد الشرفاء الخالصين من الذين اعتادوا تجاوز الخط الأحمر الفاصل بين المشاركة بالتأييد، والدفاع "عمال على بطال" عن السلطة، وبين الرغبة فى المشاركة الحقيقية التى تعنى اصلاح اخطاء النظام بلا هوادة لتحقيق نقاءه وفعاليته الثورية، كان جمال عبد الناصر قبل رجاله، وكان رجاله الناصريين أكثر من جمال عبد الناصر!!)، يسارعون باختيار من "تشوبه شائبة" ذلك أن جمال عبد الناصر ومن هم ناصريون اكثر من رئيس الجمهورية، لم يكونوا يحبون وجع الدماغ، ولم يكن وجع الدماغ شيئاً آخر غير المشاركة الحقيقية الفعالة.

إن شواهد كثيرة فى اختيارات جمال عبد الناصر ورجاله تؤكد أنهم كانوا يقربون الانتهازيين اصحاب الصوت العالى المؤيد للنظام.

ولقد كانت للانتهازيين ميزة أخرى، أو أكثر، كان عبد الناصر ورجاله يقدرونها حق قدرها، فالانتهازى ـ دوما ـ له يد توجعه والنظام يستطيع أن يضغط على هذه اليد التى "توجعه" عندما يحاول أن يتجاوز ـ انتهازياً أيضا ـ الخط الأحمر المذكور، ثم أن الانتهازى منتفع انتفاعاً عاجلاً، وأصحاب الانتفاع العاجل يحمون النظام من باب الحفاظ على "لقمة العيش"، وذلك عكس الشرفاء الذين يدافعون عن "لقمة العيش" الجماعية، سواء قدمها النظام أو شاركوا فى صنع نظام أفضل يستطيع أن يقدمهما (على نفس مبادىء النظام الذى تهرأ، ودقت فيه البيروقراطية، والمباحثية، والفساد أوتادهم).

ولعلى اذكر هنا، مثالاً شديد الوضوح على ما قلت، حدث فى الحياة الطلابية، فبعد مظاهرات الطلبة الأولى فى فبراير ١٩٦٨، هرع التنظيم الطليعى فى محاولة واسعة لتجنيد عدد من القيادات الطلابية البارزة فى جامعتى القاهرة وعين شمس، وبرغم أن افراد التنظيم فى عين شمس كانوا أكثر نجاحاً (واستطيع أن أقول أشد أيمانا وصلابه واستمساكاً بمبادئ الثورة) من أمثال أحمد حمادة، أحمد المحمدى، طارق البنراوى، أحمد الجمال، بسام مخلوف، ماهر مخلوف وغيرهم،

إلا أن "عبد الحميد حسن" هو الذى أخذ نجمه فى الارتفاع (حتى صار إلى ما صار إليه بعد ذلك !!)(*)، عن طريق سامى شرف (كان عبدالحميد حسن رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وكان سامى شرف مسئولا عن جامعة عين شمس ضمن دائرة "شرق القاهرة" برغم هذا صعده، ولم يصعد الناجحين ممن يشرف عليهم شخصياً، وليس اشرافاً خاصا بأوامر من عبدالناصر كما فى حالة عبدالحميد حسن !!!) لالشئ إلا لأن عبدالحميد حسن عادى طموحات الحركة التى افرزته وقال "لا خلاف بين الثورة وشبابها"، و"هيهات لأعداء الشعب" (!!).

ولقد كان يجرى أيضا ـ استبعاد بعض الشرفاء، وتحجيم أدوار الكل، بل ونال بعض الشرفاء (المستمسكون بطموحات الشباب فى ثورتهم) عقوبة السجن (احمد حمادة).

وحين رد الطلبة على حركة الالتفاف الظاهرة التى قادتها السلطة على اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وعزلوا عبدالحميد حسن (رجل سامى شرف، الذى هو بدوره رجل جمال عبدالناصر) وولوا الطالب "حسن عيد" مكانه، لم يتراجع النظام عن تقديم أجل الخدمات لمن والوه ولاءاً أعمى (ثم والوا بعد ذلك نظاماً يمشى فى عكس الاتجاه ولاء أعمى أيضاً) وأبقى على تصعيد نجم عبدالحميد حسن (المعزول طلابيا!).

كان النظام يهتم بـ "الطبيعة البشرية!!"، "والعوامل الإنسانية!!، التى ينجح فى السيطرة على أصحابها، ولهذا كان جمال عبدالناصر كلما تكلم عن النقاء الثورى أردف وراءه جملة "قدر الإمكان"، فبالطبع لم يكن يريد جمال عبد الناصر أو يقبل إنتهازيين خلصاء، إن كل ماكان يريده "مشروع انتهازى"، يبقى تحت السيطرة بيد موجوعة (لم يتعلم جمال عبدالناصر أبداً، إن هؤلاء الذين يسيطر عليهم بالضغط على أيديهم الموجوعة، يستطيع أى آخر السيطرة عليهم بنفس الأسلوب،

(*) لعل القارئ ليس فى حاجه إلى أن اذكره، برحلة صعود عبدالحميد حسن ابتداء من رئيس المجلس الأعلى للشباب، ثم وزيراً للشباب بعد ضرب تنظيمه الطليعى (!!) إلى أن أنتهى محافظاً للجيزة وتم تقديمه للمدعى الاشتراكى فى الثمانينيات .

وفى الاتجاه الآخر المعاكس أيضا) .

لقد كان سوء الأختيار العمدى والتصعيد العمدى لأصحاب الصوت العالى المؤيد للنظام (أخطائه قبل حسناته) على حساب المؤمنين الفعليين، واحداً من الأسباب الكبرى، التى مكنت أنور السادات فيما بعد من أن ينفخ فى تنظيم مكون من ١٥٠ ألفا ، نفخة بسيطة فى ١٥ مايو ١٩٧١، فيطيّر التنظيم (الضخم) فى الهواء، ويذرّيه، ليكتشف الجميع كم كان التنظيم ضعيفا، وقليل الحيلة رغم ضخامة جسده، إن تنظيما يسيطر عليه أصحاب الأيدى الموجوعة، تنظيم هش (يسهل السيطرة على قياداته واستمالتهم وإرهابهم).

أيضا فإن سوء الأختيار العمدى والتصعيد لأصحاب الصوت الجعجاع فى تبرير أعمال السلطة وإجادة الدفاع عن اخطائها، وكان وراء الارتياح الجماهيرى العميق، غير المنكور لإزاحة تنظيم جمال عبد الناصر ورجاله فى ١٥ مايو ١٩٧١ (لا يستطيع منصف أن يزعم أن المصريين لم يتنفسوا الصعداء عندما أزاح أنور السادات قيادات هذا التنظيم فى ١٥ مايو ١٩٧١ ذلك أن الجماهير كانت تراهم عليها لا معها!.

وعليها، لامعها .. كانت ديمقراطية جمال عبدالناصر

وعليها، لا معها.. كانت تنظيماته ..

كان عبدالناصر (الذى يعمل لصالح الجماهير الغفيرة حقا) يرى أنه قادر على إصلاح الأخطاء (دون تدخل الجماهير) لذلك عزل الناس عن مصالحهم الحقيقية فلما مات جمال عبدالناصر، ترك جماهير لا تستطيع الدفاع عن مصالحها، جماهير يمكن خداعها، إذا ما ادعى أحد أنه يمشى على طريق عبدالناصر (وانحنى لتمثاله)، وترك عبد الناصر ــ جوته ــ لنا أنور السادات (الذى يؤكد هيكل أن كان عبدالناصر يعرف أن له يداً توجعه بل أياد) تركه لنا (وكان اختياره)، ليمشى على طريق عبدالناصر بالأستيكة (تعبير شعبى عبقرى) دون أن يجد ممن يرفضون أن

يتفرعن الفرعون ــ أحداً (سليما، خاليا من الجراح) فى مواجهته .*

وهكذا لم يوفر لنا تنظيم جمال عبدالناصر - الرابع _ قوة ترعى مصالح الجماهير ومكتسبات الفقراء أصحاب المصلحة فى الثورة، ترك لنا مجموعة من الشرفاء المحبطين الذين حاولوا فيما بعد أكثر من مرة ولم يستطيعوا) وترك لنا أصحاب "الصوت العالى"، محترفى الدفاع عن أى سلطة، وعن كل الأخطاء، محترفى تزوير رأى الشعب، وقمع المعارضة الشرعية (بممارسة الردح المتعقلن) وترزية القوانين المقيدة للحريات، والمستفيدين من الاشتراكية (الذين بنوا قصوراً، ويعيشون ملوكا، ويتشدقون بالعدالة الاجتماعية)، منظرى "ليس فى المكان احسن مما كان"، والتنفيذيين الذى لا يفعلون شيئاً إلا بـ "توجيهات سيادة الرئيس" (كأن الرئيس يستعين بهم لأنه يفهم أكثر منهم فى تخصصاتهم) تركهم ليمتلئ بهم كل حزب للسلطة، فى كل وقت من الأوقات، وإلى يوم يبعثون يوم تقوم قيامة الشعب.

* هل يسمح القارئ، أن أقول له نكته حدثت بالفعل، ورواها لى محمد فريد حسنين العضو البارز فى التنظيم الطليعى عن الطلاب، قال محمد فريد حسنين، عندما دخلنا السجن فى حكاية (١٥ مايو) سألت قيادة التنظيم، لماذا لم تخرج المظاهرات ضد السادات لتأييدنا، فأجابه واحد منهم (ربنا أمر بالستر) قائلا: لأنهم قبضوا علينا يوم الخميس والجمعة إجازة .

(١١)

المظاهرات التى صنعت من الشيخ عمر عبدالرحمن زعيما للمتطرفين

بدأت حركة الطلبة فى نوفمبر ١٩٦٨، فى ١٩٦٨/١١/١٨، بصدور قانون جديد للتعليم العام (أصدره الدكتور محمد حلمى مراد وزير التعليم فى ذلك الوقت تضمن وضع نظام للاختبارات الدورية للطلاب، واضعاً شروطا أصعب لنجاحهم (فى نهاية كل عام دراسى) محدداً سنوات رسوبهم بعدد معين من السنين بعدها يتم رفت الطالب من التعليم.

قال الاهرام وقتها فى ١٩٦٨/١١/٢٠ إن طلبة مدرسة خاصة فى المنصورة (فى ذلك الزمان، كانت المدارس الخاصة للفاشلين أو للمتعثرين فى التعليم العام، فلم يكن الانفتاح قد قلب الموازين بعد) هم من قاموا بالاضطراب والتظاهر، لكن الثابت أن المعترضين لم يكونوا هم الفاشلون وحدهم، يقول د. أحمد عبد الله فى كتابه (الطلبة والسياسة فى مصر صـ١٩٣):

"سرعة انضمام طلاب المدارس الأخرى بالمدينة إليهم ــ إلى الفاشلين أو المتعثرين ــ تجعل من الصعب ارجاع تلك المظاهر إلى مدرسة واحدة فقط".

وكان أن أنتهى أول أيام التظاهر ــ فى المنصورة بتأكيد المحافظ لتجمع طلابى كبير، فى مدرسة حكومية (وليس المدرسة الخاصة إياها مما يؤكد ما وصل إليه د. أحمد عبدالله بأن القانون لن يطبق بأثر رجعى، وقال ناظر المدرسة الحكومية ــ ولم يكن قوله عارياً من الصحة ــ إن د. حلمى مراد ــ شخصياً ــ وعده فى مكالمة تليفونية بأن تيسيرا ت ليست بالقليلة ستتم بالنسبة للطلاب الذين كانوا مقيدين بالمدارس وقت إعلان القانون ، انتهى الاجتماع بين المحافظ وطلبة الثانوى بصياح أحد الطلبة :

- لابد من الإضراب . . من يضمن لنا ما قاله المحافظ .

(ألا يعكس هذا صورة لانعدام الثقة فى كلام السلطة بعد النكسة، وبعد ألاعيب المتسلطين التى تلت مظاهرات الطلبة فى فبراير، تلك الألاعيب التى استهدفت اخماد الحركة، ونزع المبادرة من الجماهير بالقول المعسول، بينما غابت الأفعال التى تجعل لذلك العسل فى الأقوال حلاوة المصداقية).

وفى اليوم التالى ١٩٦٨/١١/٢١ حدث شيء غريب للغاية .. أعلن طلاب المعهد الدينى بمدينة المنصورة الإضراب عن الدراسة، وسرعان ما تحول إضرابهم إلى مسيرة تطوف بشوارع المدينة ، وما أن اقتربت المسيرة من مديرية الأمن حتى تكررت مأساة حلوان التى راح ضحيتها عدد من العمال فى فبراير ١٩٦٨م فقد فتح عليهم ــ طلاب المعهد الدينى ــ البوليس الرصاص ليسقط أربعة طلاب صرعى للغدر، وتتفجر المدينة بأسرها مطالبة بالديموقراطية وسقوط وزير الداخلية (لا تنسى.. وزير الداخلية هو نفسه ويا للغرابة ــ التى لم يندهش لها أحد ــ أمين التنظيم السياسي الشعبى!! وأمين التنظيم الطليعى السرى الذى قيل إنه كان نواة لتغيير ديمقراطى مزمع!!).

والشيء المثير للدهشة ــ وما هو أكثر أيضا ــ أن الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه " خريف الغضب" (ص ٢٢٢ من طبعته الأولى) عندما أراد أن يستكمل محاسبته الرئيس أنور السادات، (تلك المحاسبة التى إحتلت الكتاب كله، بل ووصلت إلى حد " المحاكمة")، قال: ولقد اختار (السادات) رئيس وزرائه ــ فى ذلك الوقت ــ السيد ممدوح سالم ــ ليرأس هذا الحزب (يقصد حزب مصر) ولم يكن ذلك اختيارا سعيدا، فقد كانت شهرة ممدوح سالم الأساسية، أنه رجل أمن، وبصرف النظر عن مزايا كثيرة للرجل، فإن الأمر بقى مثيرا للجدل (!!!) ولقد كان يمكن فهم ضرورة تعيين رجل أمن فى منصب رئيس الوزراء فى حالة طوارئ، ولكنه كان من الصعب رؤية رجل أمن يحاول لم شتات حزب سياسى صدر له قرار بأن يصبح حزب الأغلبية (وماذا عن حزب قالوا أنه سيقود التحول إلى الديمقراطية!!!!)، وللانصاف فإن ممدوح سالم حاول أن يعطى نفسه هوية سياسية، وفى بعض الأحيان فإنه كاد ينجح، لكن الوضع كله كان ضد طبيعة

الأشياء (!!!)، انتهى كلام الأستاذ هيكل، فهل أصابتكم الدهشة ــ وما هو أكثر من الدهشة ــ مثلما أصابتى، إن هذا الوضع الذى ينتقده الأستاذ هيكل فى حكم السادات كان هو الوضع عينه فى أيام جمال عبد الناصر فيما تلا نكسة ١٩٦٧، فقد كان السيد شعراوى جمعة رجل الأمن، بل ووزير الداخلية، أمين التنظيم السياسى.. الاتحاد الاشتراكى، وحزبه الطليعى أيضاً .. فلماذا لم ينتقد الاستاذ هيكل ذلك الوضع فى عهد عبد الناصر أو بعد عهده؟، لماذا ترك الناس فى مصر يتجهمون إلى أمين الاتحاد الاشتراكى ليفاجأوا بأنهم بين براثن وزير الداخلية، رجل المتعقلات.. (لا أظن أن عذراً للأستاذ هيكل يلوح فى هذا الأمر، حتى إذا ما فهمنا اشارته الخفية عن "حالة الطوارئ" ذلك أن الوقت بعد نكسة ٦٧ كان وقفاً تحاول البلاد فيه أن تلم شتات نفسها بالتغيير، هل كان سيتم التغيير وأصحاب المصلحة مهددون؟، لا عذر للأستاذ هيكل، فهو نفسه الذى أشار إلى أن مزايا أى رجل لا تبرر الخطأ .. وأن هذا الخطأ " ضد طبيعة الأشياء!!] .

ولقد تصرف السيد شعراوى جمعة فى مواجهة مظاهرات ١٩٦٨ فى المنصورة والاسكندرية فى (نوفمبر) كوزير داخلية ولم يتصرف كأمين الاتحاد الاشتراكى أو كأمين للتنظيم أيضاً!.. وأبقى لنا تصرفه .. أسئلة كثيرة محيرة، تتعلق برفض الناس لحزب يدار بطريقة بوليسية.. ذلك أن أحداً لم يتجه إلى حزب الثورة، بل قرر الجميع أن يفور غليانهم بالغضب الصارخ (حدث هذا بعد انتخاب الإتحاد الاشتراكى من القاعدة إلى اللجنة المركزية والتنفيذية العليا !!، فالناس، كل الناس، كانوا يعلمون ويرددون وقتها أن الانتخابات مزورة، وأن مراكز القوى لم تصفى، مثلما هلل بيان ٣٠ مارس].

والغريب، بل المذهل، أن الطلاب كانوا قد طالبوا بذلك المطلب الأخير " قيام دولة المؤسسات (الوتر الذى لعب الرئيس السادات فيما بعد عليه، وأفرغه من محتواه الحقيقى بالطبع) بدلاً من دولة أجهزة الأمن، بعد أقل من شهر واحد، من إصدار جمال عبد الناصر، فى أول نوفمبر ١٩٦٨، قرارات جمهورية بقوانين لضمان الحرية الشخصية للمواطنين، الأمر الذى يفهمها أن الطلاب وأساتذتهم

المتضامنين معهم، كانوا يتعاملون مع جمال عبد الناصر على أساس المثل المعروف (اسمع كلامك أصدقك، أشوف قياداتك استعجب) والحقيقة أن الطلاب " شافوا أموره"، ولم يتعجبوا.. تظاهروا، وجمح بهم الغضب إلى أقصى حدود الجموح.

وكانت مظاهرات نوفمبر هى أقصى حدود الجموح .. تلك المظاهرات التى تصاعدت فى المنصورة، برغم تأكيدات لمسئولين بأن الأمور إلى حل (كما قلنا) وكان أن التحم المعهد الدينى معها فى اليوم التالى.

إن أكثر من علامة استفهام تفرض نفسها فى هذا السياق .

أولها : لماذا خرج طلاب المعهد الدينى . . والقانون لا يمسهم كما يقول **د.أحمد عبدالله** فى كتابه ؟!.

ثانيها : لماذا كررت الشرطة مأساة حلوان بعد تسعة أشهر ، كانت كافية لمراجعة النفس !!

ثالثها : لماذا لم يصدق الطلاب تأكيدات المحافظ .

رابعها : كيف يثور الطلاب بهذا العنف فى مواجهة قرار تعليمى كان صحيحا وتقدميا .

خامسها : لماذا كافأت السعودية أساتذة المعهد الدينى بإعطائهم وظائف لديها فيما بعد.. هؤلاء الأساتذة الذين عاد منهم إلينا " الشيخ عمر عبد الرحمن " فى السبعينيات ".

والآن:

لا يخطئ نظام عاقل الخطأ مرتين ، لكن نظام عبد الناصر فعلها . . " لدغ من جحر واحد مرتين " . . . ولأن النظام وقتها كان عاقلا ، فلابد لنا الآن – لكى نقترب من حقيقة ما حدث ، أن نتصور أن نظام عبد الناصر لم يخطئ عن جهالة ، لكنه أخطأ متعمدا . . (هل يمكن تصور هذا الأمر ؟) . فما أن خرج المعهد الدينى

فى المنصورة بمظاهرة فى صبيحة الخميس ٢١ نوفمبر ١٩٦٨م ، يقل عدد أفرادها عن ألفين (كل طلاب المعهد الدينى فى المنصورة كانوا ألفين فى ذلك الوقت ، ولايعقل أنهم خرجوا جميعاً متظاهرين) ووصلت المظاهرة إلى مديرية أمن الدقهلية (مسافة ليست ببعيدة) . حتى انطلقت رصاصات الشرطة ، ليسقط ثلاثة طلاب وفلاح شهداء (نفس السيناريو الذى حدث فى حلوان فى فبراير ١٩٦٨م) فتستشيط المدينة غضباً ويستشرى فيها وميض كان يرى تحت الرماد (ويوشك أن يكون له اضطرام) وتشتعل نار مظاهرات عارمة فى الشوارع ، مطالبة بسقوط وزير الداخلية ، وبالديموقراطية . . (متى ؟ بعد بيان ٣٠ مارس بثمانية أشهر .. تم فيها انتخاب أعضاء الاتحاد الاشتراكى، ومؤتمره القومى من القاعدة للقمة لأول مرة بعد سلسلة مملة ـ سابقة ـ من التعيينات!!).

لماذا تكرر نفس الخطأ مرتين ؟؟ هذا هو السؤال الذى نحاول أن نجد له الآن إجابة . .

فى اليوم التالى ـ الجمعة ـ بينما اجتمع عدد من طلاب كلية الهندسة جامعة الإسكندرية من أبناء المنصورة (لابد كانوا فى زيارة أهلهم فى عطلة نهاية الأسبوع) ليتفقوا على عقد مؤتمر فى كليتهم بالإسكندرية فى صبيحة السبت ٢٣ نوفمبر، يناقشون فيه ما حدث فى مدينتهم . . كانت الصحف تلعب لعبتها القديمة، لعبة التشويه ، وكان الأهرام يزعم " أن المظاهرات قد اندست فيها عناصر غير طلابية لا يملون من تكرار هذه العبارة، عبارة صمويل هور وصدقى وجمال عبد الناصر والسادات!!)، حاولت مهاجمة مديرية الأمن بالمنصورة ، ولم تنس بالطبع أن تؤكد على أن "الظروف العصبية التى تجتازها البلاد "، " تقتضى توجيه كل الجهود لمواجهة العدو"، هل تتذكر نفس المقولة فى بيان ٣٠ مارس أيضاً .

هل يمكن الآن تصور شيء آخر . . غير أن هؤلاء الطلبة الدقهليين ، قد أيقنوا بأن الحكومة ستعمد إلى الشراسة فى المواجهة لأى تحرك شعبى ، وستمارس تشويهه . . وكأن بيان ٣٠ مارس لم يكن إلا كلمات ، فما حدث نبله ، يحدث بعده

. . . وربما كان – أو هو كان بالفعل – الذى يحدث بعده أشد ضراوة وجورا

ثم تأتى مفاجأة ثانية.

فى فجر السبت ٢٣ نوفمبر ، يطب زوار الفجر ليعتقلوا عددا من القيادات الطلابية السكندرية والذين هم من أصول دقهلية (**محمد ناجى أبو المعاطى – محمد خيرت سعد – بهاء الدين مكاوى**) وتهددهم بضرورة إلغاء المؤتمر الذى كان انعقاده مجرد نية فى صدورهم ، كانوا يحلمون بتحقيقها فى ضحى اليوم نفسه !! (هكذا اتضح للطلاب أن الحكومة قد رتبت نفسها بمنتهى الدقة للمواجهة !!).

وبرغم حسابات الحكومة الدقيقة – أو بسببها !! (وخلى بالك من هذا الأمر) يعقد المؤتمر فى كلية هندسة الإسكندرية. ويبدأه الطالب **محمد ناجى أبو المعاطى** (الذى قبض عليه وهدد قبل أن يشرق الصباح) حاكيا ما حدث له فى الفجر ، وما حدث فى مدينته – المنصورة – فتقاطعه الهتافات (**يا شعراوى يا سفاح ...ولى زمانك .. ولى وراح**)، ويستمر المؤتمر مزجيا الغضب فى النفوس.

وتأتى مفاجأة ثالثة !!

يقول " **رماح أسعد** " (فى كتابه سطور من يوميات الحركة الطلابية المصرية ١٩٦٨م – ١٩٧٣ ، والذى أعود إليه لقص الأحداث) : إن المؤتمر قد فوجئ بدخول **عاطف الشاطر** (رئيس اتحاد كلية الهندسة بالإسكندرية) ومعه **حسين عيد** (رئيس اتحاد طلاب الجمهورية . . الذى جاء به الطلاب، بعد أن عزلوا عبد الحميد حسن، فى تحد واضح وجرئ لعملية الاحتواء التى نجح فيها جمال عبد الناصر لعبد الحميد عن طريق رجله المخابراتى سامى شرف) ليتصدى كلاهما للطلاب مدافعين عن النظام متهمين طلاب المنصورة بالعمالة لإسرائيل . . (تصوروا !!)

وتأتى مفاجأة رابعة . .لكنها فى هذه المرة للحكومة وليست منها!!

فوجئت حكومة المفاجآت . . بعاطف الشاطر الذى أرسلوه ليهاجم زعامات الطلاب الغاضبة ـــ نفسه ـــ يخرج قائدا لمظاهرة كبيرة يحمل فيها علم الكلية بعد ساعتين من النقاش العاصف فى المؤتمر، تصدى له فيهما الطالب **تيمور الملوانى** (يرحمه الله فقد توفى مناضلا منذ سنوات) قالبا الدفة ليس على الحكومة ولكن على **عبد الناصر** شخصيا معتبرا إياه وراء كل ما يحدث (بعد فبراير ١٩٦٨ لم يعد الطلبة يستثنون جمال عبد الناصر من المسئولية عما يحدث من شرور) مفجرا غضب الموجودين فى المؤتمر .

هذه المظاهرة تطرح سؤالا ملغزا (من الواضح أن ألغاز نوفمبر ١٩٦٨م لا تنتهى) هذا السؤال الملغز هو لماذا قاد **عاطف الشاطر** الذى لحق بالمؤتمر مع رئيس اتحاد طلاب الجمهورية لوقف التحرك الطلابى السكندرى من أجل عملاء إسرائيل" (!!!) من طلبة الثانوى وطلبة الاعدادى فى المنصورة) بنفسه مظاهرة تخرج إلى الشارع ، هل تم إقناعه داخل المؤتمر بأن ما جاء من أجله غير عادل، فقرر أن يواجه من أرسلوه .. أن يواجههم فى الشارع؟، أم أن غرضا آخر كان يكمن وراء قيادته للمظاهرة ؟!!

هذا السؤال سنحاول أيضا أن نبحث له عن إجابة مقنعة . . سنحاول ذلك مجتهدين؟!

والحقيقة أن البوليس المصرى لم يحاول مثلنا أن يسأل نفسه هذا السؤال فما أن شاهد المظاهرة، حتى بدأ التعامل معها بوحشية، وسارع بالقبض على **عاطف الشاطر** وآخرين بينما (وخلى بالك من هذه أيضا) كان **عاطف الشاطر** يحاول التفاهم مع رجال الأمن !!

وكان أن تراجع الطلاب إلى داخل الجامعة أمام ضراوة ووحشية قوات الأمن معهم . . . وفى تلك اللحظة قرر المحافظ **أحمد كامل محافظ الاسكندرية**

(كان من قبل أمين التنظيم الشبابى قيادة كبرى فى المخابرات العامة !!!! أن يغير من خططه ، وأن يواجه الطلبة بنفسه داخل أسوار الجامعة، ليقنعهم بألا يعمدوا إلى تصعيد حدة التوتر فى الموقف (كان المحافظ قد أشرف بنفسه على وضع الترتيبات الأمنية والجامعية لمواجهة الاضطرابات فى مساء اليوم السابق - الجمعة - مؤكدا على مدير الأمن ضمان حظر خروج الطلاب إلى الشارع فى مظاهرات)، (أنظر الطلبة والسياسة فى مصر د. **أحمد عبدالله** ص١٩٥) . .

ولعل من الأوفق الآن أن نترك لبطل الحادثة فرصة الكلام عنها بنفسه .

فى مذكراته المنشورة بالمصور عدد ١٩٩٠/٤/٢٠م قال **أحمد كامل:** " ذهبت إلى الجامعة، كانت تحت حصار بوليسى مكثف ، لم أكن بعد وجها مألوفا كمحافظ (!!) (كان قد عين كمحافظ منذ أيام)، ولذلك وجدت إلى جوارى ضابط شرطة يطلق بندقية رش فى اتجاه الطلاب المعتصمين ، خطفت البندقية من يده ، وكادت تنشب معركة جانبية (!!!) لولا أن رآنى سيد فهمى مدير مباحث الإسكندرية آنذاك (وبعدها وزير الداخلية الذى واجه مظاهرات ١٩٧٧ التى سماها أنور السادات " إنتفاضة الحرامية " . وكأن الحرامية هم من كانوا ينتفضون فى عصره من الجوع !!!!) . قلت له الكلام مازال (**لأحمد كامل**): أخرج هذا الضابط بعيدا من هنا . . . وأحضر **عاطف الشاطر** من السجن فورا (!!) . . جاءنى **سيد فهمى بعاطف الشاطر** وهو فى نوبة بكاء حادة، قال (**عاطف الشاطر**) : ضربونى يا فندم قلت له : كن رجلا (!!) أدخل إلى الجامعة الآن واجمع زملاءك فى القاعة الكبيرة ، وسوف أدخل وراءك ونجلس ونتناقش جميعا . . جلست فى مواجهة الطلاب الغاضبين ، وقد أحضروا طالبا ينزف من طلقات البندقية ، ثم قال أحدهم بصوت محرض ، أنظر ماذا يفعلون !!! أى تفاهم يمكن أن يكون بيننا؟ قلت أنا لا أعرف شيء (!!) ووزير الداخلية هو الذى أعطى تعليماته لمسئولى الأمن بهذا الخصوص ، وهو قرار خاطئ تماما (!!) واستمر الحوار المنفعل .. بينما مسئولو الأمن خارج حرم الجامعة فى حالة ترقب وقلق (يقصد خوفا على المحافظ بالطبع) ، وهكذا اتصلوا بوزير الداخلية ، واتصلوا بمكتب الرئيس ، وقالوا إن المحافظ دخل مبنى الجامعة، ونحن نخشى أن يفتك به

الطلاب الغاضبون ، ماذا نفعل ؟! هل نقتحم الجامعة لإنقاذه ؟! ونقل سامى شرف على الفور الموقف إلى الرئيس **جمال عبد الناصر** ، وكان رده " لا اقتحام.. اتركوه يتصرف وحده " .

هذه رواية **أحمد كامل** لما حدث ، لكن الطلبة **ورماح أسعد ود. احمد عبدالله** (فى كتابيهما المذكورين سابقا) يجمعون على رواية أخرى تتضمن أن الطلبة احتجزوا أحمد كامل داخل أسوار الجامعة إلى أن أمر بالإفراج عن **عاطف الشاطر** وزملائه المعتقلين (ولم يكن الأمر مما تفتق عنه ذهنه السياسى) وهذه هى الرواية الحقيقية بالفعل، التى خجل أحمد كامل ــ رحمه الله ــ من اعلانها (وتلك الرواية الحقيقية تعنى أن المحافظ أمر ــ مرغما ــ بالافراج عن عاطف الشاطر)... وأنهم قبل مغادرتهم الجامعة أرسلوا نسخة خطية من المطالب الطلابية التى تضمنت ، محاكمة **شعراوى جمعة** وكل من شارك فى أحداث المنصورة / حرية الصحافة والنشر / الإفراج عن المعتقلين السياسيين / قيام دولة المؤسسات محل دولة أجهزة الأمن / (ثم هذا الأمر الملفت للنظر) تطبيق برنامج ٣٠ مارس تطبيقا صحيحا!!، (إن هذا يرد على من يصورون أن بيان ٣٠ مارس كان غاية المراد من المتحكم فى حرية العباد!!).

الطلاب يطبعون المنشورات

استمر اعتصام الطلاب واستولوا على ماكينة طباعة "رونيو" خاصة بالكلية، (كلية الهندسة)، وبدأوا فى كتابة سلسلة من البيانات ، وزعت ــ بطريقة ما ــ على نطاق واسع بمدينة الإسكندرية ، وبعضها وزع بالطبع أثناء مظاهرات تلت بدء اعتصام كلية الهندسة . . وقد ساعد الطلاب أقلية من هيئة التدريس على رأسهم **الدكتور عصمت زين الدين**، رئيس قسم الفيزياء النووية، الذى أسهم بدور فعال لن ينساه له التاريخ، ولن تنساه له الوطنية المصرية فى الانتفاضة الطلابية .

ثم مفاجأة خامسة !!

فى اليوم التالى أعلنت الحكومة إغلاق الجامعة . وكانت المفاجأة الخامسة

للحكومة أيضا وليست منها . . . فقد انفجرت المظاهرات خارج الجامعة والتى يقول عنها د. **أحمد عبدالله** فى كتابه " الطلبة والسياسة فى مصر ص١٩٧" "فى يوم الاثنين ٢٥ نوفمبر حدث إضراب بالإسكندرية كما شهدت المدينة مظاهرات على نطاق لم تشهده من قبل ، انتهت بصدام دام مع الشرطة ، وكما توضح أرقام الخسائر فإن الطلاب لم يكونوا وحدهم فى هذه الأحداث ، إذ لقى ستة عشر شخصا مصرعهم (٣ طلاب ، ١٢ من الأهالى وتلميذ عمره ١٢ سنة – سقط تحت أقدام المتظاهرين)، بينما أبلغ عن وصول ١٦٧ مصابا من الأهالى إلى المستشفيات، وأعلنت الشرطة إصابة ٢٤٧ من رجالها (١٩ ضابطا ٢٢٨ جنديا)، وألقى القبض على ٤٦٢ شخصا، استمر حبس ٣٦٥ منهم على ذمة التحقيق . . . " وبالطبع حصلت خسائر فى الملكيات العامة والخاصة (أورد الأرقام ليرى حجم المظاهرات الذى تتحدث عنه هذه الارقام).

أما الطلبة المعتصمون داخل الجامعة ، والذين قال عنهم الأهرام فى ١٩٦٨/١١/٢٨م ، أنهم أنهوا اعتصامهم بسبب " إحساسهم بالندم والأسف لما حدث من تخريب فى المدينة مؤخرا... كما أنهم شعروا " بانفضاض الشارع عنهم، ودهشته (دهشة الشارع) من موقفهم، الذى كان يبدو بدون مسوغ واضح " هؤلاء الطلبة الذين قال عنهم الأهرام ما قاله ، وروى عنهم **أحمد كامل** رواية أخرى فى المصور (بنفس التاريخ السابق).

قال **أحمد كامل** : " خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار (الذى أجراه مع الطلبة داخل الجامعة) لن تحقق النتائج المنتظرة ، اتصلت بسامى شرف وقلت له : أبلغ الرئيس أننى إطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (عمد الأهرام وقتها على اخفاء هذه الحقيقة الخطيرة، عملا بحرية الصحافة!!!). . . بعد دقائق جاء رد **سامى** : الرئيس أمرنى بأن أتصل بالفريق أول **محمد فوزى** : القائد العام للقوات المسلحة ، وأن أبلغه بأن يتصل بك، بعد دقائق أخرى كلمنى الفريق أول **محمد فوزى** وقال : " لقد وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك . . (قيادة **أحمد كامل**) " أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور"

(سيحاربون!!)، قلت (أحمد كامل) بعدها لقائد المنطقة العسكرية الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليوكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة . . كما طلبت منه وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها فى استعراض للقوة أمام كلية الهندسة . . عندما وصلت مجموعة طائرات الهليوكوبتر فوق كلية الهندسة ، شاركت الطبيعة فى إخراج مسرحى للموقف فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر ، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم ، فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة ، وتمركزت بعض الوحدات فى الأستاد الرياضى المجاور . . ورن جرس التليفون فى مكتبى . . كان المتحدث أحد قادة الاعتصام . . قال : " لقد قررنا إنهاء الاعتصام " .

هكذا انتهت الأحداث الدامية فى نوفمبر ١٩٦٨ ، وبدأ المجتمع مناقشتها والنظام أيضا ، مناقشات مستفيضة . . . أما وقد مرت تسع وعشرون سنة الآن . . فقد وجب علينا أن نناقشها نحن من زاوية لم يتطرق لها فى ظنى أحد . . وربما كانت – فى ظنى أيضا – هى الزاوية التى كان يجب أن يتجه إليها نظر المحللين .

نتوقف لتحليل المفاجآت الخمس :

لقد عرضنا الأمر فى مفاجئات خمس . . ثلاث منها فاجأت الحكومة بها الطلاب ، واثنتان فاجأ بهما الطلاب والشعب والحكومة .

المفاجآت الثلاثة الأولى : تؤكد أن الحكومة كانت قد اتخذت قرارا، أعدت له عدتها جيدا ـــ منذ مظاهرات فبراير التى فاجآتها ـــ بالا تسمح لما حدث فى فبراير ١٩٦٨ بأن يتكرر . . وأن قرارها تضمن مواجهة أى تحرك شعبى إذا ما حدث بمنتهى القوة وبمنتهى الشراسة (لهذا صنعوا قوات الأمن المركزى) تحت غطاء اعلامى يخفى الحقائق يستبدلها بما يشوه الطلاب وحركتهم البريئة . . إن قرارا كهذا لا أظن أن المجال والشواهد يسمحان بأن نظن الظنون بغيره)، يرد على أسئلة كثيرة غامضة أولها لماذا كررت الحكومة مأساة حلوان فى المنصورة . . وبدأت بإطلاق

(ووزير الداخلية فى نفس الآن!!) ومجموعة ثانية تتصل مباشرة بسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات، والرجل الثانى فى التنظيم الطليعى أو والثالث على الأكثر .. أقول أنهم أبطال تراجيديون.. لماذا لأنهم كانوا ـ حائرين ـ بين التزامهم بما تتفق عليه تنظيمات النظام، وبين موقفهم أمام الطلاب فهم إذا ماتجاوبوا مع الطلاب اعتبرهم النظام خونة يجب ألا يفلتوا من العقاب، وهم إن تجاوبوا مع النظام، اعتبرتهم القواعد الطلابية خونة أو مباحث على أقل تقدير (لا ينفى كونهم أبطالا تراجيديين، أن بعضهم انتفع ومازال بثمار موقفه التراجيدي هذا، وبعضهم لم ينتفع ودفع ثمنا غاليا لازدواجية فرضت عليه فرضا) وخصوصا فى لحظات الصخب الطلابى المعارض .

ولقد وضع **عاطف الشاطر** البطل التراجيدي فى هذا الموقف ، أرادوا له أن يشارك فى إنهاء حركة الطلاب قبل أن تستشرى . . ولكنه وسط المؤتمر الصاخب عجز عن تنفيذ ما أرسل من أجله ، فتصور - وهذا تخيلى للأمر - أنه إذا خرج بمظاهرة سلمية (الأمر الذى كان يصر عليه الطلاب)، تعلن رأيها، وإذا ما اتفق مع رجال الأمن على ألا يتعرضوا لها، فإنه يكون بذلك قد حقق ما يتمناه الطلاب وما لا يقلق النظام إذ ستكون المظاهرة تحت سيطرته، سيقول الطلاب ما يريدون وينتهى الأمر عند هذا الحد.. لكنه لم يستطع أن يقنع رجال الأمن . . وقبضوا عليه . . وحسب ما كانوا قد أعدوا له أنفسهم سلفا، واجهوا المظاهرات بعنف ، بل وضربوا عاطف الشاطر كما أكد ـ أحمد كامل ـ فى مديرية الأمن لأنه تجاسر وفعل ما تجمعت كلمتهم على حتمية ألا يحدث ، وهو خروج المظاهرات إلى الشارع . . وعندما عاد **عاطف الشاطر** إلى الجامعة بضغط طلابى . . لم يستطع البطل التراجيدى إلا أن يتخذ موقفا يرضى عنه من أخرجوه من الاحتجاز، وأنقذوه من الضرب المبرح، هكذا سيق البطل التراجيدى إلى حتفه . . وإلى منفاه فى أبعد نقطة على الحدود الجنوبية لمصر.. وإلى شك بعض ابناء الحركة الطلابية فى نواياه حتى اليوم (عاطف الشاطر الآن فى المغرب على ما أظن يعمل بالتجارة).

أما المفاجأة الثانية والتى عبرنا عنها بأن زوار الفجر هددوا القيادات

الطلابية بالويل إذا ما حدث المؤتمر الذى كانوا يزعمون إقامته ، فتعنى أن نوعـــا آخر من أبطال غير تراجيديين ــ مباحثيين ــ قد اخترقت بهم أجهزة الأمن النشـاط الطلابى (بينما منعت فى العلن حرس الجامعة من التدخل فى نشاط الطـــلاب السياسي !!) كانوا يؤدون واجبهم على أحسن وجه ، وهو الأمر الذى أضاف إلـــى مطالب طلبة الإسكندرية مطلبهم ، قيام دولة المؤسسات بدلا مـــن دولـــة أجـــهزة الأمن!!

ومرة أخرى، نتوقف عند ما وصلنا إليه قبلا

لقد فوجئت الحكومة - كما فاجأت الطلاب - بتلك المواجهة الشعبية العنيفـة لإجراءاتها - العنيفة أيضا - (ارجع إلى المفاجأتين الرابعة والخامسة) لكن بدا ــ فى ذلك الوقت ــ أن الحكومة (وقصة تدخل الجيش الذى طالب به أحمـــد كـــامل وتدخل بالفعل كما رأينا توضح ذلك) لن تتوانى عن التصعيـــد فـــى مواجهـــة أى تصعيد . . الأمر الذى خشى مغبته الطلاب فهو من ناحية سيعرض البلد لما يجـب ألا له . . ومن ناحية أخرى لن يوفر مناخا لتحقيق أى مطـــالب ، وهكـــذا عندمـــا أغلقت الحكومة الجامعات، وراح طلاب الجامعة لاعتصام كلية طب جامعة القاهرة الذى أعلنت عنه الكلية قبل يوم الإغلاق . . تفرقوا لا يعرفون ماذا يفعلـــون فـــى مواجهة حكومة مصرة على التصعيد ؟!! فى مواجهة سلطة أرادت ألا تتصرف إلا كسلطة !!!!! مصممة على ألا تتغير وعلى أن تفجر الدنيا تفجيرا لا تتراجع عنه إذا مالم أحد أنفها.. مجرد أنفها.

والحقيقة أيضا . . أن عفريتا أخر كان فى الطريق إلينـــا . . إن مواجهـــة مظاهرات المنصورة بالرصاص ، تلك التى ضمت أقل من ألفيـــن (عـــدد بســـيط للغاية) من طلاب المعهد الدينى ، فتحت فتحا على أساتذته (معيديـــن ومدرســـين وأساتذة) فقد تلقفتهم المملكة العربية السعودية، مثلهم مثل الإخوان المســـلمين . . وعاد إلينا منها فيمن ذهبوا غاضبين ، **الشيخ عمر عبد الرحمن** ومعـــاونوه الذيـــن أصبحوا فيما بعد أعمدة للإرهاب ، يتخذون حجة فى مواجهتنا تبرر إرهابهم بـــأن

إرهابا قد وقع عليهم فى المظاهرات . . وفى السجون، وفى حياة الملايين غير المحتملة أيضا.

النور فى جنازة عبد المنعم رياض

لكن – برغم هذا السواد – فإن نورا باهرا قد سطع وهدأ النفوس . . هذا النور هو حرب الاستنزاف العظيمة . . تلك الحرب التى لولاها لتبعثر الوطن شظايا ، ولعل جنازة العظيم **عبد المنعم رياض** . . رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية، البطل الذى مات شهيدا فى أقرب النقاط إلى العدو (المعدية رقم ٦) والتى ضمت الألوف المؤلفة، توحى بأن التحاما بين الشعب وقيادته لن يتم إلا فى طريق بذل كل ما هو غال فى سبيل حرية هذا الوطن ، وليس أغلى على الوطن من أبنائه الذين يفدونه بحياتهم ، ليبقوا أحياء ، ولكن البعض لا يعلمون . .

فى جنازة **عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة** وصاحب اليد البيضاء فى إعادة بنائها . . والوصول بها إلى مستوى بدأ يقلق العدو ويسعى لاستنزافه ، وجد **جمال عبد الناصر** نفسه والجماهير تدفعه من الخلف – فعليا – فى مآقيها دموع ، وفى قلبها نشوة بأن القيادات تستشهد فى مواقع شديدة القرب من العدو، تستشهد حيث يجب أن تكون الوقفة وأن يكون الاستشهاد . . نشوة إلى جانب الحزن الشامخ لفقدان رجل عظيم . .

وجد **عبدالناصر** الجماهير تدفعه فى اندفاعها وراء الجثمان.

وفهم **جمال عبد الناصر** الذى كان يفهم نبض الجماهير.. أن الجماهير لا تدفعه إلى جامع الكخيا . . فهم أن الجماهير تدفعه إلى سيناء، وأن دفعها له يرضيها ويهدئ خواطرها ويؤجل خلافاتها لحين تحقيق الأمر الأهم . . وبين هذه الجماهير كان الطلاب.

الطلبة تعد لميثاق وطنى جديد :

فى أثناء اشتعال حرب الاستنزاف، ذلك الاشتعال المقدس ، اكتفى الطـــلاب بمجلات الحائط فى كلياتهم يعبرون فيها عن قناعتهم . . يقول عادل بدوى ، (طالب كلية التجارة جامعة عين شمس وقتها والمحاسب الآن): منذ أوائل ١٩٦٩م، ظـــهر الخلاف جليا بين أعضاء التنظيم الطليعى الناشئ (بعض الأبطال الـــتراجيديين) ، وبين كتلة كبيرة من الشباب الوطنى، الذى اتسعت شقة الخلاف بينه وبيــن رجــال النظام القائم (لكن حرب الاستنزاف كانت ــ كما قلنا ــ تلقى الثلج المدمـــم علـــى الغليان الغضوب) وقد تمحور الخلاف، حول قضيتين أساسيتين أولاهما : ضرورة الجدية فى تغيير نية وأساليب الحكم فى إطار حرب التحرير الوطنيـــة، وثانيتـــهما ضرورة إرساء قواعد الديموقراطية وحرية التعبير . . وراحت المجـــلات تتجــه بهذين الهمين إلى مناقشات غاية فى العمق، حول الأوضاع السياسية لمصر والعـالم (بالطبع كان أعضاء التنظيم الطليعى يرون أن للسلطة مبررات لموقفها الرافض أو فى أحسن الأحوال المؤجل للتغيير، تكمن فـــى خطـــورة المواجهـــة مـــع العــدو الصهيونى، وإن التغيير المطلوب وجزء كبير منه قد تم بالفعل من وجهة نظرهـم وحدهم!!! يجب أن ينتظر التحرير الذى يجب أن يكون ــ بكل معنى الكلمـــة ــ الهم الذى لاهم قبله ولا بعده، وكان بعض الأساتذة - ولعلهم أيضا كانوا أعضاء فى التنظيم الطليعى ــ يساعدونهم على هذه التحليلات ويوفـــرون ظروفـا معاكســة لمجلات الحائط المعارضة).

ويقول عادل بدوى أيضا (محاسب الآن) : أنه فـــى أوائـــل عـــام ١٩٧٠م، أصدر طلاب كلية التجارة جامعة عين شمس ثلاثة أعداد متتالية من مجلة التجـــارة [قام على إصدارها **محمد لطفى حسونة** (أستاذ فى كليـــة التجـــارة الآن) **وهـــانى الحسينى** (محاسب الآن) **وعادل بدوى**]، لم تكلف أو تطلب من اتحاد الطلبة مليمـــا واحدا . فقد تم تمويلها من الإعلانات . .

كانت الأعداد الثلاثة من المجلة تحتوى على مقالات مناهضة لمـــا طرحــه

هيكل من أن ٩٩% من أوراق اللعبة فى يد أمريكا (فى ذلك الوقت المبكر!!، بينما الجميع يظنون أن هذه الأطروحة المدمرة كانت اكتشافا ساداتيا) وتؤكد على الدور الشعبى الوطنى فى مقاومة العدوان ، عارضة للتجارب الثورية العالمية ، وكيفية مقاومتها للتسلط الأمريكي المباشر . .

وفى عدد من هذه الأعداد الثلاثة تم عرض برنامج عمل وطنى جديد (ذلك أن ميعاد تعديل الميثاق الوطنى كان سيحل بعد سنتين ، كما أوضح **جمال عبد الناصر** وقت إعلانه مؤكدا أن الميثاق الوطنى سيتم تعديله بعد عشر سنوات) لتبدأ المناقشات حول البرنامج الجديد ومازال أمام الشعب فسحة من الوقت تمكنه من المناقشة . . والحقيقة أن هذه الدعوة وجدت استجابة فى الحركة الطلابية الأمر الذى جعل الأستاذ الدكتور **محمد فتحى محمد على** (أستاذ الإحصاء والذى أصبح وزيرا للتعليم فى وقت لاحق) يحذر القائمين على المجلة من تخوفه بأن اعتقالهم سيتم قريبا (فقد كان على حد تعبير عادل بدوى "واصلا") فى نفس الوقت الذى كان الدكتور **مصطفى زهير** عميد الكلية يقف مع الطلاب مؤكدا على حقهم فى التعبير عن إرادتهم المستقلة.

وفى يونيو ١٩٧٠م يقول **عادل بدوى** : تقدم وليام روجرز بمبادرته الشهيرة بإيقاف إطلاق النار تمهيدا للتسوية بين مصر وإسرائيل . . تلك المبادرة التى رفضها **السادات !!** نائب رئيس الجمهورية !!!! ووافق عليها **جمال عبد الناصر** رئيس الجمهورية، ليتمكن من إقامة حائط الصواريخ "سام" لحماية العمق، المصرى من غارات العدو" الديموقراطى!!)، على الأطفال فى مدارسهم، والعمال فى مصانعهم والنيل عند جسوره ، وبينها السد العالى، وأيضا ليتمكن الجيش من العبور فى ظلها).

يقول **عادل بدوى** : كانت لدينا قناعة كبرى فى أن **جمال عبد الناصر** سوف يرفضها ، لما لها من تأثير سيئ على المقاتل المصرى، والوضع العربى الساخن والمؤهل لحرب التحرير الوطنية ، وفوجئنا بقبول جمال عبد الناصر لها وقمنا

بإعداد بيان فى منشور يوزع على شعب مصر، مؤكدين أن قبول المبـادرة (فى رأيهم) بداية للتنازل عن اللاءات الثلاث التى اتفقت عليها الأمة العربية كلها فى الخرطوم . . وقبل توزيعهم للبيان فوجئوا بالقبض عليهم ظهر ٥ أغسطس ١٩٧٠ [**محمد عيد** ، **عادل بدوى** ، **صلاح زين الدين** ، **عادل عبد العظيم** ، **محمد عبد الغفار** " كان عاملا بكلية الزراعة " رواية عبد العظيم (ناشرة الآن) **فاطمة الديساوى**) ، **وسمية عدلى** ، **وزينب عبد العظيم** (كان قرانها معقودا على **محمد عيد**"] واقتيدوا من مزرعة بالهرم كانوا يطبعون فيها البيان إلى سجن المخابرات العامة لمدة خمسة أيام ، ثم إلى سجنى الاستئناف والقناطر (للنساء) ليقضوا تسعة شهور حتى إبريل ١٩٧١م ، حين أفرج عنهم أنور السادات فى الإفراج الشامل الذى أراد أن يزيد به حجم شعبيته قبل حركة مايو ١٩٧١ .

إن كلمة **عادل بدوى** تؤكد ما وصلنا إليه . . من أن الهدوء الظاهرى لحركة الطلاب لم يكن إلا نتيجة لحرب الاستنزاف العظيمة وأن بداية السخونة فى حركة الطلاب جاءت مع وقف إطلاق النار (برغم أن أسباب **عبد الناصر** لوقف النار كانت مقنعة ودور حائط الصواريخ المصرية العظيم وأبطاله الأعظم خير شاهد على كون أسباب عبد الناصر مقنعة) لأن حلم التحرير لم يكن يحتمل أى تلكؤ أيا كان سببه !!

نقول : إن الهدوء كان ظاهريا ذلك أن الجماعات الدينية فى الكليات المختلفة وعلى قمتها كليتا الطب والهندسة كانتا تعدان لشىء . . وكانت جماعة أنصار الثورة الفلسطينية بكلية الهندسة ، والجمعية العلمية بكلية الطب جامعة القاهرة تعدان – علموا أم لم يعلموا – لحركة ١٩٧٢ العظيمة . .

(١٢)

على مسئولية قائد سلاح الطيران فى ١٩٦٨ عبدالناصر قال: إضربوا الطلبة بالطيران !!!

عندما كتبت فى بداية مقال العدد الماضى: "لايخطىء نظام عـــاقل الخطـــأ مرتين، لكن نظام عبدالناصر فعلها!! لدغ من جحر واحد مرتين! ولأن النظام كـــان وقتها عاقلاً، فلابد لنا الآن لكى نقترب من حقيقة ما حدث، أن نتصـــور أن نظـــام عبدالناصر لم يخطىء عن جهالة، لكنه أخطأ متعمداً" عندما كتبـــت ذلـــك، كنـــت استقرئ أحداث نوفمبر ١٩٦٨، ودلنى الاستقراء على أن مظاهرات المنصورة فـــى اليوم الأول لم تكن تستاهل كل هذه المواجهة الساخنة، وأن مظاهرة للمعهد الدينـــى فى اليوم التالى لم يتعد عددها الألفين ما كان يجب أن تخيـــف أحـــداً، ولا أن تتـــم مواجهتهم بالرصاص! ليسقط أربعة من الشهداء، وتشتعل المدينة، ويمتـــد الأوار إلى الإسكندرية مع الطلبة الدقهلاويين، ليفاجأ الطلاب فى الإسكندرية بشراسة أشد، وبشهداء أكثر وصل عددهم إلى ستة عشر!!

كنت أقصد أن السلطة كانت قد بيتت النية لمواجهة أى تظـــاهرات بمنتـــهى العنف، ومنذ اللحظة الأولى .. حتى بعد أن تعلمت درس حلوان فى فبراير ١٩٦٨، عندما أطلقت الرصاص، فـــأطلقت الغيـــظ المكبـــوت، والحنـــاجر ضـــد الظلـــم والديكتاتورية، كانت قد بيتت النية على أن تلدغ من نفس الجحر مرتين، لكى تـــرى المعارضين عينها الحمراء!!.

والحقيقة أننى كنت أتوقع ردود فعل عنيفة لهذا المقال .. فـــالذين يحبـــون عبدالناصر ــــ ولست بعيداً عنهم ــــ لن يقبلوا بسهولة هذا الاســـتقراء الـــذى كـــان اجتهادا بسيطا فى متابعة أحداث شديدة الوضوح ناصعة الدلالة .. ولقد حـــدث مـــا توقعت وليس هذا هو المهم .. المهم أن حدث ما لم أتوقع.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة مساء بقليل حين دق جرس التليفون في منزلي .. رفعت السماعة .. وجاءني الصوت من الناحية الأخرى قائلاً:

ــ أنا اللواء متقاعد مصطفى الحناوى.

ولابد أن الرجل لاحظ ارتباكي .. وأن ذكاءه ألهمه سبب الارتباك .. فبادرني قائلاً:

ــ لقد كنت قائد سلاح الطيران فيما تلى نكسة يونيو ١٩٦٧ وحتى يونيو ١٩٦٩.

وقال لى الرجل الكريم: إنه تابع المقالات الفائتة، وأن لديه ما يريد أن يقوله، وأن هذا الكلام على حد تعبيره، يرسم تفاصيل الصورة على الجانب غير المرئى من الجبل .. (تعبير طائر!) ثم قال الرجل الكريم كلاماً أذهلني .. أذهلني حقيقة.

تخلصت من ذهولي واتصلت باللواء مصطفى الحناوى .. أطلب ميعاداً لمقابلته والتسجيل له .. وأشهد أن كان الرجل الشرقاوى كريما للغاية .. كريما فى دعوته، وكريما فى إسهابه أيضاً عندما جلست إليه فى منزله وبيننا شريط التسجيل دائراً فى الجهاز وحولنا الكرم الشرقاوى الشهير.

قال الرجل:

ــ نقطتان أثرتهما فى مقالاتك، استفزتاني، جعلتاني أقرر أن أنفس بخاراً مكتوماً عذبني لسنوات طوال .. الأولى: أن الفساد هو الذى هزمنا فى يونيو ١٩٦٧ وليست إسرائيل .. الجهل، وليس جيش الدفاع الإسرائيلى، لقد كنت محقاً عندما قلت إن قيادات حرب ٦٧ بكل مستوياتها ظلمت الجيش المصرى .. حقيقة .. الجيش كان مظلوماً .. مظلوماً .. مظلوماً.

راغت عينا الرجل وترغرغتا .. فأشاح ناظراً إلى السقف .. ولما عاد .. كان يبلع فى ريقه غصة ويقول:

ـ النقطة الثانية كانت هى العنف الذى قررت السلطة ـ وقتها ـ أن تواجه به الطلاب المتظاهرين فى نوفمبر ١٩٦٨، ولم يكن تبريرها للعنف مقبولاً ولا مقنعاً.

تنهد الرجل نافساً بعض بخاره المكتوم .. وأردف والغضب يرجه:

ـ للأسف الشديد .. لقد كنت شاهد عيان على النقطتين .. ولن يريحنى إلا أن أدلى بشهادتى كاملة.

لحظتها أدركت أن الرجل لن يكون فى حاجة إلى أسئلة تقود الحديث .. لقد أيقنت أن الرجل ـ كما قال تماما ـ لا يريد إلا أن ينفس بخاراً قرر ألا يظل مكتوماً .. وأنه لن يكون علىّ ـ بعد ـ إلا أن ألتقط بعض البخار وأنقله لكم:

فى أول مايو ١٩٦٧ خطب جمال عبدالناصر قائلاً: إن أحداً لن يفرض عليه أن يحارب إسرائيل، فنحن من يختار الزمان والمكان للمعركة المقبلة، وقال: "لما أبنى مصنع أبقى بأحارب إسرائيل، لما أعمل مشروع أبقى بأحاربها" برغم هذا أعلن عبدالناصر التعبئة العامة فى منتصف مايو لأن إسرائيل تهدد الجولان بحشود عسكرية!!.

وفى الأسبوع الأخير من شهر مايو طلب عبدالناصر من عبد المنعم رياض تقريراً عن حالة الجبهات العربية لدول المواجهة، أرسلنى عبد المنعم رياض إلى الأردن .. هناك قابلت الشريف ناصر بن جميل خال الملك حسين .. وآخرين تربطنى بهم جميعاً صداقة من العمل المشترك .. قال الشريف ناصر: إن إسرائيل لم تحشد حشوداً فى مواجهة السوريين .. وليس لديها نية للهجوم على سوريا .. وما يحدث تدبير من المخابرات المركزية الأمريكية، لاستنفار مصر وخروج قواتها إلى العراء فى سيناء لتصبح صيداً سهلاً، ويتم تدميرها .. (نفس الكلام قاله الملك حسين لعبد المنعم رياض) وذهبت إلى سوريا .. فى سوريا قالوا إن هناك حشوداً .. لكنهم لم يقولوها بشكل قاطع، ولم يؤيدوا كلامهم لا بصور ولا تقارير استطلاع ولا حتى بإخباريات من العملاء المزروعين فى إسرائيل.

هذا الكلام نقل لعبد الناصر .. برغم هذا أغلق خليج العقبة، وإغلاق خليج العقبة يعنى إعلان الحرب!!.

برغم إغلاق الخليج (إعلان الحرب) فإن قواتنا فى سيناء لم تعرف لها مهمة محددة .. " راحت ومفيش مهمة"، لا تعرف هل ستهاجم، هل ستدافع ، هل هى تستعرض وحسب، نحن الذين درسنا خطة القتال مع إسرائيل فى موسكو .. (٤٢ ضابطا) لم نكن نفهم .. إذا كنا سندافع .. فلماذا تجاوزنا خط الممرات، خط الدفاع عن مصر والقناة كما كنا قد خططنا .. إذا كنا سنهاجم .. فالهجوم له ترتيبات لم تتخذ!! إذا كنا نستعرض فلماذا أغلقنا خليج العقبة .. بعد ذلك أكد جمال عبدالناصر أننا لن نهاجم إسرائيل، إلا إذا هاجمتنا وهكذا اطمأنت إسرائيل وراحت تسعى لمخططها ونحن فى هذا التخبط.

جاء الملك حسين إلى مصر ليقول إنه مع العرب إذا حاربوا وطلب قيادة مصرية لجيشه الأردنى حتى لا تكون هناك شبهة خيانة أو ما شابه، وما أشيع عن أبيه فى حرب فلسطين كان الرجل يريد أن يتجنبه .. وهكذا أرسل عبد المنعم رياض إلى الأردن، وذهبت معه قائداً للطيران .. وصلنا قبل الحرب بثلاثة أيام، لم نجد لدى الأردنيين ما يمكن أن نحارب به حربا حقيقية .. بالنسبة للطيران كان عندهم اثنتا عشرة طائرة (هنتر) فقط ولم نجد مطاراً حربياً مجهزاً، برغم أنه فى القيادة العربية الموحدة كانت هناك خطط، وكان هناك تمويل، لكن لم يتم شىء .. مطار عمان مطار مدنى .. وبينه وبين المطارات الإسرائيلية سلسلة الجبال التى تفصل بين الأردن وإسرائيل .. "لو طلعت إسرائيل من مطاراتها .. مش ح نلحق نعمل حاجة .. والجبال ح تخلى الرادار ما يلقطش طياراتها، حملت تقدير الموقف تانى يوم .. (قبل الحرب بيومين) إلى الملك حسين ضمن القادة جميعاً .. طلبت أن ننقل الطائرات إلى مطار عراقى أعرفه جيداً، وقلت إن مدى الطائرات يسمح بالذهاب والعودة من العراق إلى إسرائيل وبالعكس .. رفض الملك حسين لأن الشعب الأردنى سيشعر أن طائراته هربت إذا ما ذهبت إلى العراق .. الشىء الوحيد الممتاز فى الأردن كان محطة رادار عجلون .. محطة جديدة، موقعها عال

وممتاز، ويشعرك بأنك تطل على إسرائيل كلها من شرفة .. بالنسبة للقوات البرية الأردنية كانت متمركزة عند الحدود من ١٩٤٨ ولا شيء يحدث، فالضباط جاءوا بعائلاتهم، وكذلك الجنود .. أى أن العائلات تسكن فى الجبهة!! وهذا كان من شأنه أن يربك القوات بالخوف على الأهل إذا ما نشب قتال.

جاء خمسة يونيو ولم نكن قد استطلعنا بما فيه الكفاية، ولا عرفنا وضع القوات بما يمكننا من تحريكها .. وجاءنا من محطة عجلون أن الطائرات الإسرائيلية قد تركت مطاراتها للهجوم على مصر .. وهنا حدثت المصيبة التى ما بعدها مصيبة .. كنا متفقين مع القيادة فى مصر على أن تصيح فى اللاسكلى، عنب .. عنب .. عنب .. (ثلاث مرات) إذا ما غادرت الطائرات الإسرائيلية مطاراتها إلى مصر لتبدأ الحرب .. صحنا فى اللاسلكى ولا حياة لمن تنادى .. بعد الحرب وكنت واحداً من ثلاثة اختارهم محمد فوزى كلجنة لتقصى الحقائق عما حدث فى القوات المسلحة أثناء الحرب، علمت أنهم كانوا قد غيروا التردد حتى لا تتكشف رسائلنا .. لكننا فى الأردن لم نخبر ولم يعطونا جدول تغيير الترددات الذى هو عالى السرية.. وأقول إنها المصيبة التى ما بعدها مصيبة، لأنهم لو سمعونا فى مصر كانوا سيجدون أمامهم نصف ساعة يرتبون فيها لصد الهجوم الجوى، وكان مسار التاريخ قد تغير ١٨٠ درجة .. وحتى يوجعنا قلبنا ويوجع أكثر ما هو موجوع. علمنا فيما بعد من الأسرى الإسرائيلين أن التعليمات التى أخذوها من قياداتهم كانت تؤكد عليهم بعدم إتمام الهجوم البادىء للحرب إذا واجهتهم أية مقاومة!!

لم تكن حرب سبعة وستين حرب الأيام الستة كما قالت إسرائيل، لقد انتهت الحرب – بالفعل – لحظة بدأت بتدمير الطائرات فوق ممرات المطارات، وما بعد ذلك كان تخبطاً، ولم يكن حرباً، على الجبهة الأردنية أمرت الطائرات الاثنتى عشرة بالطلوع، عشر منها تهاجم المطارات الإسرائيلية .. واثنتان لحماية العشر عند الإقلاع وعند العودة، ولقد عادت الطائرات سليمة ليتم تدميرها فوق أرض

المطار بمجرد نزولها ومغادرة الطيارين لطائراتهم، وعلمنا أن إسرائيل كانت أخلت مطاراتها إلا مطارين لتركز الحماية عليهما .. ومن هذين المطارين طلعت الطلعات كلها على ارتفاع قريب جداً من سطح البحر مستهدية بنبضات الكترونية كانت تطلقها السفينة ليبرتى الأمريكية. مقر قيادتى فى مطار عمان، مكان من الطوب اللبن ضرب وسوى بالأرض، واعتبرونى استشهدت لولا أن جاء قائد القوات البرية ليتفقد الموقف فوجدنى حياً لا أريد مغادرة موقعى المدمر.

كنت قد طلبت من الطيارات السورية أن تضرب مطارات إسرائيل بين الطلعات التى بدأت الحرب .. لكن السوريين أجابوا بأنهم لم يستطيعوا ترتيب أمورهم فى الوقت المناسب .. طلبت من العراق فرتبت ثلاث طائرات تى يو ١٦، واحدة تعطلت قبل الإقلاع، وواحدة تاهت، والثالثة دخلت المجال الجوى الإسرائيلى وافرغت حمولتها من القنابل، لكن لم يأت لنا تقرير بأنها دمرت شيئاً .. وقطع الطيار العراقى إسرائيل من الشمال إلى الجنوب قبل أن يعود لا أعرف لم ؟! لكن المهم أن أحداً لم يعترضه، ولم تطلق عليه طلقة واحدة .. إسرائيل ليست كما تتصورون .. المشكلة فينا نحن، والحقيقة أن إسرائيل لم تواجه جيوشاً عربية .. لم نرها ولم ترنا .. لقد واجهت مهزلة عربية بكل المقاييس .. إننى حزين على البطولات التى أبداها البعض لأن جهل القيادات كان قد حسم الأمر منذ البداية والإهمال كان قد تكفل بالهزيمة المرعبة مع التخبط والـ .. "تقول إيه بس".. القوات البرية العربية لم تكن أحسن حالاً، موضوع سكنى العائلات فى الجبهة .. تكفل بإرباك القوات خوفاً على ذويهم وشتتهم فى محاولات مستميتة لإنقاذ زوجاتهم والأولاد !! برغم هذا سخر العرب منا ومما حدث .. فهم كانوا ينظرون لمصر على أنها أم الدنيا .. وأنها كانت – حسب التوقع – قادرة على إسرائيل، سخريتهم كانت تمزق قلوبنا .. بل ونظرات جنودنا أيضاً .. كنا نخجل حتى من زوجاتنا.

عدنا إلى القاهرة والغضب والخجل يفتكان بنا .. كنا قيادة وضباطا وجنوداً نريد أن نعرف حقيقة ما حدث .. وذات يوم استدعانى محمد فوزى القائد العام ..

قلت سيقبض عليّ .. فقد كان محمد فوزى يستدعى قادة الطيران ويقول لهم اذهبوا إلى الكلية الحربية وخذوا من قائدها التعليمات .. وكانوا يذهبون ويتم سجنهم هناك، لكن محمد فوزى قال لى : تم اختيارك عضوا فى لجنة تقصى الحقائق .. فى اللجنة عرفنا الهول كله .. لكن أهم شيء عرفناه .. أن القيادات التى لا تعلم شيئاً عن فنون القتال الحديثة، على كل المستويات .. والتى كانت تتمتع بعنجهية "أنا الأقدم" و "كلامى يمشى" كانت وراء ما أصابنا كله، هكذا العسكريون فى كل موقع .. كنا نتندر ونحن بعد صغار فى القوات المسلحة .. فيقول الواحد منا لزميله : اسمع ياواد يافلان .. أنا أقدم منك، نلعب تنس .. أنا شوط وأنت ما تصدش .. نلعب طاولة أنا يجيلى فى الزهر "شيش" (ستة) وأنت يجيلك "يك" (واحد)، أنا ما أعرفش إيه أنت إيه .. وفوجئنا ونحن كبار بأن الأمور على مستوى الدولة تدار هكذا .. ليس المهم من يعرف .. المهم أن آمرك فتطيع .. وهكذا كما قلت، إننا هزمنا جهل قياداتنا على كل المستويات .. المهم .. أعددنا تقريرنا وقلنا إن عبدالناصر لا يمكن أن يقرأ هذه الآلاف من الأوراق .. لابد لنا من أن نلخص له الأمور فى صفحة أو اثنتين .. وهكذا أضفنا بابا سابعاً لمحاضر التحقيقات التى قامت بها لجنة تقصى الحقائق .. وضعنا فيه كل شيء .. من أول الخطأ فى إغلاق خليج العقبة وإخراج قوات الطوارئ الدولية .. إلى سوء وضع قواتنا فى سيناء الذى أدى إلى تدميرها بسهولة ، إلى .. إلى .. إلى .. وأرسلنا التقرير لجمال عبدالناصر .. وأرسلت نسخ منه إلى المدعى العسكرى .. طبعاً المحامون الذين جاء بهم المتهمون .. ما إن قرأوا الباب السابع حتى صاحوا، هذا هو دفاعنا عن المتهمين .. ثم فوجئوا بعد ذلك بأن الباب السابع تم نزعه من ملف التحقيقات .. والسبب واضح.

بعد ذلك استدعانى أمين هويدى وقال : إن قرارا جمهوريا صدر بأن أتولى الطيران .. والحقيقة أن الطيران كان مشكلة فى ذلك الوقت بعد النكسة مباشرة، قادته كلهم فى السجن، وهيكل قال لى فيما بعد ذلك بسنوات، إن عبدالناصر كاد يفرج عن واحد من المسجونين ليتولى قيادة الطيران .. إلى أن اهتدى إلى أن يوكل

المهمة إلى الفريق أول مدكور أبو العز .. وكان محافظاً لأسوان فى ذلك الوقت .. الحقيقة الفريق مدكور أخلاق وحسن إدارة وانضباط مفيش بعد كده وأنا شخصياً كنت معجباً به .. وعمل أشياء عظيمة فى الطيران، جاء بأساتذة الجامعة لكى يصمموا له دشماً تحمى الطائرات .. وضع خطة .. لكن معلومات الطيران بتغيير كل يوم، العلم ما بيفضلش على حال .. كل لحظة اكتشاف جديد.. جئت بعد الفريق مدكور الذى كان بعيداً لفترة عن القوات الجوية لأنه كان مختلفاً مع الفريق أول صدقى محمود، جئت لأكمل مابدأه .. وأبداً مالم يبدأ بعد.. والحقيقة عملنا حاجات كثيرة لدرجة أن أحد القادة الروس الذين كانوا يعانوننا .. زارنى فى مكتبى وأفخر أنه قال لى: إنه لم يزر أحدا غيرى، وأن ما فعلته فى الطيران فى عشرين شهراً لم يكن من الممكن أن يتم فى عشرين سنة .. الحمد لله .. كنت أعمل ليل نهار وننجز، وكان عبدالناصر قد استقبلنى فى البدء .. والحقيقة صعب علىّ وهو يشرح لى أنه لم تكن له يد فيما حدث، فلم يكن يستطيع أن ينقل أمباشياً إلا بمعرفة المشير .. وإن المشير كان يعتبر الجيش إقطاعه .. وكان قد وجه مدافع فى ألماظة لتقذف بيت عبدالناصر – كما قال عبدالناصر – بالقنابل إذا ما حدث شيء استلزم ذلك من وجهة نظر المشير و و و وكنت أقول له ربنا يخليك لينا يافندم .. وكنا نسعى جاهدين لإصلاح الأمور حتى قمتم أنتم بمظاهراتكم !!

قال سيادة اللواء مصطفى الحناوى :

– هكذا نكون قد تكلمنا باختصار مخل .. عن شهادتى فى النقطة الأولى، وبقيت لنا النقطة الثانية لأدلى بشهادتى فيها .. شهادتى بالنسبة لمظاهرات الطلبة .. قلت :

– إنها الشهادة القنبلة التى لا أكاد أصدقها ..

قال فى تواضع شديد :

– ولا يمكن لأحد أن يصدقها لولا أن شهودها أحياء .. لحظتها نظرت للجهاز لأ تأكد أنه مازال يسجل.

قال اللواء مصطفى الحناوى :

كانت المظاهرات فى الإسكندرية على قدم وساق فى نوفمبر ١٩٦٨، وكنت أنا فى مقر قيادة القوات الجوية. أشتغل عادى .. بامضى أوراق مهمة .. رن جرس التليفون، وكان على الخط الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة .. (كان أستاذى فى الكلية وكان فيه جانب كبير من العنف .. ولا أقصد بالعنف الشدة .. فالشدة ممكنة دون عنف) قال محمد فوزى :

– اللواء المراسى فى إسكندرية طلع بالقوات بتاعته عشان يفرق مظاهرات الطلبة ماقدرش، أنا بأديك أمر أنك تفرق المظاهرات دى بضرب النار من طائرات الهليوكوبتر .. "الفريق فوزى قال كده وأنا الدم غلى فى دماغى ماحسيتش بنفسى.." قلت:

– يانهار أسود .. سيادتك بتقول إيه .. نضرب الطلبة بالرشاشات المثبتة فى الهليوكوبتر (تعديل لنا أجريناه فى الهليوكوبتر وعاوننا فيه أحمد فهيم الريان) أنت عارف سيادتك النتيجة ح تبقى إيه .. ح تبقى مجزرة .. حتبقى سلخانة ..

الطلقة ٣٧ مللميتر .. مش ح تصيب واحد .. فى الزحمة ممكن تصيب عشرة ورا بعض .. دقيقتين أمشيهم فوق شارع أبو قير وشريط واحد أخلصه (ألف طلقة هى الحد الأدنى) ونبقى محتاجين الجيش الثالث عشان يشيل الجثث .. إحنا جايبين الطيارات نحارب بيها إسرائيل وإلا نضرب بيها ولادنا.

قال محمد فوزى :

– دى أوامر السيد الرئيس جمال عبدالناصر .. السيد الرئيس بيقول إن مظاهرات الطلبة الغرض منها إسقاطه .. ويطلب منا مساندته.

قلت وأنا مازلت مذهولاً :

– يافندم دى ح تنكتب فى التاريخ .. زيها زى مذبحة القلعة .. مذبحة كوبرى عباس .. التاريخ ح يكتب أننا قتلة، والشعب مش ح يسامح .. وافرض

يافندم أديت أنا أمر لضباط الهليوكوبتر بضرب الطلبة ورفضوا .. ح نحاكمهم !! ح نحاكم الستة وتسعين ضابطا ح نحاكمهم يافندم ؟! لا يافندم أنا مش منفذ، وأنا جاهز يافندم تعملوا فى إللى انتوا عايزينه .. أنا عاصى ومش منفذ .. قال محمد فوزى :

- ح نقول إيه لعبد الناصر.

قلت :

- قول له يختار السجن اللى أتوجه له .. وأنا جاهز يافندم .. أنا عاصى ومش منفذ .. أنا لا لى فيهم ابن ولا أخ وبرضه ما أقدرش أضربهم.

قال محمد فوزى :

- اضرب فى المية.

قلت :

- لو ضربت فى المية .. ما هو ضرب نار برضه يافندم .. لا يافندم.

قال :

- تصرف بأى طريقة ماتزعلش جمال عبد الناصر.

- وتصرفت .. وغضب جمال عبدالناصر .. وأسرّها فى نفسه .. قلت لقائد الهليوكوبتر فى الإسكندرية .. كل اللى ح تعمله .. أننا كنا بنطلع الطيارات من الدخيلة، تطير على البحر لحد ما توصل أبو قير .. خوفاً من أن تقع على مناطق سكنية إذا وقعت لا قدر الله .. قلت له ما تمشيش على البحر أمشى فوق البيوت .. وما تحملش ذخيرة نهائياً، وتأكد بنفسك أن مفيش أى ذخيرة على الطائرات.. تأكد بنفسك .. كنت أخشى أن حد خسيس يحمّل الطيارات فى السر.. عشان يرضى أسياده، وطبعاً أسياده ح يحموه .. وده اللى حصل .. وأبلغته لمحمد فوزى، فقال : ماشى.

- وطبعاً فوزى بلغ جمال عبد الناصر.

وسألت اللواء الحناوى :

- كيف عرفت أن جمال عبدالناصر غاضب منك ؟

قال :

عبد الناصر ما كانش بيتكلم .. أسرّها فى نفسه .. لكنى عرفت بعد ذلك ما حدث من الأستاذ هيكل .. كنت باسجل للأستاذ هيكل فى مكتبه ما حدث فى حرب ٦٧، وقال لى الأستاذ هيكل : (عبد الناصر بعد المظاهرات قال لى: أنا ح أشيل الحناوى .. قلت له يافندم ده عمل حاجات كويسة كثيرة فى الطيران .. قال ح أشيله لأنه كان يعلم أن الهدف من مظاهرات الطلبة هو إسقاطى ولم يرد أن يساعدنى!!

هل كان يدور فى خلدى وأنا أستقرئ حوادث نوفمبر ١٩٦٨ أن هذا هو ما حدث .. بالطبع لم يدر فى خيالى حتى شىء من هذا .. لكن شهود الواقعة أحياء..الفريق فوزى حى، الأستاذ هيكل حى، واللواء نبيل كامل الذى تلقى الأمر ونفذه .. حى .. وأنا وأنتم أحياء، ومن يحيا ياما يشوف واللى يكتب ويقرأ "يشوف" أكثر !!

مد الله فى أعمار الجميع

(١٣)

وشرحت الأمر لشباب الناصريين

أول ما جلست إلى اللواء الحناوى ــ أمدّ الله في عمره ــ في بيته الجميــــل بالماظة وبيننا جهاز التسجيل يدور، بادرته بالسؤال :

ــ هل هناك شهود للواقعة التى سترويها حضرتك لى ...

وبمنتهى الثقة رد علىّ الرجل الكريم:

ــ نعم هناك شهود أحياء ..

ــ من هم ؟ .

ــ اللواء طيار د. جبر على جبر وكان ضمــن قيــادة الطــيران بيــن ٩٨ و١٩٧٤، واللواء نبيل كامل ، قائد فرقة الهليوكبتر بالقوات الجويــة مــن تــاريخ الواقعة وحتى إحالته إلى التقاعد.

ــ وهل هما مستعدان للشهادة في أمر خطير كهذا ؟ .

وقال الرجل منتصراً لرجال سلاحه:

ــ كل اللي في سلاح الطيران رجالة ، ولا يمكن أن يتراجعوا عن شــــهادة حق.

طلبت ساعتها من اللواء الحناوى،قبل أن نبدأ التسجيل أن يعطينـــي أرقــام التليفونات الخاصة بالشاهدين.

فهم الرجل الحصيف ما أرمى إليه ... فقام من فوره قائلا:

ــ سأعطيك أرقام تليفوناتهما ... وسأتصل بهما الآن لتكلمهما بنفسك.

وكان أن اتصل اللواء الحناوى بهما ... وكان أن أكــدا لــى أن الواقعــة حقيقية، وكان أيضا أن تساءلا: ما الذي ذكّر اللواء الحناوى بهذا الأمــر الآن؟. (أى أنه لم يكن بين الرجال الثلاثة أى اتفاق مسبق)، وكان أن سألتهما هل هما مستعدان للإدلاء بشهادتيهما إذا جدّ الجد، وكان أن رد كل منهما غاضبا من سؤالى.

ــ نحن لا نستطيع أن نخفى شهادة حق.

وبانتهاء المكالمتين، قلت لسيادة اللواء الحناوى ..و قد غمرني إحساس بأنني سأحصل على كل ما أريد :

ــ نبدأ التسجيل الآن ...

وبدأ اللواء الحناوى التسجيل (الذي مازلت احتفظ به إلى الآن) بسؤال.

ــ هل نبدأ بأن نتكلم عن الواقعة ؟

ساعتها قفزت إلى عقلي فكرة ، رأيت أنها الصواب ، قلــت لنفســي اســأل الرجل أولاً عما أعرف ، وأرى وأقيس قدرته على التذكر وكان أن فعلــت ، وكان أن أذهلني الرجل بذاكرته القوية آلتي ما زالــت تحتفــظ بالتفــاصيل ، بــل بالتواريخ الخاصة بكل حادثة و توقيتاتها الدقيقة، وكمثال كان يقول لي "صبح علينــا الثلاث ٣٠ مايو واحنا بنعمل كذا وكيت ،و دخل علينا فلان السلعة حداشــر،و ..، وبسرعة كنت أروح أحسبها، ٥ يونيو كان يوم اثنين، فيكون الثلاثاء قبله بالفعل ٣٠ مايو (لأن شهر مايو ٣١ يوماً)، أي أن شيئا لم يسقط من ذاكــرة الرجــل حتــى التفاصيل الدقيقة.

والحقيقة أنني سجلت له قبل أن يتكلم عن الواقعة أكثر من ثلاث ســاعات، وأدهشتني الساعات الثلاث كلها بدقة الحكي، وانضباط التسلسل، بل وبراعة العيــن التى تحتفظ فى لماحية مؤكدة، بالصورة بكل تفصيلاتها، "من كان على يمين مــن، ومن الذى دخل فى اللحظة الفلانية، وماذا كان يلبس، ومــا الكــلام الــذى قالــه بالضبط".

ولقد أصررت بعدها على أن انشر ملخصا وافيا للساعات الثلاث التى تكلمنا فيها عن النكسة وأسبابها، والفرص الضائعة التى كان من شأن انتهازها أن يغير النتائج التى أسفرت عنها الحرب، أصررت على نشره، لا لشئ، إلا لكى أعطى القارئ فكرة عن قوة ذاكرة الرجل ... حتى يصدق القارئ أن الرجل يتذكر بدقة فى حادثة أمر جمال عبد الناصر الذى نقله الفريق فوزى إليه، بضرب الطلاب فى الاسكندرية فى مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨ بالرشاشات من الطائرات الهليوكبتر التى كانوا يجهزونها لأعداء الوطن ... اليهود !!.

ولقد صدق القارئ ما جاء على لسان اللواء مصطفى الحناوي .

لهذا المنى جداً أن يقول الاستاذ محمد حسنين هيكل فى رأيه الذى أملى نقاطه للأستاذ عادل حمودة "ليس لدى تفسير سوى أن اللواء الحناوى يعيش الآن فى عزلة (لم أر الرجل فى عزله، رأيته يعيش مع زوجة وأولاده وأحفاده، فى فيلا جميلة بألماظة، ودعانى إلى بيته الكبير فى بلده وسط الأرض الزراعية التى ورثها عن أبيه ، والذى تنتقل عائلته معه إليه حين يذهب إلى هناك .. وإن كنت شكرته مخلصا ولم أذهب، أى عزلة هذه التى يتكلم عنها الاستاذ هيكل بلهجة الرجل الذى يعرف الأسرار كلها؟!) ، بل وآلمني أن يستطرد الأستاذ هيكل فيقول "وبدلا من أن يحلق بالطيارات فهو ــ اللواء الحناوى ــ يحلق فى الأوهام " !!.

والحقيقة أن الرجل كان فى غاية من الموضوعية، سواء فى الأسرار التى نقلتها عنه إلى صفحات المجلة، أو تلك الأسرار التى احتفظت بها لنفسي والتى ربما اعلنتها فى أوقات أخرى ...

المهم ... انتهى حديثى مع الرجل ... وذهبت به إلى منزلى .. ورحت أديره مرة أخرى ، وأنا اسأل نفسى :

ــ هل ستنشر هذا الكلام عن جمال عبد الناصر؟

الحقيقة أن قلبى لم يكن يريد أن يطاوعنى أن اقول عن جمال عبد الناصر

علنا هذا الكلام !.

لجأت إلى زوجتى، وابنتى الكبيرة، وحكيت لهما ما كان ، واسمعتهما التسجيل الذى حصلت عليه من اللواء الحناوى ..

قالت زوجتى (الناصرية) :

ـ ما الذى ستستفيده من تشويه الرجل (جمال عبد الناصر) إلى هذا الحد .. المستفيد من هذا التشويه، سيكون هو القوى المضادة لكل شئ جميل فى المرحلة الثورية المصرية وأهدافها ..

وقالت ابنتى (وكانت لحظتها فى الثانوية العامة) :

ـ ما دام حصل .. حضرتك انشره ..

لكن ابنتى لم تكن مرتاحة لما قالته.

وقررت لحظتها ألا انشر شيئا مما قيل لى ... ورحت أعلل نفسى بأن سوء تفاهم قد يكون وراء فهم اللواء الحناوى للواقعة التى أوردها بهذا الشكل .. وقلت لنفسى، إن حادثة خطيرة كهذه كان لابد وأن يرد لها ذكر ولو بالتلميح فى مذكرات الذين كتبوا عن تلك الفترة ...

هكذا نبتت فى ذهنى فكرة أخرى ... قلت لنفسى: لماذا لا أعود إلى المذكرات المكتوبة عن تلك الفترة، لأرى إذا ما كان فيها أى تلميح عن الأمر ، فإن لم أجد، سيكون هذا إعفاءً لى من تحمّل همّ الكتابة فى موضوع شائك كهذا.

الغريب أننى رأيت فى مذكرات أحمد كامل، ليس تلميحاً ولكن إثباتا لصحة الواقعة ! (كنت قد نقلت عنها في المقال السابق لخديثي مع سيادة اللواء).

وعاد السؤال يلح على :

ـ الواقعة صحيحة، والرجل كان يقطر صدقاً وهو يكلمك، والشهود أكدوا كل حرف قاله ... والمذكرات التى كتبها أحمد كامل تثبت هى الأخرى صحة

الواقعة، ومع كل هذا، هل ستنشر هذا الكلام ؟.. ولمصلحة من ؟.

وفجأة لم أصبح متردداً على الإطلاق ، فجأة أحسست أن لزاماً على أن انشر الواقعة كما عرفتها ، وكما تأكدت من حدوثها. لقد كانت كلمة "لمصلحة من" هي مفتاح تغير موقفى من التردد الحائر إلى التصميم الحاسم.

وجدت نفسى أقول لنفسى .. " سأكتبها لمصلحة الوطن، ليعرف الوطن أن العسكريين إذا حكموه لا يتورعون عن أى أمر إذا ضاقت بهم السبل فى السيطرة على الناس سيطرة لا تعترف بالمشاركة، سلأكبتها منمن أجل دم زملائى الطلبة الذي أهدره جمال عبد الناصر في شارع رمسيس والعباسية والمنصورة والأسكندرية. ولأنه كان مستعداً لأهدار دم المزيد منهم، دون ذنب جنوه.

ساعتها بدأت اكتب الموضوع

وأنا اكتب الموضوع قررت ألا ألقى بأوراقى كلها من المرة الأولى، قررت أن ألقى ببعض الأوراق فى مقالتى ، وأن احتفظ ببقية الأوراق، وأن انشر الأوراق تباعاً إذا حاول أحد أن يكذب الواقعة، وكنت واثقا من أن أوراقى ستستطيع أن تفحم كل مكذب ...

ولقد حاول البعض تكذيب ما كتبته ...(*)

حاول الأستاذ محمود الجيار سكرتير جمال عبد الناصر التكذيب ..

وأصر الناصريون على ضرورة أن يكذب الفريق فوزى الواقعة.

وقال بعضهم لن يستيطع تكذيبها رجل أفضل مما يستطيع الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يفعل (خصوصاً و أنني ذكرت الأستاذ هيكل في مقالي...)

(*) محاولات التكذيب موجودة فى الملاحق تحت عنوان "شهود النفى والإثبات يتحدثون عن ضرب المظاهرات بالطائرات. وكذلك ردى على جريدة العربى.

ثم بعد هؤلاء، ألقى الأستاذ عبد الله إمام بدلوه في محاولة التكذيب .

الأوائل نشروا تكذيبهم فى روز اليوسف فى العدد ١٤١٨ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٧.

والأخير نشر تكذيب الفريق أول محمد فوزى (الذي كان قد أرسله إلى روز اليوسف ، قبل أن تنشره المجلة المعنية !!) في جريدة "العربى" لسان حال الحزب الناصرى (فى صفحتها الأولى ، باتساع النصف الأعلى من الصفحة ، تحت اسم الجريدة)، ثم نشر مقالاً مطولا كله هجوم على اللواء الحناوى وعلى شخصى فى العدد التالى من جريدته العربى التى يرأس تحريرها .

آخرون أيضا حاولوا الهجوم على ما كتبته وعلى شخصى لكنى لم أر أهمية فيما كتبوه ...

قررت أن اكتفى بردى على الأستاذ هيكل والفريق أول محمد فوزى، وإظهار شهادة شاهدى الإثبات فى الواقعة فى روز اليوسف، لكن محاولة الاستاذ عبد الله إمام لأن يثبت أن الكلام الذى أوردته محض تخريف من اللواء الحناوى، استفزتنى، فكتبت رداً لجريدة العربى وذهبت به إلى مقر الجريدة لأسلمه .. وبالفعل سلمته للاستاذ "وائل قنديل"، ولم ينشر الرد .. وقيل لى إن علىّ أن أرسله إلى الجريدة على يد محضر، لكننى لم أرد أن أفعل هذا، إذ تأكد لى أن ما كتبه الأستاذ عبد الله إمام لم يحدث التأثير الذى اراده.

موقف آخر أظن أن من الضروري أن أرويه ..

عندما ذهبت إلى منزل اللواء طيّار د. جبر علي جبر ، لأسجل له شهادته ، التي نشرتها في روز اليوسف قال لي سيادته إن الفريق أول محمد فوزي اتصل به بشأن ما نشرته .. قلت :

ـ غريبة .. إنني لم آت بسيرتك في الموضوع المكتوب .. !!

(من فضلك ارجع إلى الهامش في نهاية الفصل الفائت) .

قال سيادته :

ــ الفريق أول فوزي يعرف أنني من شهود الواقعة ..

سألت متوجساً :

ــ ماذا قال لك الفريق أول فوزي بالضبط ؟ .

ــ قال لي شفت التخاريف اللي نشرها صاحبك في روز اليوسف .. قلت له ..الواقعه اللي اتكلم عنها اللواء الحناوي حقيقية يا فندم .. قال انت كمان بتتكلم زي صاحبك

وقال لي اللواء د. جبر ..:

ــ سيادة الفريق أول زعل منى ... وبرغم إنى با اعمل معاه أبحاث خاصة باحتفالية لجمال عبد الناصر بتشرف عليها السيدة هدى عبد الناصر ــ وممكن يزعلوا كلهم من اللى ح أقوله .. إلا إن الحق ... حق.

وبدأت أسجل مع الرجل (بحق).

ولما عدت لمنزلى... فوجئت بمكالمة تليفونية من السيد اللواء قال لى فيها...

ــ أقرء لى اللى انا قلته من فضلك فى الشريط ...

وراح يتفق معى على ما ينشر منه وما لا يريد له أن ينشر الآن. وقد نفذت كل ما أراده الرجل.. إذ كان ما بقى من الكلام يفى بالغرض تماماً.

وأقول للقارئ : الحق أننى بعد جلستى هذه مع السيد اللواء د. جبر اصبحت متأكداً ١٠٠% من صحة الواقعة.

ـــ المهم الآن ..

عندما ذهبت إلى جريدة العربى، التف حولى بعض من المحررين الناصريين الشباب (وقد حدث نفس الأمر لى مع رفاق ناصريين فى أماكن أخرى) الشباب .. يعاتبوننى على ما كتبت، ويعلنون أنهم لم يصدقوا أن جمال عبد الناصر من الممكن أن يفعل شيئاً كهذا.

قلت لهم:

ـــ لقد كتبت ما تأكدت من أنه حقيقة ...

ردوا فى حدة تخفيها دمائه أخلاقهم وابتسامات ترتعش حول الشفاه:

قلت :

وماذا لو أوضحت لكم الأن وجهة نظرى ...

وكان أن سمحوا لى :

قلت لهم، إذا رجعتم لمذكرات الأستاذ أحمد كامل التى نشرت أجزاء منها قبل أن انشر مقالى عن حديثى مع اللواء الحناوى ستجدون الاستاذ أحمد كامل يقول الآتى:

١ ـــ خرجتُ من الجامعة بانطباع أن تجربه الحوار، لن تحقق النتائج المنتظرة، اتصلت بسامى شرف وقلت له أبلغ الرئيس أننى أطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (أى أن كان هناك طلاب لتدخل الجيش ضد الاعتصام).

٢ ـــ بعد دقائق جاء رد سامى: الرئيس أمرنى بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، وأن أبلغه أن يتصل بك (أى أن عبد الناصر لم يقل لا لتدخل القوات المسلحة).

٣ ـــ بعد دقائق كلمنى الفريق أول محمد فوزى وقال:

"وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك. أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور (ماذا كان يطلب أحمد كامل إلا تدخل القوات المسلحة ضد الطلبة. أى أن القوات المسلحة كانت موافقة على ما يريده أحمد كامل، وأن جمال عبد الناصر كان موافقاً، فهذا أمر لا يستطيع الفريق فوزى أن ينفذه دون العودة إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة).

٤ ــ قلت بعدها لقائد المنطقة الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران (هذا كلام أحمد كامل ــ تذكر) فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليوكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة (إذن كان فى الأمر طيران).

٥ ــ كما طلبت منه (من قائد المنطقة الشمالية) وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها امام طلبة الهندسة (أى أن القوات المسلحة شاركت بالفعل وليس كما يتنصل الفريق أول فوزى من الأمر).

٦ ــ شاركت الطبيعة فى إخراج مسرحى للموقف، فقد تزامن رعد وبرق ومطر، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم، (أى أن الطيران كان متواجداً وبشكل يوحى بأنه سيبدأ القصف والهجوم) فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة وتمركزت بعض الوحدات فى الأستاد الرياضى المجاور، ورنّ جرس التليفون فى مكتبى .. كان المتحدث أحد قادة الاعتصام، قال: لقد قررنا انهاء الاعتصام.

هذه هى النقاط التى جاءت بعضها فى مذكرات الأستاذ أحمد كامل (ويمكن الرجوع إلى مذكراته).

وقلت للناصريين الشباب الأعزاء ...

ما الذى قاله اللواء الحناوى ولا يستقيم مع رواية أحمد كامل محافظ الاسكندرية وقت اندلاع مظاهرات نوفمبر؟.

إن الاستاذ أحمد كامل أقر بأنه طلب تدخل القوات المسلحة وأن عبدالناصر لم يمانع، وأن الفريق أول محمد فوزى قد سهل له كل الأمور لتدخل القوات المسلحة، وأن الاستاذ أحمد كامل طلب من قائد المنطقة الشمالية تدخل طائرات الهليوكوبتر.

ــ ألم يقل الأستاذ أحمد كامل كل هذا ؟

قال شباب الناصريين ..

ــ قاله.

قلت :

ــ لننظر الآن فيما لم يقله الاستاذ أحمد كامل .. الأستاذ أحمد كامل لم يقل أن خروج الطيران لا يتم بأوامر من قائد منطقة عسكرية، الطيران قرار القائد الأعلى والقائد العام وقائد الطيران ..

وما دام أحمد كامل قد أقر بأن الطيران قد جاء، وظن الطلبة أنه سيضربهم، فإن الأمر لابد احتاج إلى أن يتم الطلب فى هذا الشأن من قائد الطيران. والذى ستطيع أن يعطى أوامر لقائد الطيران بهذا الخصوص واحد من اثنين .. جمال عبد لناصر أو محمد فوزى.

وهكذا يكون الفاعل جمال عبد الناصر.

أو أن الفريق أول محمد فوزى فعلها من دماغه، ولا أظن أن هذا الأمر صحيح، ذلك أن جمال عبد الناصر لم يمانع فى تدخل القوات المسلحة بل وفى وضع كل إمكانياتها فى خدمة إنهاء الاعتصام وتفريق الطلاب.

ثم سألت الناصريين الشباب ...

ــ كيف تطلبون منى بعد كل ذلك ألا أصدق ما قاله اللواء الحناوى وبه تكتمل الصورة التى رسمها أحمد كامل.

وابتسموا ... قلت :

ــ وكيف تطلبون منى ألا انشر هذا الكلام مادمت صدقته.

الحقيقة أن الواقعة صادقة. ولا أظن إلا أن عبد الناصر فعلها لأسباب شرحتها قبلا ...

فهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الفريق أول محمد فوزى فى رده على الأمر أن القوات المسلحة لم تتدخل نهائيا ..

وهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الأستاذ هيكل أنه لم يطلق رصاص على الأرض ليطلق من السماء. (بينما الأهرام تحت رئاسته قد أشار عدة مرات إلى إطلاق الرصاص واستخدام القوات المسلحة(*).

وهل نصدق الاستاذ محمود الجيار إذا قال لنا أن جمال عبد الناصر لا يفعلها

لم ينشر ردى فى "العربى" كما قلت، وكان من حقى أن ينشر وانتظرت العربى سنة كاملة لتنشر (بعد العيد الذى لا يفتل فيه كحك بسنة كاملة!!) حديثا من بعض المشاركين فى الحركة الطلابية حاولت فيه أن تنفى أمر استعمال الرصاص ضد المظاهرين وأن تعفى جمال عبد الناصر من المسئولية، سنة كاملة جعلتنى أفهم أن كانت قد قررت أن تتهرب من المواجهة السافرة، وأن تتسلل بعد ذلك بسنة فى محاولة لمحو الفكرة.

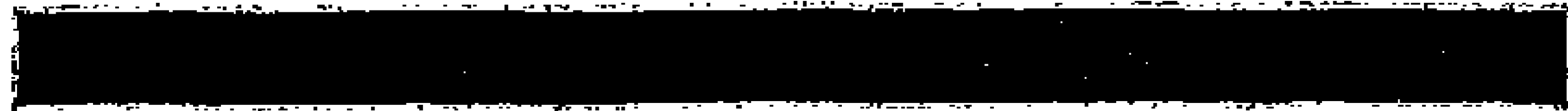
والآن ماذا ستقول العربى .. إذا قلت لهما أننى اخفيت آخر أوراقى وهى دفاع عبد الناصر عما حدث من إطلاق للرصاص، فى المؤتمر القومى للقوى الشعبية بعد الأحداث ...

ماذا ستقول العربى ...

وماذا سيقول الناس؟.

(*) راجع الملاحق.





خاتمة



فى جنازة عبدالناصر، خرجت الملايين تبكى تبكى فتاها، تشق عليه كما قال يوسف أدريس (ذو العيون المصرية) جلبابها الوحيد الذى يستر عريها .. كان حزن الناس صادقاً وعظيماً، بقدر ما كانت الفجيعة هائلة، وأشد ضراوة من أن تحتمل .. لقد كان عبدالناصر فرصة الملايين التاريخية، وبين هؤلاء الذين كان عبدالناصر فرصتهم، كنا نحن الجيل الذى واجهه .

إن مشاعر الجماهير لا يمكن تزييفها .. آراؤها تزيف .. أصواتها الانتخابية حتى بعد الموت تزيف !! لكن المشاعر كالأفكار، حكر على أصحابها فى حصن من الأجساد حصين لا يمكن أن يطال .. وما لا يطال لا يمكن تزييفه ..

لقد بكى الناس جمال عبدالناصر بدموع صادقة .. حارقة .. كانت تسيل وما زالت من قلوب صادقة .. محروقة .

لقد قيل الكثير عمن بكوا جمال عبدالناصر .. ولا أظن إلا أن أكثر الكثير الذى قيل لم يمس الحقيقة !!

قالوا أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق !!! وقالوا أننا متخلفون نبكى أبا مات .. لأننا غير ناضجين لم نفطم بعد على الفارق بين الأبوة وبين الزعامة (ورئاسة الجمهورية)، وقيل إن الدعاية المهولة استطاعت أن تخدعنا وقيل وقيل وكل ما قيل لم يستطع أن يشرح صدق الدموع .. وتفجر المشاعر فى لحظة لا تحتمل إلا البراءة .

فى مثل هذه اللحظة تبكى الشعوب فرصتها التاريخية .

الذين تكلموا عن أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق .. لا أظنهم بقوا على

رأيهم بعد أن رأوا جنازة الرئيس السادات .

الذين قالوا أننا متخلفون نبكى أباً مات .. لا أراهم فد وضعوا فى اعتبارهم أن هذا الشعب كان أباً لجمال عبدالناصر فى لحظات لا يمكن إنكارها (العدوان الثلاثى الانفصال ٩، ١٠ يونيو ١٩٦٧) عندما رأى عبدالناصر أبنا تهزه الحوادث الفاجعات .. ولا أراهم أيضا وضعوا فى اعتبارهم تلك المعارضة التى لاقاها عبدالناصر فى حياته من اتجاهات مختلفة، أكثرها كان يعارض من باب الحفاظ على الفرصة التاريخية حتى لا تفلت .

الذين يرددون أن الدعاية المهولة استطاعت أن تخدعنا .. لا أخالهم يقدرون حجم الدعاية المضادة التى حملتها رياح يونيو ١٩٦٧ وما بعدها لهذا الشعب ..

مرة أخرى نقول أن الشعوب تحب .. وتغفر .. وتبكى .. من أجل فرصتها التاريخية ..

لقد هزم عرابى .. هزيمة مروعة، وبكى الشعب المصرى عليه فرصته التاريخية الضائعة ..

ولقد مات سعد زغلول بعد أن أكد بنفسه أن تصريح فبراير ١٩٢٢ ليس إلا استقلالا صوريا، وأن الديمقراطية وهم فى ظل حراب الإنجليز، وعطايا ولى النعم، مات ولم يحقق ما خرج من أجله .. وبكت الجماهير المصرية عليه فرصتها التاريخية الضائعة .

ومات وسيموت الكثيرون، ولم ولن تبكى عليهم الجماهير لانهم لم ولن يكونوا فرصتها التاريخية، الجماهير تبكى من يقول لها حسها المصلحى أنهم كانوا لها ..

الجماهير لا تبكى أباها .. تبكى فتاها ..

لقد كانت الجماهير أبا لأحمد عرابى، وهو فى التل الكبير، كانت أبا له لأنه كان فتاها حتى وهو فى التل الكبير!!! وكانت أبا لسعد زغلول وهو فى المنفى،

وفى لحظات رأت أن قامته أقصر من حراب الإنجليز، ومن برج ولى النعم الــذى يتفيأ كآباته ظل الحراب الإنجليزية، ذلك لأن سعد زغلول كان فتاها، حتى وهو فى المنفى، وحتى وهى التى ترفعه لتطول قامته حراب العدو، وفوقية لص النعم ..

ثم ألم تبكى الجماهير مصطفى النحاس فتاها فى عــهد فتاهــا جمــال عبدالناصر لتثبت لكل ذى غرض، ولكل قصير النظر أن فتى لها لا يلغى فتــى عندها .. فالكل أبناؤها الفتيان .

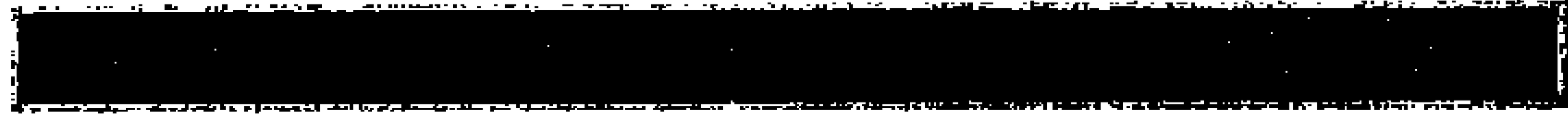
بهذا المنطق بكى الطلاب الذين واجــهوا جمــال عبدالنــاصر جمــال عبدالناصر، لقد أرادوا برغم صغر سنهم أن يكونوا آباءه، لكى يكون لمستقبلهم .. بكوه هم الذين لم يتوقفوا عن مواجهته كما أوضحنا بكوا عليه فرصتــهم التاريخية التى واجهوه من أجلها، إلى أن أنبرى لــهم مــن لا طاقــة لــهم علــى مواجهته.. الموت !!!

إن حسابات الجماهير جدلية .. أكثر تعقيدا عما يبحث عنه الكتاب غربيين ومستغربين وغرباء من سبب ونتيجة .





الــــملاحــق



ملحق رقم (١)

شهادة الصديق "معتز الحفناوى" رئيس اتحاد جامعة عين شمس فى فترة مظاهرات ١٩٦٨ الأولى والثانية : ماذا حدث فى جامعة عين شمس

تعليقا على حلقات "جيل الهزيمة* الذى واجه رصاص عبد الناصر والسادات" أقول:

تعتبر هزيمة ١٩٦٧ هى نقطة الفصل الأساسية بين مشاركة جماهير الشباب عامة والطلاب خاصة فى العمل السياسى من خلال الأشكال والمنظمات التى تكونها وتقودها سلطة عبد الناصر، وبين العمل السياسى خارج هذه الأشكال والمنظمات لرفع الشعارات الوطنية والديموقراطية وتحقيقها. ولقد ظهر جليا داخل جامعة عين شمس منذ بداية العام الدراسى ٦٧ ــ ٦٨ ثورة الطلاب على الأوضاع غير الديمقراطية والفاسدة، والتى لم تتغير رغم الهزيمة. وظل حوار الطلاب خلال مجلاتهم وندواتهم الصغيرة تعبر عن رفض هذه الأوضاع، وتزيد اشتعال ثورة الطلاب سواء أعضاء منظمة الشباب الذين كانوا متعودين على الاتحادات الطلابية أو غير المنتمين لهذه التنظيمات. وعند ظهور أحكام قادة الطيران فى فبراير ٦٨ ثم تكد الجامعة تفتح أبوابها فى الصباح حتى تجمع مئات الطلاب ليعبروا عن سخطهم على هذه الأحكام ومجمل الأوضاع غير الديمقراطية حيث عقد فى كليات الجامعة. وفى مقدمتها هندسة عين شمس مؤتمر طلابى كبير غاضب حضره الآف الطلاب بعد أن أوقفوا الدراسة مطالبين بإلغاء هذه الأحكام ومحاسبة المسئولين الحقيقيين عن النكسة وطرد العناصر الفاسدة فى الحكومة والاتحاد الاشتراكى.

وعندما قابل الوفد السيد / محمد أحمد سكرتير عبد الناصر وسلمه مطالب

* نشر هذا التعليق فى روزاليوسف أثناء نشر المقالات

الطلاب، استأذن خارجا، ليعود بعد عشر دقائق، ليخبرنا بأن عبد الناصر سيرد على هذه المطالب ف خطبة جماهيرية عامة، وإنه يعرف أن وطنية الطلاب هى التى دفعتهم إلى تقديم هذه المطالب له، كما يطلب أن نعود إلى الطلاب، ونخبرهم بذلك وننهى الاعتصام فاستجبنا لطلبه، وعدنا لمنازلنا ليقبض علينا فى الفجر، بعد اقل من ١٢ ساعة من لقاء سكرتير عبد الناصر. وفى الصباح التالى تغلق الجامعة أبوابها فيتجمع الطلاب بعد أن علموا بالقبض على وفدهم ويخرجون بمظاهرة كبيرة من هندسة إلى حرم الجامعة فتتصدى لهم قوات الشرطة فى أول صدام منذ أحداث ١٩٥٤، وتطلق الرصاص (الأستاذ وحده يقول لم يكن هناك رصاص!!) ليسقط عدد من الطلاب الجرحى وقتيل واحد، وتستمر المظاهرة الكبيرة حتى ميدان العباسية، لتزداد شراسة قوات الشرطة فى محاولة منع المظاهرة من الوصول إلى قلب القاهرة، فتتفرق المظاهرة إلى عدة مظاهرات صغيرة، تسلك الشوارع الجانبية والحوارى. ويصل جزء كبير منها إلى مجلس الأمة، ويلتقون بمظاهرات جامعة القاهرة ويزداد ضرب الشرطة قسوة، ليتفرقوا ثانية، وفى ضمير وعقل كل منهم بأنه لابديل عن الديمقراطية لتحقيق آمال هذا الوطن فى تحرير أرضه المحتلة وبناء مجتمعه الحضارى.

ملحق (٢)

جزء من شهادة هانى الحسينى، القائد الطلابى البارز فى تجارة عين شمس، والمحاسب الآن ورفيق الكفاح الطويل الذى لم ولن يهدأ

يسقط الخونة

عزيزتى روز اليوسف

سوف أروى لكم مشهداً مما حدث فى عام ١٩٦٨ :

● الساعة الحاديثة عشرة صباحاً .. مدرج السنة الثانية كلية تجارة عين شمس، طالب بالسنة الثانية (ليس عضواً بالمنظمة) يقف أعلى احد صفوف المدرج ويعلن الاحتجاج على أحكام الطيران الهزيلة. ويهتف .. يسقط الخونة.

إندفاع لا يستطيع أحد إيقافه.. الكل فى الساحة.. رتعشت .. أغرورقت عيناى بالدموع.. اندفع إلى الفصول "السكشن" .. أخرجت جميع الطلاب.. إلى ساحة الكلية ... جريت مخترقاً المبانى.. وعادل بدوى يقف عند مدرج "شعبة الإدارة".. ينظم الصفوف.. وينتقى الشعارات.

د. عبد العزيز حجازى يسألنى :

- ما الذى يحدث ؟!

ــ أخيراً سنخرج لنقول رأينا !! .. طب القاهرة على أبواب الكلية .. سنخرج جميعاً.

ــ د. عبد العزيز حجازى.

فلتخرجوا جمعياً .. لا يبقى طالب فى الكلية..!

اندفعت مرتعشاً من الفرحة.. ها هو عميد الكلية يؤيدنا.

د. على لطفى.. "رائد الطلاب"!

ــ ما هذا الشغب ؟ سوف تحال إلى مجلس تأديب! صرخت فى وجهه:

د. حجازى يؤيدنا.. لا شأن لك..

خرجنا إلى النور .. شارع قصر العينى الجميل.. الذى كان شديد الكآبة منذ تسعة شهور .. يحملنا إلى التحرير، إلى شارع رمسيس وقنابل الدخان.. وطلقات البنادق، وطلقات حناجرنا تهتف للحرية.. الديمقراطية..

وصلنا جامعة عين شمس.. يطالبنا بعض الأساتذة باحترام "الشرعية".. نصرخ :

"لا شرعية بدون ديمقراطية".

ونلتئم فى الجامعة، وخلفنا طب عين شمس، وهناك فى عبده باشا الهندسة، ولا نتوقف حتى المساء.

فى مساء ٢٤ فبراير عدت إلى تجارة عين شمس.. وحفل لعشيرة الجوالة، يحضره د. حجازى ... ويسألنى:

ـ "كيف تقول لعلى لطفى أننى أؤيدكم؟"، "لم يكن مطلوبا أن تقول له ذلك"!!

هانى الحسينى

ملحق (٣)
بيَان ٣٠ مَارس
(١٩٦٨)
الأهرام*

أيها الأخوة المواطنون

الأن يصبح فى أمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

وقبل الأن فإن مثل ذلك لم يكن ممكنا إلا بالاستغراق فى الأحلام أو الأوهام وكلاهما لا تستسلم له الشعوب المناضلة، فضلا عن أن تقع فيه، بينما هى عند مفترق الطرق الحاسمة وأمام تحديات المصير.

قبل الأن لم يكن فى مقدورنا أن ننظر إلى أبعد من مواقع اقدامنا، فلقد كنا بعد النكسة مباشرة على حافة جرف معرض للإنهيار فى أى وقت.. وكان واجبنا فى ذلك الظرف يحتم علينا قبل أى شىء آخر أن نتحسس طريقنا إلى أرض أصلب تتحمل وقفتنا.. وأرض أرحب تتسع لحركتنا.

ولقد كانت جماهير الشعب بموقفها يومى ٩ و ١٠ يونيو هى التى جعلت ذلك قابلا للتحقيق بفضل ما أظهرته من تصميم يرفض الهزيمة ويثق فى النصر.

إن الموقف المؤمن والبطولى الذى اتخذته جماهير شعبنا فى ذلك الظرف العصيب هو وحده الذى مكن للتحولات الهامة التى وقعت منذ ذلك الوقت من أن تحدث فعلها وآثرها بحيث يكون فى مقدورنا اليوم أن نقول ـ بأمل من الله ـ عظيم أنه الأن يصبح فى أمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

ومن دلائل الخير أن يكون ذلك فى مقدورنا اليوم، فى ذكرى عيد الهجرة بما تحمله إلى المؤمنين من معانى التضحية فداء للمبدأ والنضال المستمر من أجل الحق، والصبر على المشاق فى سبيل نصر الله عزيزا وصادقا.

---

* قدمته الأهرام وقتها هدية مع الجريدة.

أيها الأخوة المواطنون

أن الموقف البطولى المؤمن لجماهير شعبنا يومى ٩ و١٠ يونيو هو وحده الذى صنع عددا من التحولات الهامة مكنت لعملنا من أن يبتعد عن الحافة الخطرة، التى كان عليها فى أعقاب النكسة، ليقف على الأرض الأصلب.. وليستشرف الأفق الأوسع الذى يستطيع أن يتحرك عليه نحو أهداف نضاله الشريفة والغالية.

وأبرز هذه التحولات كما يلى:

أولا ــ أننا استطعنا إعادة بناء القوات المسلحة.. وكانت تلك بداية ضرورية ــ وبغير بديل ــ إذا كنا نريد جدا وحقا أن نصحح آثار النكسة.. وإن نزيل العدوان وإن نسترد ما ضاع منا فيه.

بغير إعادة بناء القوات المسلحة لم يكن أمامنا غير تقبل الهزيمة مهما كانت آمالنا.. ومهما كان ايماننا. ذلك أن منطق هذا العصر ــ ولعله منطق كل العصور ــ أن الحق بغير القوة ضائع.. وإن أمل السلام بغير امكانية الدفاع عنه استسلام.. وإن المبادئ بغير مقدرة على حمايتها احلام مثالية مكانها السماء.. وليس لها على الأرض مكان..

ثانيا ــ إننا استطعنا تحقيق مطلب الصمود الاقتصادي في وقت كانت الأشياء كلها تسير فى اتجاه معاكس لفرصة تحقيقه.

ولقد ساعد على ذلك رضا الشعب بالمزيد من التضحيات.. وساعد عليه موقف عربى أصيل فى مؤتمر الخرطوم.. وساعد عليه أصدقاء لنا على اتساع العالم كله.. وقفنا معهم فوقفوا معنا.

ولقد كان محتما أن يسير مطلب الصمود الإقتصادى جنبا لجنب مع عملية إعادة بناء القوات المسلحة، فلم يكن فى استطاعتنا بغير اقتصاد سليم أن نوفر لاحتمال الحرب.. ولا كان مجديا أن نقف رابضين على خطوط النار.. بينما مقدرتنا على الانتاج معطلة وراء الخطوط وشبح الجوع يهددنا بأسرع من تهديد العدو لنا.

ثالثا ــ إننا استطعنا تصفية مراكز القوى التى ظهرت.. وكان من طبيعة الأمور

وطبيعة النفوس أن تظهر فى مراحل مختلفة من نضالنا.

أن العمل السياسى لا يقوم به الملائكة.. وإنما يقوم به البشر والقيادة السياسية ليست سيفا بتارا قاطعا.. وإنما هى عملية موازنة.. وعملية اختيار بعد الموازنة.. والموازنة دائما بين احتمالات مختلفة.. والاختيار فى كثير من الظروف بين مخاطر محسوبة..

ولقد تجاوزت الأمور حد ما يمكن قبوله بعد النكسة.. لأن مراكز القوى وقفت فى طريق عملية التصحيح خوفا من ضياع نفوذها ومن انكشاف ما كان خافيا من تصرفاتها. وكان ذلك لو ترك وشأنه.. كفيلا بتهديم جبهة الصمود الشعبى. ولذلك فلقد كان واجبا ــ بصرف النظر عن أى اعتبار ــ تصفية مراكز القوى.. ولم تكن تلك بالمسألة السهلة ازاء المواقف التى كان يعيشها الوطن.

رابعا ــ أننا استطعنا ــ وهذه مسألة اخلاقية ومعنوية أعلق عليها قيمة كبيرة ــ أن نضع أمام الجماهير بواسطة المحاكمات العلنية.. صورة كاملة لانحرافات واخطاء مرحلة سابقة..

وكان رأيى أن هذه مسئولية يجب أن يتحملها نظامنا الثورى بأمانة وشجاعة..

وكان رأيى أيضا أن الضمير الوطنى الذى أحس بأن انحرافات واخطاء قد وقعت ــ من حقه ومن مصلحته أن يعرف الحقيقة.. وأن يخلص وجدانه من أثقالها.. وأن ينفض عن نفسه كل رواسب الماضى لكى يدخل إلى المستقبل بصفحة نقية وطاهرة.

ومع كل العذاب الذى تحملته شخصيا ــ وتحمله المواطنون معى ــ خلال هذه العملية.. فلقد بقى إيمانى بضرورتها كإيمانى بطب الجراحة يقطع لينظف ويبتر لينقذ..

خامسا ــ أننا استطعنا أن نقوم بجهد سياسى واسع على جبهات عربية.. وجبهات دولية..

وتنوعت جهودنا تعددت على هذه الجبهات بالاتصال المباشر مع الأصدقاء فى الدول الاشتراكية.. وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى.. الذى أكدت لنا ظروف النكسة صداقته

المخلصة وتعاونه الصادق ووقوفه الصلب فى جبهة الثورة العالمية المعادية للاستعمار.. وكذلك مع الدول غير المنحازة.. ومع الدول الأسيوية والأفريقية.. ومع الدول الإسلامية.. ومع كل الشعوب الراغبة فى سلام قائم على العدل.. ومع كل الساسة العالميين الذين يستطيع بعد نظرهم أن يتجاوز نكسة عارضة فى تاريخ أمة كان لها دورها العظيم فى التاريخ.. وسوف يكون لها الدور العظيم فى مصير الإنسانية. إن هذه التحولات كلها قادها ودعمها إحساس عميق بالواجب لدى كثيرين من رجالنا فى كل مجالات المسئولية.. فى القوات المسلحة.. ومن خبراء الاقتصاد والعاملين فى وحدات الإنتاج.. ومن الملتزمين بأهداف النضال الشعبى.. والقادرين على خدمتها.. ومن المشتغلين بالسياسة والفكر والدبلوماسية.

كل هؤلاء ساهموا فى قيادة ودعم هذه التحولات التى تقارب المعجزة والتى نستطيع بعدها أن نقول اليوم.

الأن يصبح فى إمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

أيها الأخوة المواطنون

والأن ونحن نتطلع إلى المستقبل.. فإن اعتقادى الأكيد أن خير ما نستطيع أن نتسلح به لمواجهة مسئولياتنا المقبلة.. هو أن يكون فى يدنا برنامج عمل محدد ندرسه معا.. ونقره معا.. وتتفق عليه أرادتنا جميعا..

برنامج عمل يكفل وصولنا إلى الأهداف القريبة لنضالنا.. ويقرب منا يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال.

برنامج عمل لا تختلف فيه الاجتهادات ولا تتصارع الاراء ولا تتصادم القوى.

برنامج عمل نمسك به فى ايدينا.. وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه.. ثم نمضى على طريق الكفاح الطويل.. وفى يدنا خريطة للافق الفسيح أمامنا وخطة عمل لتقدمنا على هذا الأفق..

برنامج للتغيير يستجيب للامال العريضة التى حركت جماهير شعبنا إلى وقفتها

الخالدة يومى ٩ و ١٠ يونيو.. وهى الوقفة التى سأظل دائما.. وإلى آخر لحظة فى العمر.. مؤمنا بأنها كانت بعثا للثورة وتجديدا لشبابها.. والهاما لا يخيب وضوءا لا يخبو أمام طريق المستقبل.

ولقد بدأت التغيير ــ كما تعرفون ــ بإعادة تشكيل الوزارة.. والذى يعنينى فى تشكيل الوزارة الجديد أنه جاء إلى مواقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن.. لا يدين أحد منهم بمنصبه لاى اعتبار سوى اعتبار علمه وتجربته فى العمل السياسى.. وهم على أى حال يمثلون جيلا جديدا يتقدم نحو قمة المسئولية.

وإلى جانب ذلك.. فهناك تغييرات أخرى قادمة فى قيادات الإنتاج.. وفى السلك الدبلوماسى وفى المحافظين وفى رؤساء المدن..

إن الكثيرين ممن يشغلون هذه المناصب أدوا مسئوليتهم بجدارة واستحقاق.. ولكن بعضهم لم يكن على مستوى المسئولية سياسيا وتنفيذيا.. ومن الضرورى عليهم وعلينا افساح المجال للأقدر والأجدر..

لكن التغيير يبقى بعد ذلك اكبر من أن يكون مسألة اشخاص.. وإنما التغيير الذى نريده يجب أن يكون أكثر بعدا وأكثر عمقا من مجرد استبدال شخص بشخص.

أن التغيير المطلوب لابد له أن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ. والا فإن أى اشخاص جدد.. فى نفس الظروف.. وفى نفس المناخ.. سوف يسيرون فى نفس الطريق الذى سبقه اليه غيرهم.

إن التغيير المطلوب يجب أن يكون فكرا أوضح وحشدا أقوى وتخطيطا أدق.. وبذلك يكون للتصميم معنى.. وتكون للارادة الشعبية مقدرة اجتياح كل العوائق والسدود نافذة واصلة إلى هدفها.

أيها الأخوة المواطنون

أن المسئولية التاريخية للايام العصيبة ــ والمجيدة ــ التى نعيش فيها.. ونعيش لها.. تطرح بنفسها علينا برنامج عمل له جانبان:

الجانب الأول ــ حشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر.

والجانب الثانى ــ تعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل واجبات التحرير والنصر.. ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر.

أيها الأخوة المواطنون

سوف أبدأ بالجانب الأول من برنامج عملنا المقترح.. وهو الحشد..

وإنى لارجو أن يكون اتفاقنا كاملا على أنه ليس هناك الان ــ ولا ينبغى أن يكون هناك الان ــ صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدس من ندائها..

أن أى تفكير أو حساب لا يضع المعركة وضروراتها أولا وقبل كل شىء لا يستحق أن يكون تفكيرا ولا تزيد نتيجته عن الصفر.

إن المعركة لها الأولوية على كل ما عداها.. وفى سبيلها وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شىء ويرخص كل بذل، مالاً كان.. أو جهداً أو دماً..

ومهما كان السبيل الذى نسلكه إلى تحرير الأرض وتحقيق النصر.. فإنه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة..

وسواء يئسنا من العمل السياسى وتركناه.. وواجهنا اقدارنا فى ميدان القتال.. فإن النتيجة معلقة على استعدادنا للمعركة..

ولقد ابدينا استعدادنا ولا نزال للعمل السياسى عن طريق الأمم المتحدة أو غيره من الطرق..

ونحن نضع مع اشقائنا العرب كل وسائلنا.. سواء بواسطة مؤتمرات القمة.. أو بواسطة التنسيق الثنائى المباشر..

ونحن نتعاون مع كل القوى الشعبية العربية.. من أجل المقاومة المسلحة للعدو.. وكافة أشكال المقاومة الآخرى..

ونحن نفتح عقولنا وقلوبنا للعالم كله من نفس المنطق الذى حكم نضالنا الطويـــل.. وهو أننا نصادق من يصادقنا.. ونعادى من يعادينا

نحن نفعل ذلك كله عن تقدير واع لنتائجه الواقعة والمحتملة.. لكننا بعده يجـــب أن نكون مستعدين للمعركة مهما كلفتنا.. وحتى إذا وقفنا فيها وحدنا..

أن الأرض أرضنا.. والحق حقنا.. والمصير مصيرنا.. ولا نستطيع أمام انفســـنا وأمام امتنا العربية.. وأمام الأجيال القادمة.. من ابنائنا واحفادنا.. إلى الأبد.. أن نتردد أو نتخاذل أو نوزع التبعات على الآخرين.. مهما اقتضانا ذلك من التكاليف علـــى مواردنـــا وعلى أعصابنا وعلى أرواحنا..

هذا هو الجانب الأول من برنامج عملنا.. ولا أظنه بيننا موضع خلاف.. ذلـك لأن الخيار فيه هو: النصر أو الهزيمة.. الشرف أو العار.. الحياة أو الموت..

وليس هناك خيار حقيقى فى ذلك كله.. لان القرار حتمى وهو أننا نختار النصـــر، ونختار الشرف، ونختار الحياة..

أيها الأخوة المواطنون

أنتقل الأن إلى الجانب الآخر من برنامج عملنا المقترح وهو تعبئة كل جماهيرنـــا بما لها من طاقات وامكانيات من أجل واجبات التحرير والنصر ومن أجل آمال ما بعـــد التحرير والنصر.

وفى هذا الصدد فإنى أطرح النقط التالية:

١ــ إنه من الضرورى والحيوى حشد كل القوى الشعبية وبوسيلة الديموقراطيـــة وعلى أساسها وراء أهداف نضالنا القريبة والبعيدة أى وراء واجب المعركة، ووراء أمـل اتمام بناء المجتمع الاشتراكى الذى حققنا منه كثيرا وينبغى أن نحقق منه أكثر.

٢ــ أن صيغة الاتحاد الاشتراكى هى أكثر الصيغ ملاءمة لحشد القـــوى الشـــعبية بوسيلة الديموقراطية وعلى أساسها وهى تجسيد حى وصحى لمعنـــى أن تكـــون الثـــورة

للشعب وبالشعب ثم أنها الضمان بعد ذلك لتجنب دموية الصراع الطبقى ولكفالة فتح أسرع الطرق وأكثرها أمانا إلى التقدم.

والإتحاد الاشتراكى كما تذكرون وفقا للميثاق هو واجهة عريضة تضم تحالف قوى الشعب العاملة كلها، ثم تنظيم سياسى يقوم وسطها من الطلائع القادرة على قيادة التفاعل السياسى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات.

ولم تكن المشاكل التى عاناها الاتحاد الاشتراكى ترجع إلى قصور أو عيوب فى صيغته العامة، وإنما كانت أسباب القصور والعيوب ترجع إلى التطبيق وأول هذه الأسباب هو أن عملية أقامة الاتحاد الاشتراكى لم تبن على الانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة.

٣ ــ إن علينا الأن أن نعيد بناء الاتحاد الاشتراكى عن طريق الانتخاب من القاعدة إلى القمة أى من اللجان التأسيسية فى القرية والحى والمصنع والوحدة إلى المؤتمر القومى للاتحاد الإشتراكى، وإلى لجنته المركزية، وإلى اللجنة التنفيذية العليا.

وتذكرون إننى كنت قد أشرت فى خطابى يوم ٢٣ يوليو الماضى إلى تكوين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وكان التصور فى ذلك الوقت أن تكون بالتعيين ولقد اجلت ذلك خلافا لما قلته ووعدت به عن اقتناع بأن اسلوب التعيين ليس أفضل الأساليب وأن التعيين فى النهاية قد لا يعطينا إلا ما تفرزه مراكز القوى أو ما تقدمه المجموعات المختلفة والشلل.

وليس ذلك هو المرجو وليس هو ما يحقق لنا الهدف من الدور الذى كنا نطلبه للجنة المركزية.

إن طريق الإنتخاب سوف يعطينا الحل الأوفق.

أن يتم بناء الاتحاد الاشتراكى بالإرادة الشعبية وحدها.

أن تقوم قوى الشعب العاملة باختيار قياداتها المعبرة عنها، والمستوعبة لامالها الثورية ثم تدفعها إلى مواقع القيادة السياسية.

أيها الأخوة المواطنون

من هذه النقط الثلاث فإنى اقترح البرنامج التنفيذى التالى:

١ـ تجرى الانتخابات للوحدات التأسيسية للاتحاد الاشتراكى العربى وتتدرج الانتخابات حتى تصل إلى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى الذى ينتخب بدوره اللجنة المركزية التى تنتخب بدورها رئاستها وهى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى.

٢ـ يظل المؤتمر القومى المنتخب للاتحاد الاشتراكى العربى قائما إلى ما بعد إزالة آثار العدوان ويعقد دورة عامة بكامل هيئته مرة كل ثلاثة شهور لكى يتابع مراحل النضال ويوجهها ويصدر فى شأنها ما يراه.

٣ـ تظل اللجنة المركزية المنتخبة من المؤتمر القومى فى حالة انعقاد دائم وتقوم لجانها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية برسم سياسات العمل فى جميع المجالات استهدافا لتحقيق النصر واعادة البناء الداخلى.

٤ـ إن مجلس الأمة الحالى قد قارب على استيفاء مدته الدستورية، وهو لم يفرغ بعد من المهمة الاساسية التى أوكلت اليه وهى وضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.

وإذا كان المجلس لم يتمكن من أداء هذه المهمة فيبغى للانصاف أن نذكر دوره الكبير وما قام به من عمل يستحق التقدير.

والمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى وهو أعلى سلطة ممثلة لتحالف قوى الشعب العاملة قد يرى أن يقوم بنفسه بعملية وضع مشروع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة، وقد يرى فى الأمر رأيا آخر ومهما يكن فإنه من المهم أن يكون مشروع الدستور الدائم معدا بحيث يمكن فور انتهاء عملية إزالة آثار العدوان أن يطرح للاستفتاء الشعبى العام وأن تتلوه مباشرة انتخابات لمجلس أمة جديدة على اساس الدستور الدائم وانتخابات لرئاسة الجمهورية.

٥ــ أن اللجنة المركزية للمؤتمر القومى سوف يكون عليها غير واجباتها المحددة فى قانون الاتحاد الاشتراكى وغير مسئوليات الظروف الخاصة للنضال الوطنى فى مرحلته الحاضرة عدة مهام اضافية هى:

بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكى.

وتحديد مهام العمل الوطنى للمرحلة الجديدة والتنسيق بينها. ثم المشاركة فى وضع الخطوط العريضة للدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.

أيها الأخوة المواطنون

لكى يكون هناك ضوء كاف على طريقنا فاننى أريد من الان أن أضع أمامكم تصورى لبعض المهام الرئيسية فى المرحة القادمة من نضالنا:

١ــ تأكيد وتثبيت دور قوى العشب العاملة وتحالفها وقياداتها فى تحقيق سيطرتها بالديموقراطية على العمل الوطنى فى كافة مجالاته.

٢ــ تدعيم عملية بناء الدولة الحديثة فى مصر والدولة الحديثة لاتقوم بعد الديموقراطية إلا استنادا على العلم والتكنولوجيا ولذلك فانه من المحتم انشاء المجالس المتخصصة على المستوى القومى سياسيا وفنيا لكى تساعد على الحكم وإلى جانب مجلس الدفاع القومى فإنه لابد من مجلس اقتصادى قومى يضم شعبا للصناعة والزراعة والمال والعلوم والتكنولوجيا، ولابد من مجلس اجتماعى قومى يضم شعبا للتعليم والصحة وغيرها مما يتصل بالخدمات المختلفة، ولابد أيضا من مجلس ثقافى قومى يضم شعبا للفنون والآداب وللاعلام.

٣ــ اعطاء التنمية الشاملة دفعة أكبر فى الصناعة والزراعة لتحقيق رفع مستوى الانتاج والعمالة الكاملة مع الضغط على أهمية إدارة المشروعات العامة إدارة اقتصادية وعلمية.

٤ــ العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب واتاحة الفرصة أمامه للتجربة.

٥ـ اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية سواء فى نقابات العمال أو نقابات المهنيين.

٦ـ تعميق التلاحم بين جماهير الشعب وبين القوات المسلحة.

٧ـ توجيه جهد مركز نحو عمليات البحث عن البترول لما أكدته الشواهد العلمية من احتمالات بترولية واسعة فى مصر ولما يستطيع البترول أن يعطيه لجهد التنمية الشاملة من امكانيات ضخمة.

٨ـ توفير الحافز الفردى تكريما لقيمة العمل من ناحية واحتفاظا للوطن بطاقاته البشرية القادرة وافساح فرصة الأمل أمامها.

٩ـ تحقيق وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب.

١٠ـ ضمان حماية الثورة فى ظل سيادة القانون ولعله يكون مناسبا أن تقوم اللجنة المركزية بتشكيل لجنة خاصة ويكون لهذه اللجنة حق نظر كل الإجراءات التى ترى السلطة اتخاذها لدواعى الأمن الوطنى فى الظروف الراهنة.

أيها المواطنون

طلبا لمزيد من الضوء والوضوح أمد البصر ـ أيضا ـ إلى بعض خطوط العامة التى يجب ـ فى تقديرى ـ أن يتضمنها الدستور لكى تكون من الان تحت سمعنا وبصرنا دليلا ومرشدا.

أن الدستور الجديد يجب أن يكون حقيقة عملية وسياسية تعيش فى واقعنا وتنبع منه.

ولهذا فإننى اقترح من الآن أن تتضمن مواد الدستور الخطوط الأساسية العامة التالية:

١ـ أن ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الإنتماء المصرى إلى الأمة العربية تاريخيا ونضاليا ومصيريا، وحدة عضوية، فوق أى فرد وبعد أى مرحلة.

٢ــ أن ينص الدستور على حماية كل المكتسبات الاشتراكية وتدعيمها بما فى ذلك النسبة المقررة بالميثاق للفلاحين والعمال فى كل المجالس الشعبية المنتخبــــة، واشــتراك العمال فى ادارة المشروعات وأرباحها، وحقوق التعليم المجـــانى والتأمينـــات الصحيــة والإجتماعية، وتحرير المرأة وحماية حقوق الأمومة والطفولة والأسرة.

٣ــ أن ينص الدستور على الصلة الوثيقة بيــن الحريــة الإجتماعيــة والحريــة السياسية وأن تتوفر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين وفى كل الظروف.

وأن تتوفر أيضا كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والــرأى والبحــث العلمى والصحافة.

٤ــ أن ينص الدستور على قيام الدولة العصرية وأدارتها لأن الدولة العصرية لــم تعد مسألة فرد ولم تعد بالتنظيم السياسى وحده وإنما أصبح للعلوم والتكنولوجيــا دورهــا الحيوى ولهذا فإنه يجب أن يكون واضحا أن رئيس الجمهورية يباشر مســئولية الحكــم بواسطة الوزراء وبواسطة المجالس المتخصصة التى تضم خلاصة الكفــاءة والتجربــة الوطنية بما يحقق ادارة الحكومة عن طريق التخصص واللامركزية.

٥ــ أن ينص الدستور على تحديد واضح لمؤسسات الدولة واختصاصاتها بما فــى ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية.

ومن المرغوب فيه أن تتأكد سلطة مجلس الأمة باعتباره الهيئة التى تتولى الوظيفة التشريعية والرقابة على أعمال الحكومة والمشاركة فى وضع ومتابعة الخطة العامة للبناء السياسى وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كذلك فإن من المرغوب فيه افساح الفرصة لوسائل الرقابة البرلمانيــة والشــعبية لتحقيق حسن الأداء وكفالة أمانته.

٦ــ أن ينص فى الدستور عل تأكيد أهمية العمل باعتباره المعيار الوحيد للقيمــة الإنسانية.

٧ـ أن ينص فى الدستور على ضمانات حماية الملكية العامة والملكية التعاونية والملكية الخاصة وحدود كل منها ودوره الإجتماعى.

٨ـ أن ينص فى الدستور على حصانة القضاء وأن يكفل حق التقاضى ولا ينص فى أى اجراء للسلطة على عدم جواز الطعن فيه أمام القضاء ذلك أن القضاء هو الميزان الذى يحقق العدل ويعطى لكل ذى حق حقه ويرد أى اعتداء على الحقوق أو الحريات.

٩ـ أن ينص فى الدستور على انشاء محكمة دستورية عليا يكون لها الحق فى تقرير دستورية القوانين وتطابقها مع الميثاق ومع الدستور.

١٠ـ أن ينص فى الدستور على حد زمنى معين لتولى الوظائف السياسية التنفيذية الكبرى وذلك ضمانا للتجديد وللتجديد باستمرار.

أيها الأخوة المواطنون

لقد قصدت أن اتناول أكبر قدر ممكن من رؤوس المسائل وتفاصيلها ويكون برنامج العمل الذى تمسك به ايدينا فى المرحلة القادمة قادرا على الوفاء وعلى التحقيق.

وبعد ذلك فإنى أرى طرح هذا البرنامج الذى اقترح أن نسميه اختصارا بتاريخ هذا اليوم ٣٠ مارس ـ للاستفتاء العام.

وبطرح برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ لاستفتاء العام فإنى أقصد بذلك أن يكون واضحا لنا جميعا ما نريد وأن يكون موضع اتفاقنا. كذلك اريده أن يكون واضحا أمام امتنا العربية ومدعاة لثقتها فى وحدة النضال واستمراره.

وأريده أيضا أن يكون واضحا أمام الصديق وأمام العدو على حد سواء وموضع اعتبار كل الذين يقفون معنا وكل الذي يقفون ضدنا.

إن الدستور المؤقت الصادر سنة ١٩٦٤ يعطى "لرئيس الجمهورية حق أن يستفتى الشعب فى المسائل الهامة المتصلة بمصالح البلاد العليا" وذلك وفقا للمادة ١٢٩ منه.

وإذا كان هناك من تصور صعوبة الاستفتاء العام فى مثل الظروف التى نعيش

فيها فإننا نرى أن ذلك وقته وظروف المعركة ليست حائلا دونه بل إننا نراه ضرورة من ضرورات المعركة.

إن المعركة ليست معركة فرد وليست معركة جيش وإنما هى معركة شعب ومعركة أمة بأسرها، وهى فى نفس الوقت معركة حياة أو موت.

إن قوى الشعب العاملة هى وحدها التى تستطيع توفير كل ضرورات النصر وحشد كل الطاقات اللازمة لتحقيقه واعطاء أكبر قدر من ارادة الصمود بجبهة ميدان القتال.

أن أى نظام ثورى يستند على الجماهير وحدها لايكفيه أن يكون الشعب وراءه راضيا ومؤيدا وإنما هو يحتاج إلى كثير من ذلك.. يحتاج إلى أن يكون الشعب أمامه موجها وقائدا.

أيها الأخوة المواطنون

إذا كان هذا البرنامج تمثيلا صحيحا لافكارنا جميعا فإننى أرى الخطوات التنفيذية التالية:

١ــ أن يجرى الإستفتاء العام على برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ فى يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٦٨.

٢ــ بعد ظهور نتيجة الاستفتاء وإذا كانت النتيجة بنعم فسوف أصدر قرارا بتشكيل لجنة مؤقتة للاشراف على انتخابات المؤتمر القومى ويحق لها أن تنضم إلى عضويته العاملة بعد انتهاء عملية انتخابات المؤتمر.

٣ــ على هذا الأساس فإنه يمكن للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى أن يجتمع يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ١٩٦٨ ويعقد دورة افتتاحية ينتخب فى نهايتها لجنته المركزية.

أيها الأخوة المواطنون

إن سجل نضالنا يشهد لشعبنا.

إن الشعب الذى غير بكفاحه خريطة الشرق الأوسط وأزال من فوقها سيطرة الامبراطوريات الاستعمارية القديمة، وتصدى فى وسطها لمحاولات الاستعمار الجديد. وتحمل تبعات الوحدة العربية سلما وحربا وفجر عصر الثورة الإجتماعية وبنى وعظم السدود وقهر الصحراء وأقام أول قاعدة عربية للصناعة المتقدمة.. هذا الشعب يملك المقدرة ويملك التجربة لتجاوز هزيمة عارضة فى تاريخه وتاريخ أمته.

إننا سوف نحقق كما حققنا، وسوف ننتصر كما انتصرنا. ولتعل إرادة الحق فوق كل إرادة لانها جزء من ارادة الله.

ملحق رقم (٤)

تكذيب الفريق أول محمد فوزى لمقالى الذى تضمن حديثاً مع السيد اللواء الحناوى... والذى نشرته العربى بعرض الصفحة الأولى تحت عنوان الجريدة وكلمة موحية لجمال عبد الناصر، (دون أن تنتظر هل ستنشره روزاليوسف أم لن تنشره... ولقد نشرته روزاليوسف ... أما العربى فلم تنشر الرد الذى أرسلته إليها!!!).

إن الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال. ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها.. أكثر وعيا من جيل سبق.. أكثر صلابة من جيل سبق.. أكثر طموحا من جيل سبق. إن علينا بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية.

جمال عبد الناصر

ما جاء على لسان قائد القوات الجوية "تخاريف"

الفريق أول فوزى: عبد الناصر أمر بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة

نفى الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية الأسبق ما جاء فى شهادة اللواء مصطفى الحناوى قائد القوات الجوية الأسبق حول ما حدث أثناء مظاهرات الطلبة بالاسكندرية عام ١٩٦٨. ووصف الفريق أول فوزى ما جاء على لسان الحناوى ونشرته مجلة "روزاليوسف" من أن عبد الناصر أمر بإطلاق النار على المظاهرات باستخدام طائرات الهليكوبتر بأنه محض تخاريف، وأكد أن تعليمات عبدالناصر المباشرة فى تلك الأحداث شددت على عدم التعرض للمظاهرات.

وكان الفريق أول فوزى قد أرسل ردا إلى "روزاليوسف" بشأن هذه الواقعة وهذا نصه:

تأسفت كثيرا عندما اطلعت على ادعاءات لواء طيار متقاعد مصطفى

الحناوى قائد القوات الجوية الأسبق. عندما سجل حديثا لمجلة "روز اليوسف" نشر بالعدد ٣٥٩٤ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٩٧، نسب فيه إلى الرئيس عبد الناصر بعد ربع قرن ضرورة تفريق مظاهرات الطلبة بضرب النار بواسطة طائرات الهليكوبتر. بالاسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨. هذه التخاريف التى صدرت من قائد القوات الجوية الأسبق فى حديث منتصف الليل، وأحب أن أؤكد أن التوجيهات السياسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة والموضحة فى أذهان القيادات العسكرية هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرات وإن مسئولية فضها يقع على كاهل التنظيم السياسى.

وكان تأكيدى لنائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وهى الهيئة المسئولة عن جميع تحركات القوات المسلحة ــ اللواء محمود جاد تهامى واللواء طلعت مسلم* ــ بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة حتى لو وصلت هذه المظاهرات إلى مبنى هيئة العمليات نفسها**، وذلك طبقا للتوجيهات السياسية الصادرة من الرئيس جمال عبد الناصر.

إن الطلاب هم فلذة أكبادنا ومستقبل مصر والذين تطوع الآلاف منهم لخدمة الجبهة أثناء حرب الاستنزاف فى فصائل خدمة الجبهة والذين شكلوا العمود الفقرى للقوات المسلحة فى حرب أكتوبر المجيدة.

---

* اللواء طلعت مسلم كان فى هيئة عمليات القوات المسلحة أم كان كما قال عن نفسه فى المقال الذى تلا هذا التكذيب باسبوع "رئيسا لغرفة العمليات بإحدى فرق القوات المسلحة (متمركزة فى دهشور) فى هذه يسال الفريق أول فوزى (!!!)، ورأيى أن سيادة الفريق أول كان قد جهز كلاما يقوله مع سيادة اللواء طلعت مسلم (الذى وجده ليشهد) وأراد أن يرقيه هنا بأثر رجعى (!!) لكى يجعل لكلامه مصداقية.

** اللواء طلعت مسلم قال فى رده حتى لو وصلت إلى "الثكنات" ذلك أنه لم يكن فى هيئة العمليات.

إذن كيف يتصور ويتخيل قائد القوات الجوية الأسبق أن تمس شعرة منـــهم.. وهم الذين قال عنهم جمال عبد الناصر:

"الشباب موضع الصدارة.. لا يمكن أن يحدث تناقض بين الثورة وشبابها.

والمعروف أن الفريق أول محمد فوزى كان يشغل منصب وزير الحربيـــــة والقائد العام للقوات المسلحة فى ذلك الوقت.

ملحق رقم (٥)

هجوم "جريدة العربى" على المقالات ... وعلى كاتبها

عفواً: "تخاريف اللواء الحناوى.. وحقيقة أحداث مظاهرات الطلبة!

- هل أصبحت مواجهة الصهيونية ورفض التطبيع جريمة الناصرين.
- عبد الناصر احتضن رفض شباب الثورة وأيده.
- كيف يلتقى اللوبى الصهيونى مع قائد أسبق.
- كل الشهود أجمعوا على كذب ما نشر عن المظاهرات.
- تعليمات القيادة كانت تشدد على عدم التعرض للطلبة حتى لو وصلوا الثكنات العسكرية.
- اللواء الحناوى خرج من الخدمة بشكل غير مرض له شخصيا.. والسن له أحكامه.
- عبد الناصر كان يعتبر نفسه واحدا من جماهير الشعب فكيف يأمر بقصف الطلبة بالطيران؟!.

يحاول النكرات أن يصنعوا لأنفسهم تاريخا ودورا وطنيا، ولا يجدون فى ذلك غضاضة، بعد أن كتب المقاولون مذكراتهم السياسية، وتحول المؤرخون إلى كتبه ينقلون عن حواديت الصحفيين، وانتشرت مهاجمة الوطنيين، وتحول رفض إقامة علاقات مع الصهاينة إلى جريمة، وارتفعت أصوات أتباع الأعداء وأنصارهم، يدافعون عن علاقاتهم المشبوهة والمأجورة تحت ستار الدفاع عن الاخرين. وأصبحت جريمة الناصريين هى رفض الاحتلال والوجود الصهيونى على الأرض العربية، ويقوم موظفو المركز الثقافى الصهيونى بتكثيف جهوده لهدم

صورة عبد الناصر وتشويه نضال الشعب لحساب أعدائه ووصل بهم الأمر إلى حد الدفاع صراحة، وبلا خجل عن الجواسيس وعملاء المخابرات المركزية.

ولقد أصيبوا بفزع من يقظة مصر وانتفاضة شعبها ضد التطبيع وضد إقامة علاقات مع الصهاينة، وراحوا يستعدون السلطة التى أبرمت أتفاقيات ضد رافضى إقامة هذه العلاقات التى يرفضها ويقاومها الشعب العربى ليس فى مصر وحدها بل وفى جميع البلاد والتى رفضتها فى بلادنا الجمعيات العمومية للهيئات والنقابات وهذه الجمعيات العمومية تمثل جموع الأعضاء المنضمين إليها، ويعرف الصغار قبل الكبار أن عدم تنفيذ قراراتها أو العصف بها يعنى رفضها لرأى الأغلبية لحساب الصهاينة وحدها الإرهاب.

هؤلاء الذين يقاتلون بكل أسلحتهم ضد الديموقراطية حتى لا تتخذ مواقف من المطبعين تنفيذا لرأى الأغلبية هم بكل أسف من المصريين.. الذين تناسوا الدماء التى سالت والشهداء الذين سقطوا، ومذابح الأعداء البعيدة والقريبة وتناسوا فوق ذلك احتلال فلسطين، ومحاولات تهويد القدس، ولا يخجلون من أن يصدموا بهذه الآراء الشارع العربى خصوصا فى هذه الظروف، وبعد أن قرر وزراء الخارجية العرب ضرورة إعادة إحياء المقاطعة.

فى الوقت الذى يضيق فيه الرسميون الخناق على الصهاينة، ويقررون المقاطعة، وتعيد الجامعة العربية إحياء مكاتب المقاطعة، يظهر من يدافعون عن إقامة علاقات شعبية مع العدو، وهو خيط يتشبث به الصهاينة، ويدفعون رجالهم إلى تبنيه والدعوة له.

اختلطت الأمور، حتى أصبح الذين يخضعون لرأى الأغلبية ديكتاتوريين، والذين يطبقون قرارات الجمعيات العمومية للنقابات إرهابيين وفاشيين فكانت هذه

القرارات بالاجماع وليس بالأغلبية وكأنها دعوة سافرة لإقامة علاقات شعبية مع الصهاينة فى هذا الوقت بالذات ــ وأن علينا معاقبة اتحاد نقابات المهن الفنية واتحاد الكُتاب، وغيرهما لسعيهما للخضوع لرغبة الأعضاء بايقاف التطبيع، وأن على هذه الهيئات أن تحشد أعضاءها ليسافروا إلى القدس المحتلة وإلى تل أبيب ليتبادلوا الأحضان مع الصهاينة ــ بينما مازالوا يحتلون الأرض، ومسيرة السلام تتعثر، وهوية فلسطين تضيع.. بل وإن علينا سلفا أن ننسى مذابح الصهيونية، وقيام الدولة العبرية العنصرية غصباً وبالاحتلال على الأرض العربية.

وذلك هو منطق دعاة الصهيونية، وأتبعاعها والمتعاملين معها.. وهذا هو رأيهم الذى يحاولون بأساليب مكتوبة ومستفزة أن يفرضوه بالغصب حتى إنهم يرون الخضوع للأغلبية الساحقة هو ديكتاتورية، وأى طفل صغير مازال يتعلم فى كتاب القراءة الرشيدة سوف يضحك لهذا المنطق وربما يزول عنه العجب لو فهم الدوافع، والأهداف، ووقف على حقيقة الذين يحملون هذا الرأى ومن هم وراءهم.

كانت هذه مقدمة سريعة عن اللوبى الصهيونى الذى تكون فى مصر تحت لافتة الاستفادة فباع شرف أمته، وتاريخها، ونضالها، وفرط فى أقدس قضاياها.

وهناك لوبى آخر يلتقى معه فى نفس الهدف بالهجوم على جمال عبد الناصر، يضم أقصى اليمين، مع اقصى اليسار.

وقد ظهر ذلك واضحا بواسطة شخص مجهول، لم يسمع عنه أحد ولا يعرفه حتى زملاؤه، يكتب سلسلة مقالات عن مظاهرات الطلبة التى قامت سنة ٦٨ احتجاجا على الأحكام الهينة التى صدرت ضد قادة الطيران، وهو يرى أن هذه المظاهرات قادها يساريون متطرفون، ويمينيون متخفون جميعا وراء مظلة منظمة الشباب.

وكل الذين شاركوا فى منظمة الشباب والذين قادوا حقيقة هذه المظاهرات من منطلق وطنى غير مدفوع، يستنكرون الأكاذيب والإدعاءات التى طفحت على سطح كل ما نشر، ويمكن أن نلتمس العذر لشاب مجهول يريد أن يصنع لنفسه تاريخا، ودورا وطنيا، وكان ذلك ممكنا دون اللجوء إلى التشويه، والتجنى على الحقيقة..

لقد أخرج قائد القوات الجوية الأسبق ـ ولن أذكر اسمه حتى أفوت عليه فرصة الشهرة التى سعى لها ـ هذا القائد من مرقده، ليقول كلاما عبيطا تافها لا يصدقه أحد.

وهذا القائد لم يسمع به أحد، ولا يذكره أحد، فلا هو ترك بصمة أو أثرا، ونسيه الناس، ولعله ـ وقد وجد ضجة أثيرت حوله، واسمه بدأ يفكر * أن يواصل افتراءاته، ويخترع أكاذيب جديدة، بل لعله يفكر أن يكتب مذكراته ليصنع لنفسه تاريخا أو ليصبح موضع حديث الناس.. قال قائد القوات الجوية الأسبق إن عبد الناصر أصدر أمرا بضرب مظاهرات الطلبة بالمدافع من الطائرات.. ويعرف الجميع أن عبد الناصر كان ضد إراقة الدماء العربية، ورحل بينما يسعى لوقف الاقتتال العربى، وكان موقفه بارزا عملا وفكراً بعدم استخدام السلاح العربى ضد العرب فى الكويت، وفى سوريا، فى ظل ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد، هذا الرجل يقول عنه قائد الطيران الأسبق بعد ثلاثين عاما أنه أمر بضرب الطلبة المصريين بالطائرات، ولكن قائد القوات الجوية رفض..!

وليس منطقيا أنه بعد رفض الأمر، أن يستمر فى موقعه بعد ذلك ثمانية أشهر.. ولكنه استمر، حتى احيل للتقاعد فى يونيو من العام التالى.. ولقد استشهد الرجل بمحمد حسنين هيكل.. ولكن هيكل كذب الواقعة تماما، وقال إنها غير صحيحة وأن الرجل يحلق فى أوهام وكان قائد الطيران قد قال أنه تحدث مع هيكل

* هكذا فى الأصل وأظنها يذكر.

فى هذا الأمر إلا أن الاستاذ هيكل رد بأنه لم يتحدث معه أبدا فى الموضـــوع، وأن ما يدعيه مخالف للتعليمات التى أصدرها عبد الناصر وتساءل كيـــف لـــم تطلـــق رصاصة ضد الطلاب من الأرض، وأن يضرب الطلاب بالطيران فى الشوارع!

وقال الفريق أول محمد فوزى قائد الجيش أن ما ذكره القائد النكــــرة غـــير صحيح أى أن كل الأطراف قالت إنه كذاب فيما عدا اثنين مـــن شـــلته وأصدقائـــه وزملائه..

تكتسب شهادة اللواء طلعت مسلم، حول أحداث مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ أهمية خاصة لأكثر من سبب.. الأول هو أن الرجل كان واحدا من القليليـــن جـــدا الذين عاصروا أحداث مظاهرات الطلبة عن قرب بحكم موقعـــه كرئيـــس لغرفـــة العمليات باحدى فرق القوات المسلحة فى ذلك الوقت، والثانى أن الرجل ـــ متعـــه الله بالصحة والوعى دائما ـــ لا يزال يواصل عمله السياسى داخل تنظيمات حـــزب العمل المصرى السياسية، وفوق ذلك كله مواقفه الوطنية لا تخفى على أحد.

أن يدلى اللواء طلعت مسلم بشهادته الآن حول احداث انتفاضة الطلبـــة فـــى ٦٨ فإنه ـــ كما قال للزميل أحمد أبو المعاطى فى حوار طويل فى رحاب جامعـــة القاهرة ـــ فإنه يدلى بها للأجيال القادمة، ولتصحيح رؤية حاول البعض ـــ معـــذورا ـــ أن يجعلها ضبابية وباهتة.. ومغايرة للواقع والحقيقة.

- بداية ما هو تعليقك على ما جاء على لسان اللواء مصطفى الحناوى رئيـــس القوات الجوية الأسبق فيما يتعلق باحداث ٦٨؟!

شهادة اللواء الحناوى كانت مفاجئة بالنسبة لى ولعـــدد كبـــير مـــن الذيـــن عاصروا الأحداث عن قرب، ومازلت حتى الآن مدهوشا من هذه الرواية الغريبـــة،

وأذكر أنى كنت مع بدايات عام ٦٨ فى فرقة بمنطقة دهشور واستمرت* فى هذه المنطقة حتى قامت احداث مارس ٦٨ والتى كانت تتركز فى القاهرة وحدها، يومها صدرت الأوامر لجميع فرق القوات المسلحة بعدم التعرض للمظاهرات وكانت التعليمات واضحة للجميع حتى وصلت المظاهرات إلى منطقة دهشور وهو الأمر المستبعد..**

بل وحتى لو حاول المتظاهرون الاعتداء علينا داخل ثكناتنا العسكرية.

- وهل ينطبق ذلك أيضا على أحداث مظاهرات الاسكندرية فى نوفمبر ٦٨؟!

بالطبع لم يتغير فى الأمر شيء، وكنت بصفتى رئيسا لغرفة العمليات*** فى ذلك الوقت ملما بجميع الأحداث والأوامر التى تصدر من القيادة العليا، وما اذكره جيدا فى تلك الفترة أن الأوامر جاءت مشددة هذه المرة من القيادة العليا بالابتعاد تماما عن الاحتكاك ــ مجرد الاحتكاك ــ بالمتظاهرين حتى لو تعرضنا لاستفزازات من خارج ثكناتنا العسكرية.

- إذن لماذا يحاول اللواء الحناوى الآن تشويه التاريخ ولى عنق الحقيقة؟!

استطيع أن أقول إن السن له أحكامه فى كثير من الحالات، وبعيدا عما تعرض له احد الكتاب فى الحوار مع اللواء الحناوى فإنه فى شهادته لم يكن منصفا

---

* هكذا هى فى الأصل.

** الجملة هكذا فى الأصل ولا معنى لها فى السياق إلا إذا كان يريد أن يطول، أن التعليمات كانت بعدم التعرض للمظاهرات حتى لو وصلت إلى دهشور (!!)، ولعلها محاولة من الأستاذ عبد الله إمام أن يجعل لقائد من قواد القوات المسلحة كان فى دهشور مصداقية لحديثه عن مظاهرات جرت فى القاهرة.

*** هكذا فى الأصل، وأظن بتر الجملة كان مقصودا فالمقال قال قبل ذلك عن اللواء طلعت مسلم أنه كان رئيسا لغرفة عمليات بإحدى فرق القوات المسلحة فى ذلك الوقت، إن هذا البتر يوحى بأنه كان فى غرفة عمليات القوات المسلحة شخصيا وليس فى فرقة فى دهشور.

إذا استبعدنا مسألة السن، فلقد خرج من القيادة ــ قيادة القوات الجوية ــ بشكل غير مرض، ومن يومها أصبح لديه ميل واضح لمهاجمة كل من تصور أنهم كانوا وراء خروجه من الخدمة، ولو كان اللواء الحناوى قد هاجم الفريق فوزى مثلا لأصبح الخلاف بين فردين على قيد الحياة يستطيع كل منهما أن يرد على الآخر، لكن أن تمتد "تخاريف" اللواء الحناوى إلى عبد الناصر شخصيا فالأمر يختلف.

ربما حسبها اللواء الحناوى فى رأسه بأنه إذا وقف بشهادته تلك أمام عبد الناصر فإنه يكون قد رد اعتباره من نظام الحكم فى مصر فى تلك الفترة ومن الزعيم أيضا وبالتالى فقد يشفى ذلك شيئا من غليله، ووفقا لما قاله أحد الكتاب على لسان اللواء الحناوى لم يحدث بينه وبين عبد الناصر أى حديث حول هذا الموضوع أما إذا كان ما جرى قد تم بينه وبين الفريق فوزى فالأمر يختلف لأنه يصبح هنا بعيدا عن عبد الناصر.. اعتقد ان اللواء الحناوى ــ بهذا الكلام ــ يريد أن يأخذ حجما أكبر من حجمه.

- بحكم موقعك.. وقربك من الأحداث هل كان يمكن لعبد الناصر أن يصدر أمرا بالتصدى للطلبة هكذا؟!

مستحيل لأكثر من سبب، أولا لقد قابلت عبد الناصر، وحسب معرفتى به كان يرفض تماما أن يكون بينه وبين الشعب أى تناقض مهما كان حجمه، ولعل الجميع يذكر أحاديث الزعيم فى العديد من المناسبات لقد كان حديث عبد الناصر ينصب حول جُمل بعينها عندما كان يقول "الشعب يطالب بكذا وأنا معه".. لقد كان الزعيم يضع نفسه دائما فى صفوف الجماهير، وبالتالى فالكلام حول وقوف عبد الناصر أمام الشعب وفى القلب منه طلابه هو أمر غير منطقى بالمرة.

- لكن اللواء الحناوى يؤكد أن الأوامر صدرت من عبد الناصر شخصيا؟!

هذا غير صحيح على الإطلاق.. لقد كنا نتابع أحداث الإسكندرية بقلق بالغ،

لكن القوات المسلحة كانت بعيدة كل البعد عن هذه القصة*، واذكر أننى كنت قد سألت السيد أمين هويدى ــ وكان وقتها رئيسا للمخابرات ــ حول الموضوع** ووفقا لكلامه فقد رفض عبد الناصر وقتها تدخل القوات المسلحة لفض المظاهرات وبالتالى فالكلام حول هذا الموضوع الآن ليس له أى معنى.

- ما هو السر إذن فى تفجير مثل هذه الروايات الآن؟!

بالقطع وقبل كل شيء الاعداء قبل الأصدقاء لايختلفون على أن شخصية مثل شخصية الزعيم جمال عبد الناصر لاتزال باقية حتى الآن رغم مرور أكثر من ٢٧ عاما على رحيله.. وسوف تظل شخصية جمال عبد الناصر مثيرة للجدل على مر السنين.. الناس الآن لم تعد تذكر السادات وغيره من الرؤساء المصريين مثلما تذكر عبد الناصر، كما أن اسم عبد الناصر ظل مثاراً للاختلاف والتأييد الماضية وسيظل مثارا للمعارضة أيضا فلقد كانت ثورة يوليو هى بداية طوفان التغيير الجذرى فى المجتمع المصرى، فغيرت العلاقات بين الطبقات، وأصبح وطن الأقلية وطنا للأغلبية وبالتالى فكل من شعر بأنه قد أضير من هذا النظام سوف يظل فى نفسه شيء.. هذه هى القصة.

---

* راجع مذكرات أحمد كامل الذى كان محافظا للاسكندرية والتى يؤكد فيها أنه طلب من سامى شرف موافقة عبد الناصر على تدخل القوات المسلحة لأنهاء اعتصام الطلاب، وجاءه الرد من سامى شرف بأن الرئيس موافقة، وأنه قد وضع محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة فى خدمته... وتأكد بنفسك أن كان أحمد كامل ما طلبه من جمال عبد الناصر لتعرف القيمة الحقيقية لشهادة اللواء طلعت مسلم.

** عن أى شئ سأل السيد أمين هويدى؟ هل سأله عن موضوع الطيران .. هل تتوقع إذن أن كان الموضوع حقيقا وأن كاد اللواء أن يقول خذونى!!، أم سأله فى ذلك الوقت عن تدخل القوات المسلحة عموما وهو الذى يؤكد أنه كان فى غرفة العمليات ويعرف كل شئ.. هل يسال من يعرف كل شئ؟

لقد احتضن عبد الناصر غضب الشباب، واستوعبه وأيده وتحدث عنه في خطب علنية وشرحه، ورآه مشروعا من جيل الثورة "ويمكن أن نعود إلى هذه القضية بتفاصيل أوسع، وشهادات أوثق من الذين عاشوا الحقيقة على أرض الواقع، ولا يسعون لشهرة، أو لتصفية حسابات تافهة، ولم تبرد جراحهم بعد كل هذه السنوات الطويلة، فمازال الحقد يمزقهم، ويدمر تفكيرهم.. فيخرجون بين الحين والآخر تخاريف لا يحترمون فيها أنفسهم، ولا أدوارهم بحثا عن شهرة أو سطر فى جريدة قبل أن تنشر أسماؤهم فى صفحة الوفيات.

أوردنا مجرد عينات من الذين يهاجمون جمال عبد الناصر..

لوبى صهيونى يهيل التراب على دماء الشهداء العرب، ولا يهمه أن إسرائيل مازالت تحتل أرضا عربية، وتهود القدس، وأنها اغتصبت فلسطين ويطالب بتطبيع العلاقات معها ويهاجم إجماع الذين يتخذون موقفا وطنيا مع جماهير الشعب العربى ومع الفلسطينيين الذين مازالوا يتساقطون كل يوم برصاص الإرهاب الصهيونى.

ولوبى آخر يضم أقصى اليمين وأقصى اليسار، ليس معروفا سب اختياره هذا التوقيت بالذات ليعزف مع المتصهينين نفس النغمة!.

عسكرى سابق وصل إلى موقع قيادة القوات الجوية لا كفاءة، ولا عملا، وإنما بعلاقات شخصية كانت تربطه بالشهيد عبد المنعم رياض..

ومن يدرى ماذا سيخرج علينا من تخاريف جديدة.. من هؤلاء وهؤلاء.. أو من آخرين من دونهم.. لايخفون علي جماهير شعبنا.. كما أن*.

---

* انتهى الأصل عند هذه الكلمة ــ فى الجريدة ــ ولم يكن للمقال تكملة !!

ملحق رقم (٦)

صورة للردود التى وردت إلى مجلة روزاليوسف تعقيباً على ما طرحه اللواء الحناوى

شهود النفى والإثبات يتحدثون :

ضرب المظاهرات بالطائرات

الفريق فوزى : أمرت الجيش ألا يقترب من الطلبة حتى لو هاجموا مبنى العمليات.

محمد حسنين هيكل : اللواء الحناوى يحلق فى الأوهام بعد أن توقف عن التحليق بالطائرات.

اللواء نبيل كامل : فى القاهرة والاسكندرية طرنا فوق الطلبة بالهليكوبتر.

اللواء جبر على جبر : الطائرات كانت فوق الطلبة ولم يكن هذا هو خط سيرها.

اللواء الحناوى : تحركات الطائرات محفوظة فى غرفة العمليات بالجيوشىُ... اقرأوها !

محمود الجيار : تعليمات لشعراوى جمعة بألا يطلق النار على الطلبة.

كنا نتوقع بالطبع أن ما أثاره اللواء الحناوى سوف يقيم الدنيا ولا يقعدها.

إن اللواء الحناوى كان قائداً لسلاح الطيران فى عام ١٩٦٨، وقد قال لهشام السلامونى فى حلقاته عن مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ و١٩٧٢: إن عبد الناصر أمر بتفريق هذه المظاهرات بنيران الطائرات الهليكوبتر*.

والمعلومة خطيرة بالطبع وخاصة أن سلاح الطيران فى ذلك الوقت كان رمزا لهزيمة ١٩٦٧، قبل أن يصبح رمزاً للنصر.. وفوق كل هذا فإن أمراً من ذلك النوع ليس متوقعاً على الإطلاق من زعيم كان يتوجه أساساً ببرنامجه إلى الشباب.

ومن هنا لم يكن غريباً أن تتوالى ردود الفعل من أطراف مختلفة تحدثت عنها القصة.

ولنبدأ بالفريق أول محمد فوزى، وزير الحرية الأسبق الذى قال:

تأسفت كثيراً عندما أطلعت على ادعاءات لواء طيار متقاعد مصطفى الحناوى، قائد القوات الجوية الأسبق، عندما سجل حديثاً لمجلة روزاليوسف نشر بالعدد ٣٥٩٤ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٩، نسب فيه إلى الرئيس عبد الناصر بعد ربع قرن ضرورة تفريق مظاهرة الطلبة بضرب النار بواسطة طائرات الهليكوبتر بالإسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨، هذه التخاريف التى صدرت من قائد القوات الجوية الأسبق فى حديث منتصف الليل، وأحب أن أؤكد أن التوجيهات السياسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة، والموضحة فى أذهان القيادات العسكرية، هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرة، وأن مسئولية فضها يقع على كاهل التنظيم السياسى.

وكان تأكيدى لنائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، وهى الهيئة المسئولة عن جميع تحركات القوات المسلحة ــ اللواء محمود جاد تهامى، واللواء

* اللواء الحناوى قال لى إن الفريق فوزى قال له أن عبد الناصر يريد ضرب مظاهرات الطلبة بالرشاشات من عيار كبير، ولم يقل لى أن المطلوب كان تفريقها فقط.

طلعت مسلم بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة حتى لو وصلت هذه المظاهرات إلى مبنى هيئة العمليات نفسها، وذلك طبقاً للتوجيهات السياسية الصادرة من الرئيس جمال عبد الناصر.

إن الطلاب هم فلذة اكبادنا ومستقبل مصر، والذين تطوع الآلاف منهم لخدمة الجبهة أثناء حرب الاستنزاف فى فصائل خدمة الجبهة، والذين شكلوا العمود الفقرى للقوات المسلحة فى حرب اكتوبر المجيدة.

إذن كيف يتصور ويتخيل قائد القوات الجوية الاسبق أن تمس شعرة منهم.. وهم الذين قال عنهم جمال عبد الناصر :

"الشباب موضع الصدارة لا يمكن أن يحدث تناقض بين الثورة وشبابها".

أما **الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل** فلم يرسل رداً، لكنه قابل بعض الزملاء الصحفيين من روزاليوسف فى عزاء والد عادل إمام، فتحدث معهم عن عدة نقاط :

١- أنه لم يعرف شيئاً عن هذه الواقعة على الإطلاق، وأنه لا يعتقد أن جمال عبد الناصر، أعطى هذا الأمر ابداً، وأنه لم يسبق له أن تحدث فى هذا الموضوع مع اللواء الحناوى.

٢- إن ذلك مخالف للتعليمات التى كانت موجودة لدى شعراوى جمعة، بألا يتجاوز رجال الشرطة مهما كان نوع الاستفزاز، وفى هذا السياق كان عدد الضحايا فى الشرطة أكثر من عدد ضحايا الطلبة*.

* لم يقتل أحد من رجال الشرطة، لكن ضحايا الطلاب والشعب قاربت الثلاثين شهيداً !!!.

٣-وفوق هذا هل يعقل أنه فى فى الوقت الذى لم تطلق فيه رصاصة ضد الطلاب على الأرض، أن يضرب الطلبة بالطيران فى الشوارع.

٤-كان سلاح الطيران فى ذلك الوقت مشغولاً ببناء نفسه، بعد أن أصبح رمزاً لهزيمة ١٩٦٧، وكان الهدف استعادة سمعة هذا السلاح الهام، فجاء مدكور أبو العز، ثم اللواء الحناوى، وعلى بغدادى.. ثم استقر الأمر عند اللواء طيار حسنى مبارك.. فى هذا الوقت كنا نبحث عن بناء الطيران، فكيف يمكن أن يتم توريطه فى هذه المهمة الغريبة.

٥-ليس لدى تفسير سوى أن اللواء الحناوى يعيش الآن فى عزله، وبدلاً من أن يحلق بالطائرات فهو يحلق فى الأوهام.

وبخلاف هذا قال اللواء نبيل كامل، قائد فرقة الهليكوبتر بالقوات الجوية حتى الإحالة إلى التاقعد (فى مكالمة تليفونية) :

ما قاله اللواء الحناوى فى روز اليوسف هو اللى حصل فعلاً، لقد اتصل بى اللواء الحناوى قبل فجر يوم الواقعة الساعة الثالثة صباحاً، وكانت هناك مظاهرات "جامدة" عاملها الطلبة، وسيادته قال لى: أطلع وقود التشكيل بنفسك يا نبيل، وتتأكد بنفسك قبل الطيران إن الطائرات ليس فيها ذخيرة (ولا طلقة)، وفعلت تماماً ما أمرنى به سيادته وتأكدت من أن المدافع والرشاشات والطائرات لا توجد بها أى نوع من الذخيرة تنفيذاً للتعليمات، وقدت التشكيل بنفسى، ولم نقم بأى عمل هجومى أو عدائى بالنسبة للطلبة فى المظاهرات فقط، وهذا الأمر حدث فى مظاهرات الإسكندرية، وأيضا فى القاهرة.

وقال اللواء طيار جبر على جبر، الذى كان ضمن قيادة الطيران بين ٦٨ ، ١٩٧٤، وشارك فى اعداد التاريخى الرسمى لحرب أكتوبر:

"بداية أرى.. أننى لا أوافق ــ بمنتهى الأمانة ــ على نشر هذه الواقعة الآن، فليس كل ما يعرف يتم نشره، وهناك دائماً توقيتات ملائمة للنشر.

ولعلى أقرر أيضاً أننى أكن للفريق أول فوزى كل تقدير واحترام وحب ومودة. وأننى على اتصال وثيق به حتى الآن برغم اختلاف الرتبة والفارق فى العمر والخبرة، بالإضافة إلى أننى أرى فى دوره الذى قام به فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بعد نكسة يونو ١٩٦٧، دور خالد عظيم لا يستطيع أحد نكرانه، وأنا شخصياً دافعت عنه ــ بما يستحقه ــ فى دراسات عديدة ضد من أرداوا التقليل من حجم هذا الدور الكبير، والإنجاز الخالد.

بالنسبة للواء الحناوى، فلعلى اقرر أيضاً، أنه كان من أفضل قادة القوات الجوية الذين خدمت معهم سواء من ناحية أدائه كقائد أو من ناحية خبرته ومعلوماته العسكرية فى الطيران، والتى يجب أن تتوافر لمن يتولون قيادة هذا السلاح الخطير، كان قائدا مميزاً بمعنى الكلمة، ولم يكن أداؤه فى رأيى سبب خروجه من الخدمة، إذ كان موضع تقدير من الرئيس جمال عبد الناصر، حتى بعد انتهاء خدمته، وهذا الكلام كرره على مسامعى من أسبوعين فقط أحد معاونى الرئيس جمال عبد الناصر، الزعيم الخالد.

أما الواقعة التى ذكرها اللواء الحناوى لروزاليوسف فى العدد (٣٥٩٤)، فاقرر أننى كنت موجوداً بالخدمة فى ذلك الوقت، أعمل رئيساً لفرع التدريب التعبوى (تدريب العمليات)، مما يجعل العلاقة بينى وبين اللواء الحناوى متصلة

ومتواصلة، وهناك جانب لا يمكن لى أن أنكره فى الواقعة، وهو أن اللواء الحناوى قال لى ولزملاء أخرين مضمون الواقعة، ونحن بعد فى الخدمة ولقد اندهشت لجرأته، ذلك أن ما قاله فى وقتها كان من الممكن أن يسبب له الكثير من المشاكل، فالمعروف أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يمتلك من الأجهزة ما يجعله يعرف دبيب النملة إذا دبت، أما نص الحديث التليفونى كما ذكر، فإنا لا أستطيع أن أؤكده، لأننى ما كان لى أن أسمعه.. لكن الطائرات خرجت بالفعل. ومرت فى طريق تدريبها فوق تجمعات الطلاب، علماً بأن ذلك لم يكن مسارها اليومى العادى.

وفى السياق نفسه ارسل لنا محمود الجيار، سكرتير عبد الناصر،يقول معلقا على الواقعة: بعد اندلاع المظاهرات لم يكن أمام عبد الناصر ساعتها وقت لتقدير هذا الموقف الجديد الذى نشب فى الداخل، لكنه أصدر أمراً واحداً وحاسماً هو : سحب ذخيرة قوات الأمن التى تواجه المظاهرات بعد الذى حدث فى المنصورة والاسكندرية وحلوان*، وقد قالها الرئيس الراحل أمامى لشعراوى جمعة: مافيش عسكرى واحد ينزل وفى أيده طلقة واحدة يا شعراوى.

وكانت النتيجة أنه فى الاشتباك بين المتظاهرين وقوات الأمن، كانت خسائر قوات الأمن أكبر، ولم يسق حدوث ذلك فى تاريخ المظاهرات فى مصر*. ولكن المفاجأة الحقيقة كانت لعبد الناصر نفسه أن الشرارة الاولى لهذه المظهرات كانت من تدبير الحكومة على يد شعراوى جمعة، وعلى صبرى** .

* نحن نتكلم عما حدث فى المنصورة والاسكندرية وحلوان، ولا يتكلم عما بعده.

* راجع ملاحظتنا عما قاله الأستاذ هيكل.

** معقول هذا الكلام يا أستاذ جيار !!!!.

وكانت الشرارة الأولى التى أطلقت المظاهرات برقية مفتوحة موجهة مـــن منظمة الشباب إلى جمال عبدالناصر تحتج على أحكام قضية الطـــيران، وموقعـــة باسم أمين المنظمة فى ذلك الوقت أحمد كامل، ولم أصدق عينى عندما قرأت الأسم، وقد كنت مسئولاً عن مكتب الرئيس للشئون الداخلية، فأحمد كامل من المجموعـــة الحاكمة، مسئول معها، وليس معقولاً أن يتزعم الاحتجاج علنا، وأسرعت اتصــل بأحمد كامل الذى قالى لى : أنا فعلا أرسلتها، فذهلت، وعدت لأساله: هل فكـــرت قبل أن ترسلها؟ وما هى الحكمة؟ وإذا به يرد ببساطة، وأنا مـــالى أســـأل ســـامى شرف، هو الذى طلب منى إرسالها هو وشعرواوى جمعة.

وفى تقديرى أن أحد دوافعهم كان لتجربة نفوذ هـــذه المجموعـــة، ومـــدى سيطرته على الشارع، وكفاءة أدواتها!! رغم إعلانهم فى ذلك الوقـــت أن بعـــض المنظمات العميلة كانت المحرك للمظاهرات.

وقد عادت هذه المجموعة التى لتحاول مرة أخرى فى حلوان من نفس العـــام واشرف على المظاهرات بنفسه شعراوى جمعة، وعبد المجيد فريد، وعبد اللطيـــف بطلية، ورغم أن شعراوى كان وزيرا للداخلية، إلا أنه لم يبلغ الشـــرطة بتدبـــيره، وكانت النتيجة أنه ما كادت تبدأ المظاهرات حتى تصدى لها مأمور حلوان بمنتـــهى القوة والعنف، وأفلت الموقف من أيدى شعراوى للمرة الثانية.

وأذكر فى هذه الآونة خطاب عبد الناصر بمناسبة افتتـــاح مجمـــع الحديـــد والصلب فى نفس العام، حينما غلبت على عبد الناصر روح الفكاهة، وهو يتنـــاول قصة المظاهرات وهو على الهواء فى الإذاعة: "أعمل أية إذا كـــان اللـــى مطلـــع المظاهرات هو نفسه بتاع الأمن، ونسى يقول للمأمور بتاعه".

وضحك الذين سمعوا هذه النكتة، لكن بالنسبة لرجال الكواليس فى الحكم، فلم تكن

مجرد فكاهة، إنما كانت إعلانا عن أن الرجل الذى كان منصرفاً بكل ذرة فى كيانه إلى مهمة بناء الجيش قد بدأ ينتبه إلى الداخل أيضاً، ويستعد لمعالجة ما يجرى فيه.

وأخيراً وحديثى موجه للشباب والطلاب الذين عاصروا احداث ١٩٦٨ وللأجيال الجديدة، أقول كيف يعقل أن الذى أصدر اوامره بعدم حمل جنود الشرطةالذخيرة، يأمر بضربهم بالهليكوبتر بالذخيرة الحية لأنه يخشى أن يُسقطه الطلاب، بل ويسرها فى نفسه للواء الحناوى، ويقصيه من موقعه لأنه لم ينفذ أوامره بضرب المظاهرات!!؟ ثم لماذا سكت اللواء الحناوى طوال هذه المدة؟ وما هو دافعه للكلام، خاصة أن شهود كلامه فى الأحياء، ومنهم الفريق محمد فوزى، والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، وبالمناسبة اللواء الحناوى ليس شرقاوياً كما جاء بالمجلة، فهو من نكلا العنب ـ إيتاى البارود ـ بحيرة، ولكن الذى تعلمه الحركة الطلابية أن عبد الناصر دعاهم إلى منزلة واجتمع معهم*، وتحدثوا طويلاً بمنتهى الصدق، وأمر عبد الناصر بإصدار جريدة الطلاب لتعبر عن فكر هذا الجيل، الذى نجح بعد وفاة عبد الناصر فى الدفاع عنه وعن الثورة فى وجه اعدائها فى الداخل والخارج.

الآن .. ما هو رد اللواء الحناوى ـ القائد الأسبق للقوات الجوية المصرية ـ على كل هذا :

إنه يقول : أطلعت على رد الفريق أول متقاعد محمد فوزى القائد العام الأسبق للقوات المسلحة، وقد خاب ظنى فى استاذى بالكلية الحربية، وقائدى العام

وقبض فى الليل على من اجتمع معهم سكرتير عبد الناصر السيد محمد أحمد وليس عبد الناصر نفسه، راجع شهادة معتز الحفناوى.

إبان تشرى في بقيادة القوات الجوية، فما كانت اعتقد أن كبر السن ينسيه واقعـــة لا تنسى، ويجعله يبعد الشبهة عن نفسه قائلا أننى نسبت إلى الرئيس عبـــد النــاصر الأمر بضرب المظاهرات بالهليكوبتر، الأمر الذى لم يحدث، وأرجو أن يعيد قـراءة ما جاء فى روزاليوسف على لسانى، وهو يؤكد أن الأمر صدر من الفريق فـوزى، وأنه من ذكر أن الأمر لجمال عبد الناصر. فهل استخدم اسم الرئيس جمـــال عبـد الناصر ليرهبنى بعد أن رفضت تنفيذه أمره. إن الفريق فوزى يحاول التنصل مــن إصداره للأمر باستخدام الطائرات فى تفريق المظاهرات، وقد حملها على الرئيـس جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت، وذلك بنفى الواقعة من اساسها .. واساله بدورى : هل خرجت الطائرات الهليكوبتر الاثنتا عشرة أم لم تخرج؟! وهل خرجت بـدون علمه وهو القائد العام ؟ فلماذا لم يرفع التليفون ليسال عن ماهية هــذه الطــائرات التى خرجت، علما بأن اليوم لم يكن شم النسيم، ولا عيد الثورة، ثم اليســت هــذه التحركات مسجلة كغيرها بغرفة العمليات الرئيسية بالجيوشى.

إننى أعطى للفريق فوزى العذر فى أن يتخيل الأوهام بسبب ســنه، وأننــى آسف إذ اضررت لأن اشتد فى الرد على من يكبرنى سنا، لكن السن بالسن، والعين بالعين والبادىء أظلم.

لقد مضت ثلاثون سنة تقريبا على الحدث، وما ذكرت هذا إلا لأكمل للتاريخ موضوعا أنا أعلم الوجه الآخر منه، عبرة للأجيال القادمة، وحتى يعلموا عقليــات قادتنا فى الحروب من ٤٨ إلى نكسة ٦٧، والتى استشهد فيها ١٠٠ ألــف شــهيد، كانت أرواحهم فى يد القائد العام للقوات المسلحة، والذى يحاول أن يتنصل الآن من تبعاته، معذرة ياسياة القائد العام، ألم تكن رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسـلحة فى حرب ٦٧، ومسئولا عما جرى، إن فى قلبى جرحا لن يندمل من تصرفاتك فــى

نكسة ١٩٦٧، ومما نشر قبلا من تخاريف الشعوذة فيما يخص تلك الحرب المأساة .. وأرجو لك كامل الصحة والعافية فيما تبقى لك من عمر مديد إن شاء الله.

إما الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، فاقول له : يامن كنت موضع ثقتى وآخرين غيرى، وكنا نكن لك كل شعور طيب .. لم يكن العشم ياستاذ، أرجو أن تعيد قراءة ملف الجبهة الشرقية والاستماع إلى الـ ١٢ ساعة تسجيلات بصوتى فى الاهرام لتعلم أننى لا أحلق فى الأوهام، كانت ثقتى بك كبيرة، ولكن بعد ردك .. ماذا أقول غير أن كبارنا وقت المواجهة يتهربون.. هذا قدرنا.

وعلى الرغم من أن هشام السلامونى، كاتب الحلقات غير مسئول تاريخياً عما ورد على لسان اللواء الحناوى، لكنه عقب قائلاً : لا أظن أن الفريق أول محمد فوزى، أو الاستاذ محمد حسنين هيكل، أو الاستاذ محمود الجيار يستطيعون أن ينفوا الواقعة محل النزاع. بمثل هذه السهولة، ولا أن يعفوا جمال عبد الناصر من المسئولية بمثل ما قالوه من كلمات.

دعنا من الكتب التى كتبها الطلبة الذين عاصروا الأحداث، وذاقوا مرارتها ورصاصاتها (المنكورة) وكل هذه الكتب ذكرت وقائع إطلاق الرصاص وتدخل القوات المسلحة لفض الاعتصام والطائرات الهليكوبتر لإرهاب الطلاب .. بل دعنا من أن الطلاب وأهل الإسكندرية المعاصرين للأحداث راوا مارأوا وذاقوا ماذاقوا وإن لم يكتبوا معاناتهم.

إن الفريق أول محمد فوزى على خلاف ما أرسل لنا يقول شيئاً أخر فى شهادة الاستاذ أحمد كامل، محافظ الإسكندرية فى ذلك الوقت، التى نشرت بمجلة المصور، ولم يعترض عليها أحد، وهى تؤكد على الآتى :

- أنه طلب بنفسه أى الفريق فوزى تدخل القوات الجيش لفض الاعتصام.

- أن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على تدخل القوات المسلحة وأحال الأمر للفريق أول فوزى.

- أن الفريق أول فوزى وضع قائد المنطقة الشمالية تحت قيادة أحمد كامل ليطلب منه ما يشاء، وأن الفريق أول فوزى أعلم قائد المنطقة العسكرية الشمالية باوامره بتنفيذ ما يريده أحمد كامل على الفور (هل كان أحمد كامل يريد شيئا غير فض الاعتصام بالقوات المسلحة؟).

- ماذا يقول الفريق أول فوزى فى أن أحمد كامل ذكر الطيران (الهليكوبتر) ضمن ماذكر من دبابات وأسلحة .. وأن كتيبة مدفعية احتلت مواقعها فى الاستاد الرياضى المجاور.

- ماذا يقول الفريق أول فى التعبير ذى المغزى الذى لا يفوت الأذكياء من القراء، والذى جاء على لسان أحمد كامل "تصور الطلاب أن الطيران قد بدا القصف والهجوم"!!

هل يكفى مع كل ذلك أن يقول الفريق أول محمد فوزى الذى نقدر دوره فى إعادة بناء القوات المسلحة بعد النكسة (بانضباطه الذى لم يكن يستطيع اختراقه أحد!) أن التوجيهات السياسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة، والموضحة فى أذهان القيادات العسكرية هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرات، وإن مسئولية فضها تقع على كاهل التنظيم السياسى (وليس حتى وزارة الداخلية !!).

* الصحيح أن الذى طلب هو أحمد كامل، والخطأ ورد فى اعداد الردود.

أما الأستاذ هيكل .. فإننا تأدبا نطلب منه أن يراجع أهرامه، ومانشـره فـى ظل رئاسته لتحريره. ولعلى أقرر أيضا أن اتعبير قد خان الاستاذ محمود الجيـار فى كل ما يريد أن يقوله، فاوصل لنا عكس ما يريد قوله .. فضمن مـا قالـه أن الرئيس جمال عبد الناصر " أصدر أمرا حاسما هو سحب ذخيرة قوات الأمن التـى تواجه المظاهرات بعد الذى حدث فى المنصورة والإسكندرية وحلوان"!!

صورة مما أورده الأهرام تحت رئاسة الأستاذ هيكل لتحريره ويرد على مـا يقوله الأستاذ :

تحت عنوان النائب العام يشرح قرار الاتهام (فى احداث نوفمـبر ١٩٦٨) ويفسره... نشر الأهرام بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٣١.

"إنه رغم تدخل المسئولين وعلى رأسهم السيد محافظ الاسـكندرية (أحمـد كامل) والسيد مدير الجامعة، وعميد الكلية (كلية الهندسة)، وبعض اساتذة الجامعـة، ينصح الطلبة المعتصمين لإنهاء هذا الموقف الخطير حرصا على سلامة الوطـن، إلا أن عوامل الإثارة والتحريض قد اعمتهم عن المصلحة العليا للوطـن، فاسـتمر اعتصامهم طوال الأيام الثلاثة، حتى اضطرت السلطات إلى التهديد باستخدام القـوة إلى إنهاء اعتصامهم.

وفى تحقيق اعده مكرم محمد أحمد بعنوان "تلاميذ المنصورة لماذا كانت غضبتهم من قرار وزير التعليم ؟!!" نشر بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٨ بالأهرام.. جاء فيه:

"لقد أكد التحقيق وتقرير الطبيب الشرعى أن ٣ من القتلى قد أصيبوا نتيجـة طلق نارى من بندقية أما القتيل الرابع (المعصراوى عبد الحليم) فثمـة احتمـالان

وردا بشأنه، أما أن يكون قد أصيب بطلقة من بندقية بعيـــدة أو مســـدس قريـــب.. والأرجح فى ظل التقرير أن يكون سبب الإصابة رصاصة البندقية أيضا.

وجاء به أيضا: وقال عبد النعيم (يقصد جمال عبد النعيم طالب الاعداديـــة ذا السترة البرتقالية اللون، والذى قدمه البوليس إلى التحقيق باعتباره هو الـــذى قـــاد المتظاهرين إلى مبنى مديرية الأمن وبدأ أعمال العنف) إنه شاهد القتلى الأربعة فى الحديقة المواجهة لمبنى مديرية الأمن، اثناء أمام الباب الجانبى، بينهم رجـــل فـــى السبعين، مزارع فى إحدى القرى المجاورة، سكن المنصورة للإشراف على تعليـــم أولاده.. وهبط الشارع ساعة المظاهرة فاصابته الرصاصة.

فى هذا النطاق المضطرب (مهاجمة طلبة الإعدادى لحديقة مديرية الأمـن!!) جرى إطلاق الرصاص وسقط ٤ وأصيب ٥ أخرون من الطلبة.

فهرس الكتاب

في الجزء الثاني ....

الحركة الطلابية (٧٢-١٩٧٣)

الجيل الذى واجه عبدالناصر والسادات

اختلف جيلنا مع جمال عبدالناصر على الديمقراطية ، فقد كان جمال عبدالناصر يتمسك بكل ثوابت الوطن عداها .. كان يتمسك بالتحرر من التبعية أيًا كان شكلها ، وبالعدالة الاجتماعية، وبالوحدة العربية .. ثم اختلف جيلنا مع أنور السادات على ثوابت الوطن جميعًا ، وفي الخلاف .. واجه الجيل جمال عبدالناصر والسادات.

والآن .. لا نستطيع القول أن الحركة الطلابية ٦٨/١٩٧٧ كانت حركة بلا آباء ..

الكثيرون .. الكثيرون .. الذين تعلمنا منهم ـ بطريق مباشر وغير مباشر ـ من الممكن أن نعتبرهم أخوة كباراً لتحركنا ، لكن أحداً منهم ـ برغم كونهم مصابيحنا الهادية ـ لا يستطيع أن يزعم أبوته للحركة (أقول ذلك بينما أعترف بأنهم كانوا مهيئين لأن يكونوا آباءً لها ، فمنهمُ الكتّاب الكبار الذين نجلهم، ومنهم المناضلون السياسيون ـ في كافة الاتجاهات الفكرية ـ الذين نحترم تضحياتهم ، ومنهم الزعماء الحركيون للطبقة العاملة المصرية، الذين دفعوا المجتمع إلى التقدم والعدالة الاجتماعية ، وإن لم يعترف العسكريون).

ومع هذا .. لا نستطيع القول أن الحركة الطلابية ٦٨/١٩٧٧ كانت حركة بلا آباء !!



ذلك أن على الحركة أن تعترف بنبوتها لأب خلّفها ، وربّاها ، وحماها ، وحوّط عليها برعايته ، هذا الأب هو الطالب العادي .. (غير المصنف فكريًا ، غير الحركي ظاهريًا).

كانت الحركة الطلابية ٦٨/١٩٧٧ معجزة الطالب العادي ، وتعالوا لنرى.

دراسة وثائقية للحركة الطلابية ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧

KAMEL GRAPHICS